الدكتور أيمن فؤاد سيد

الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات

١



الدار المصرية اللبنانية

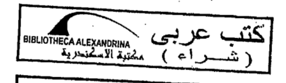

الكتاب العربي المخطوط
وعلم المخطوطات

الكتاب العربي المخطوط

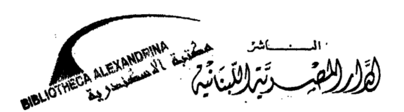
وعلم المخطوطات

الدكتور أيمن فؤاد سيد

١



الناشر
الدار المصرية اللبنانية



الناشر : الدار المصرية اللبنانية
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع: ٩٠١٩ / ١٩٩٧
الترقيم الدولي: 9 - 376 - 270 - 977
طبع: المدني
العنوان: ٦٨ ش العباسية
تليفون: ٤٨٢٧٨٥١

الطبعة الأولى: ربيع آخر ١٤١٨ هـ ـ يوليو ١٩٩٧م

إلى روح والدي المرحوم

فؤاد سيِّد

رائد علم المخطوطات في مصر

الذي تعلّمتُ منه عِشْق المخطوطات

والبحث في أسرارها

فهرست الموضوعات

صفحة

الباب الأول
الكتابُ العَربى الـمَخْطوط
فى المصـــادر

صفحة

صفحة

الباب الثاني
الكتاب العربي المخطوط
كما وَصَلَ إلينا

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

١

اقتصرت الدراسات الخاصة بالمخطوطات العربية حتى الآن على بحث مُتون هذه المخطوطات والدراسة الفيلولوجية لما تُقَدِّمُه من مادة علمية. أما الجانب المادى للكتاب المخطوط باعتباره وثيقةً أثريةً حضاريةً فلم يَلْق بعد ما يناسبه من عناية واهتمام.

وقد نشأ في الغرب الأوربي علمٌ خاصٌ بدراسة الشكل المادي للمخطوطات اليونانية واللاتينية هو علم الكوديكولوجيا Codicologie وهو لَفْظٌ مركبٌ من مقطعين: Codex اللاتينية وتعني كتاب و Logos اليونانية وتعني علم وبحث، ولم يدخل هذا المصطلح المحدث إلى المعجم الفرنسي *Le grand dictionnaire encyclopédique* إلا في عام ١٩٥٩.

وقد تَخَلَّفَ المتخصصون في دراسة المخطوطات العربية والإسلامية بالنسبة لمن درسوا المخطوطات اليونانية واللاتينية في هذا المجال الذي يتطَلَّب قواعد أخرى للتعامل مع الكتاب المخطوط غير تلك المستخدمة في دراسة نَصٍّ المخطوطات. وتساءل فرانسوا دي روش François Déroche في مقدمة كتاب *Les Manuscrits du Moyen-Orient, Essais de codicologie et de paléographie* فيما إذا كانت ضخامة حجم الوثائق المطلوب مراجعتها وعظَم مهمة إعداد هذه المواد ودراستها هى التي صرَفَت هؤلاء المتخصصين حتىَ الآن عن الإقدام على هذه المخاطرة؟ خاصةً إذا علمنا أن حَجْمَ المخطوطات العربية في العالم يُقَدِّرُه العارفون بها بنحو ثلاثة ملايين مخطوط، وقد سَبَقَ أن ذكر مثل ذلك القَلْقَشَنْدي

في مطلع القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي حيث قال:

«واعلم أن الكتب المُصَنَّفَة أكثرُ من أن تُحصَى، وأجَلُّ من أن تُحصَر؛ لا سيما الكتب المُصَنَّفَة في الملّة الإسلامية فإنها لم يُصَنَّف مثلها في ملّة من الملل، ولا قام بنظيرها أُمَّةٌ من الأمم؛ إلا أن منها كتبًا مشهورة قد تَوَفَّرت الدواعي على نقلها والإكثار من نَسْخها وطارت سمعتها في الآفاق ورُغِبَ في اقتنائها» (القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا ١ : ٤٦٧).

والكوديكولوجيا Codicologie هي علم دراسة كل أثر لا يرتبط بالنص الأساسي للكتاب الذي كتبه المؤلف، أي أنه يُعْنَى بدراسة العناصر المادية للكتاب المخطوط متمثّلةً في: الورق ـ الحبر والمداد ـ التذهيب ـ التجليد، وأيضًا حجم الكراسة والترقيم والتعقيبات، وكل ما دُوِّن على صفحة الغلاف (الظَّهْريَّة) من سماعات وقراءات وإجازات ومناولات ومقابلات وبلاغات ومعارضات ومطالعات وتَمَلُّكات وتقييدات ووَقْفيات، وما يُسَجَّل في آخر الكتاب فيما يعرف بالكولوفون Colophon (قَيْد الفراغ من كتابة النسخة) من اسم الناسخ وتاريخ النَّسْخ ومكانه والنسخة المنقول عنها، وكذلك معرفة المصدر الذى جاءت منه النسخة والجهة التي آلت إليها، وما على النسخة من أختام وما شابه ذلك، وقد أطلق الأوربيون عليها اسم خوارج الكتاب Ex-libris.

وتبدو أهمية هذه الدراسة إذا عرفنا أن عصر الكتاب المخطوط في العالم العربي والإسلامي استمر حتى وقت قريب، فلم تكتسب طباعة الكتب في العالم العربي والإسلامي أهميةً إلا مع بداية القرن التاسع عشر. كما أن أعمالا مثل كتاب كارل بروكلمان: «تاريخ الأدب العربي» وكتاب فؤاد سزجين: «تاريخ التراث العربي» التي كتبت في الأصل باللغة الألمانية، يتركز اهتمام مؤلّفيها على تصنيف الكتب وفقًا للموضوعات والتَّسَلْسُل الزمني، ولا نجد فيها مقدمات أو فصول مستقلة تتناول الشكل المادي للمخطوطات المدروسة أو أدوات الكتابة والمواد المستخدمة فيها أو وصف الأساليب الخطية أو الأشكال الزخرفية.

كذلك فإن فهارس المخطوطات العربية، سواء في أوربا أو في البلاد العربية، نادراً ما تحتوي على إشارة إلى الشكل المادي للمخطوط، كما أنها لا تَتَعَرَّض إطلاقًا لتواريخ المجموعات وتكَوُّنها وخواصها المميزة ونُبَذ عن حياة جامعي هذه المخطوطات.

وعلى ذلك فإنه مازال أمامنا وقتٌ طويل قبل أن نمتلك مدونات corpus تُعَرِّفنا بـ:

- المخطوطات التي بخطوط مؤلِّفيها Autographes.
- المخطوطات المنقولة عن نسخة المؤلِّف Apographes.
- المخطوطات المُؤَرَّخَة.
- المخطوطات التي بخطوط العلماء.
- المخطوطات الوحيدة Uniques.
- المخطوطات المكتوبة على الرَّق.
- المخطوطات المكتوبة على الكاغَد.
- المخطوطات الخزائنية.
- المخطوطات المصورة (المُزَيَّنة).
- المخطوطات الموقوفة.
- أسماء النُّسَّاخ والمخطوطات التى نسخوها.

٢

حقيقةً لقد قامت محاولاتٌ لوَضْع بداية جادة لهذا العلم تُقَدِّم لنا كيفية هذه الدراسة وبعض تطبيقات عملية لها، أولها المؤتمر الذي عُقد في استانبول واستضافه المعهد الفرنسي للدراسات الأناضولية ونَظَّمَه الباحث الفرنسي فرانسوا دي روش في الفترة من ٢٦-٢٩ مايو سنة ١٩٨٦ ونشرت بحوثه سنة ١٩٨٩ بعنوان:

Les manuscrits du Moyen-Orient, Essais de codicologie et de paléographie. Actes du colloque d'Istanbul (26-29 mai 1986), édités par Fr. Déroche. Istanbul, I F E A (Varia Turcia VII) - Paris, Bibliothèque Nationale et C N R S, 1989.

ثم الندوة الدولية التي عقدتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط - جامعة محمد الخامس في الفترة من ٢٧ - ٢٩ فبراير سنة ١٩٩٢ حول موضوع: المخطوط العربي وعلم المخطوطات ونشرت أعمالها سنة ١٩٩٤ تحت عنوان:

«المخطوط العربي وعلم المخطوطات»، تنسيق أحمد شوقي بنبين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم ٣٢ - جامعة محمد الخامس ١٩٩٤.

ثم عقدت مؤسَّسَة الفُرْقان للتراث الإسلامى فى لندن في الفترة بين ٤ - ٥ ديسمبر سنة ١٩٩٣ مؤتمرها المتخصص الثاني وكان موضوعه: The Codicology of Islamic Manuscripts ونَشَرَت الجزء الأول من الأبحاث المقدمة بلغات أجنبية إلى المؤتمر سنة ١٩٩٥ بعنوان:

The Codicology of Islamic Manuscripts. Proceedings of the second conference of al-Furqān Islamic Heritage Foundation, 4-5 December 1993, general editor: Yasin Dutton, London - Al - Furqān Islamic Heritage Foundation 1995.

ونَشَرَت الجزء الثاني مشتملا على الأبحاث المقدمة باللغة العربية سنة ١٩٩٧ بعنوان:

«دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر»، إعداد الدكتور رشيد العناني، لندن - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٧.

وقد سبقت هذه الدراسات محاولاتٌ لتقديم صورة لشكل المخطوط وتطور الخط العربي عبر القرون، كان أسبقها كتاب برنارد موريتز Bernard Moritz

الضخم عن« الخطاطة العربية» الذى عَرَضَ فيه لوحات مختارة من ذخائر دار الكتب المصرية والمكتبة الأزهرية من المصاحف والمخطوطات المختلفة تُمَثِّل نماذج للخط العربي عبر القرون ولكن دون أية دراسة تحليلة .

Moritz, B., *Arabic Palaeography*, Publications of the khedivial Library N° 16, Cairo - Wien 1905.

ثم كتاب جورج ڤايدا الذي يُقَدِّم نماذج للخط العربي من خلال مخطوطات المكتبة الوطنية في باريس

Vajda, G., *Album de palaeographie arabe*. Paris B. N. 1958.

وكتاب الدكتور صلاح الدين المُنَجِّد الذي جَمَعَ فيه من خلال مصورات «معهد المخطوطات العربية» نماذج تُوَضِّح الخطوط التي كتب بها المخطوط العربي عبر القرون وبعض المخطوطات الخزائنية أو ذات الخطوط المنسوبة .

صلاح الدين المُنَجِّد: **الكتاب العربي المخطوط إلى القرن العاشر الهجري،** الجزء الأول – النماذج ، القاهرة ـ معهد المخطوطات العربية ١٩٦٠ .

وقد وَعَدَ في المقدمة بجزء ثان يتناول دراسة مُوَسَّعَة للموضوع لم تصدر إلى الآن .

والفهرس الذي أعدّه المستشرق الإنجليزي آربري Arberry لمخطوطات مكتبة شيستر بتي حيث زَوّد كل جزء من أجزائه السبعة بنماذج لخطوط المؤلفين والعلماء الموجودة في المكتبة

Arberry, A. J., *A Handlist of the Arabic Manuscripts in the Chester Beaty Library*, I-VII, Dublin 1955-66.

والكتاب الذي أصدره مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض بمناسبة المعرض الذي أعده للخط العربي بعنوان

الخط العربي من خلال المخطوطات ، الرياض ـ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

وأخيرا الدراسة التي أعدّها عالم المخطوطات والأثري المعروف إبراهيم شبوح عن «المخطوط العربي 14 قرناً من حضارة الإسلام» والتي عَرَضَ فيها ودَرَسَ نماذج مختارة من مخطوطات دار الكتب الوطنية بتونس، وصدرت بعنوان

إبراهيم شبوح: **المخطوط**، من نفائس دار الكتب التونسية ـ ١، تونس ـ الوكالة القومية لإحياء واستغلال التراث الأثري والتاريخي أليف Alif ١٩٨٩

وهناك أيضًا دراساتٌ مهمةٌ حول الموضوع تُمَثِّل أساسًا قويًا لتطور هذا العلم من أهمها كتاب

Arnold, Th. and Grohmann A., *The Islamic Book: A Contribution to its Art and History from the VII - XVIII century*, Germany - The Pegasus Press 1929.

وكتاب يوهانس بيديرسون الذي صدر أولا باللغة الدانماركية سنة ١٩٤٦

Pedersen, J., *Der Arabiake Bog*, Copenhagen 1946.

ونُقلَ إلى اللغة الإنجليزية عام ١٩٨٣

Pedersen, J., *The Arabic Book*, translated by Geoffrey French, Princeton University Press N. J. 1983.

كما نقله إلى العربية السيد حيدر غيبة بعنوان «الكتاب العربي» وصدر في دمشق عام ١٩٨٩ عن مطبعة الأهالي.

ومقال حبيب زيّات عن الوراقة والوراقين في الإسلام

حبيب زيّات: «**الوراقة والورّاقون في الإسلام**»، مجلة المشرق ٤١ (تموز ـ أيلول ١٩٤٧)، ٣٠٥ ـ ٣٥٠.

وكتاب عبدالستار الحلوجي عن المخطوط العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري الذي تناول فيه ظهور المخطوط العربي وصنعته في الفترة الإسلامية المبكرة.

عبدالستار الحلوجي: **المخطوط العربي من النشأة إلى القرن الرابع الهجري** (ط١ الرياض ١٩٧٨، ط٢ جدة ١٩٨٩).

ثم كتاب محمد المنّوني عن صناعة المخطوط المغربي من الفتح الإسلامي إلى العصر الحديث.

محمد المنونى: **تاريخ الوراقة المغربية ـ صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ـ جامعة محمد الخامس ١٩٩١.

ويُعَدُّ كتاب كوركيس عَوّاد عن أقدم المخطوطات العربية في العالم حتى نهاية القرن الخامس الهجري ومقال فرانسوا دي روش عن المخطوطات المؤرخة في القرن الثالث الهجري أول محاولة لحصر المخطوطات المؤرخة في هذه الفترة.

كوركيس عَوّاد: **أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم المكتوبة منذ صدر الإسلام حتى سنة ٥٠٠هـ (= ١١٠٦م)**، بغداد ١٩٨٢.

Déroche, F., «Les manuscrits arabes datés du III^{e}/ IX^{e}s.», *REI*, LV- LVII (1987- 89), pp. 343-379

وأخيراً كتاب أحمد شوقي بنبين عن علم المخطوطات والبحث البيبليوجرافي الذي يُعَدّ أول كتاب عربي يتناول موضوع الكوديكولوجيا بفهم وتَتَبُّع.

أحمد شوقي بنبين: **دراسات في علم المخطوطات والبحث البيبليوجرافي**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ـ جامعة محمد الخامس، سلسة بحوث ودراسات رقم ٧، ١٩٩٣.

وإلى جانب هذه الدراسات كان ظهورُ **«مجلة معهد المخطوطات العربية»** عام ١٩٥٥ كأول مجلة متخصصة تبحث في شئون المخطوطات خطوةً هامةً في

مجال التعريف بالمخطوطات وفهرستها، ولكن أوّلَ مجلة متخصصة في كوديكولوجيا المخطوطات الشرقية بمعنى الكلمة كانت مجلة *Manuscripts of the Middle East* التي صَدَرَ عددُها الأول عام ١٩٨٧ بإشراف المستشرق الهولندي Jan Just Witkam وهي مليئة بالأبحاث المتخصصة عن التاريخ المادي للمخطوط العربي والشرقي على العموم.

وتُقَدِّم لنا الدراسات الخاصة بتاريخ المكتبات الإسلامية الكثير من المعلومات حول تكَوُّن مجموعات أشهر المكتبات الإسلامية في الشرق والغرب (الملكية والخاصة والعامة) وكيفية تنظيمها وموارد صرفها وأسماء خُزّانها وأهم الكتب التي كانت تحتوى عليها.

وقد وَجَدَت مخطوطات بعض المكتبات حظًا كبيرًا في دراستها دراسة كوديكولوجية، وعلى الأخص مخطوطات مكتبات استانبول والأناضول ومخطوطات مكتبة شيستربيتي ومخطوطات المكتبة الوطنية في باريس، بفضل جهود علماء من أمثال ريشر Reacher وريتر Ritter وآربري Arberry وفايدا Vajde على التوالي. وما زالت هناك العديد من المكتبات الشرقية التي تحوي رصيدًا هامًا من المخطوطات القديمة ذات القيمة المادية الكبيرة لم تُدْرس بعد دراسة كوديكولوجية، وعلى الأخص مخطوطات دار الكتب المصرية ومخطوطات المكتبة الأزهرية بالقاهرة ومخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق ومخطوطات الخزانة العامة بالرباط ومخطوطات الجامع الكبير بصنعاء.

ولعل من أهم الأعمال التي تساعد على تَقَدُّم هذا النوع من الدراسات هو إخراج «ألبومات Albums» تحتوي على نماذج مصورة طبق الأصل Facsimilé للصفحات الأولى لهذه المخطوطات (الظهرية) والصفحات الأخيرة لها (الغاشية)، وهي عادة الصفحات التي تحتوي على خوارج الكتاب Ex-libris

لتساعد الباحثين على دراسة هذه الظواهر التي سنشير إليها تفصيلا في فصول هذا الكتاب .

٣

وهذا الكتابُ محاولةٌ لدراسة كوديكولوجيا الكتاب العربى المخطوط ، في الشرق على وَجْه خاص ، من خلال المصادر وكما وَصَلَ إلينا وجعلته فى ثلاثة أبواب :

الباب الأول ـ **الكتاب العربى المخطوط في المصادر**، درست فيه : «صناعة المخطوط العربى» و «تطور الخط العربى» و «نشأة التدوين عند المسلمين وطُرُق التأليف» و «اهتمام القدماء بالنُّسَخ الأصلية» و «الوراقة والوراقين» ثم «المكتبات الإسلامية وهواة الكتب» .

الباب الثانى ـ **الكتاب العربى المخطوط كما وَصَلَ إلينا وعلم المخطوطات**، درست فيه : «المصحف الشريف» و«المُسَوَّدات والمُبَيَّضات والمخطوطات التي بخطوط العلماء والتأليف الأول والتأليف الثانى للكتاب» ، و«المخطوطات المُؤَرَّخَة وقَيْد الفراغ من كتابة النسخة الـ colophon» ، وكذلك «المخطوطات المُزَيَّنَة بالمنمنمات» و«المخطوطات الخِزانية» و«المخطوطات الموقوفة أو المُحَبَّسة» .

ثم درست ما على المخطوط من قيود مختلفة سواء المُتَعَلِّقة بنص الكتاب مثل : الرواية والسَّماعات والقراءات والإجازات والمقابلة والتصحيح والمطالعة والنظر ، أو المتعلقة بشكل النسخة مثل التَمَلُّكات والبَيْع والشِّراء والوَقْف والتقييدات العلمية ، وأيضًا التوقيعات والأختام . وأشرت كذلك إلى كيفية التعريف بهذا التراث التليد عن طريق فهرسته فهرسةً وصفيةً ونشره نشرًا علميًا ثم صيانته وترميمه وعرضه عرضًا متحفيًا وإتاحته للبحث العلمى .

الباب الثالث ـ **النَّمَـــاذج** ويشتمل على نماذج مُصَوَّرَة لكل هذه الأشكال والظواهر السابق ذكرها تُمَثِّل مختلف الحقَب والتطورات التى مَرَّ بها المخطوط العربى . وقد حرصت على أن أورد بين النَماذج التي نتعرَّف منها على تطور الخط العربي عبر القرون ، نماذج لخطوط المؤلفين وكبار العلماء التى وَصَلَت إلينا سواءٌ من كـتـبـهم التي كـتـبـوها بخطوطهم أو بما سـجّلوه بخطوطهم على ظهـور المخطوطات من سماعات وقراءات وإجازات وتقييدات وتملُّكات . فكما قال العلامة خير الدين الزِّرِكْلي في مقدمة كتابه الخالد «الأعــلام» الذي جمع فيه من خطوط العلماء المترجمين ما يثير الإعجاب والدهشة .

> «[إن] الخطوط إلى جانب قيمتها الأثرية ، فلَذٌ من أرواح أصحابها أبدية الحياة ، يكمن فيها من معاني النفوس ما لاتُعْرِب عنه صور الأجسام» .
> [الأعــلام ١ : ١٦] .

* * *

وبعد فأرجو أن أكون قد وفِّقْت فيما قَصَدت إليه وأن أكون قد أسهمت بجُهْد في دراسة علم المخطوطات ، وهو العلم الذي ما يزال في حاجة إلى تضافر جهود المُتَخَصِّصين والخبراء ـ على قلّتهم ـ في دراسة هذا التراث الضخم من المخطوطات العربية والإسلامية دراسةً كوديكولوجية استمرارًا لجهود علماء المخطوطات الرواد من أمثال يوسف العُشّ وصلاح الدين المُنَجِّد وفؤاد سيد ومحمد رشاد عبدالمطلب وكوركيس عَوّاد ومحمد بن تاويت الطَّنجي ، وإلى إعداد جيل من شباب الباحثين يستمر في هذه الدراسة التي تحتاج إلى جانب الحب والهواية ، إلى ثقافة ومعرفة واسعة بالمكتبة العربية وطبيعة علاقة كتبها بعضها ببعض .

مصر الجديدة في : ٤ شوال سنة ١٤١٧هـ
١٢ فبرايــر ١٩٩٧م .

الدكتور أيمن فؤاد سيّد

الباب الأول

الكتاب العربي المخطوط في المصادر

صناعة الكتاب العربي المخطوط

حَدَّد القدماءُ لصناعة الكتاب المخطوط أركانًا أربعة هي: الكاغَد (الورق) والمداد (الحبر) والقَلَم (الخط) والتجليد (التَّسْفير).

ولم يكن حَظُّ هذه الأركان الأربعة متوازنًا في معارفنا، «لأن القادرين على التمييز والكتابة والوعي بضبط التجارب للأجيال يبدأ اهتمامهم من مرحلة القلم والخط ويخرجون منها إلى التدوين والتأليف، وبهذا كان هذا الجانب كثير الثراء مُوَثَّقَة أسراره في أدب حافل محفوظ بالمصادر الكبرى لثقافة الكتاب.

أما الركائز الثلاث الأولى والأسبق في التسلسل من الخط وهي: الورق والحبر والتجليد، فإن المادة التوثيقية عنها كانت في غاية الضحالة ولم تكن في مستوى توضيح تقنيات التراث الضخم الذي سلم لنا على الزمن»[1].

ويُعْتبر كتاب «عُمْدَة الكُتَّاب وعُدَّة ذوي الألباب»[2] الذي أُلِّف على الأرجح للأمير الصِّنْهاجي تميم بن المعز بن باديس أشْمَل ما وُضِعَ في صناعة الكتاب المخطوط، فقد تناول فيه مؤلفه المجهول بتوازن وإيجاز انتخاب الأقلام الجَيِّدة وبريها على أجناس الخطوط، وصفة الدواة واختيار آلاتها، وعمل أجناس المداد والأحبار الملونة، وعمل الليق، وتلوين الأصباغ وخلطها، والكتابة بالذهب

---

[1] إبراهيم شبوح: «مصدران جديدان عن صناعة المخطوط: حول فنون تركيب المداد» في كتاب دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر، لندن ـ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٧، ١٦.

[2] نشره عبدالستار الحلوجي وعلى عبدالمحسن زكى في مجلة معهد المخطوطات العربية ١٧ (١٩٧١)، ٤٣ – ١٧٢.

والفضة، وعمل ما تُمْحَى به الكتابة، وإلصاق الذهب والفضة وصفة مَصاقله وصَقْله، وعَمَل الكاغَد وسَقْيه وتعتيقه، والجلد والتجليد وجميع آلاته.

وبعد تصنيف هذا الكتاب بنحو قرن ونصف، صنَّف الملك اليمنى المُظَفَّر يوسف بن عمر بن على الرسولي المتوفى سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م كتاب «المُخْتَرَع في فنون من الصُّنَع»[١] استوعب فيه الأبواب العشرة الأولى من كتاب «العُمْدَة» استيعابًا حرفيًا وبشيء من الانتقاء[٢].

وإضافةً إلى هذين الكتابين فإن هناك أدبًا محدودًا وَصَل إلينا يُعَرِّف بصناعة الأحبار والألوان وأساليب التزويق والتجليد لعل أهمها: كتاب «الأزهار في عمل الأحبار» لمؤلف مغربي يدعى محمد بن ميمون بن عمران المراكشي الحميري[٣]، ألَّف كتابه أثناء إقامته فى بغداد فى المدرسة المستنصرية سنة ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م، وكتاب «تُحَف الخَوَاص فى طُرَف الخَوَاص» لأبي بكر محمد ابن محمد بن إدريس بن مالك القُضاعي المعروف بالقللوسي[٤] وهو أندلسي من أهل إسطابونة Estepona (٦٠٧ - ٧٠٧هـ/ ١٢١٠ - ١٣٠٧م) وعالم لغوي اشتهر بحفظ كتاب سيبويه وكان حُجَّة فى العروض والقوافي. وقد نَوّه لسان الدين بن الخطيب بهذا الكتاب وقال إنه «رفَع للوزير ابن الحكيم [أبي عبدالله محمد بن عبدالرحمن اللخمي الإشبيلي] كتابًا في الخواص وصنعة الأمدة وقلع طبع الثياب غريبًا في معناه»[٥]. كما تحتفظ دار الكتب المصرية بـ«رسالة فى صناعة الأحْبار» مجهولة المؤلف تحت رقم ١٤ صناعة تيمور.

وفيما يخص التجليد أو التسفير فقد وَصَلَت إلينا بعض المؤلفات ذات القيمة علىٰ ندارتها أقْدَمُها كتاب «التيسير فى صناعة التسفير» للفقيه بكر بن إبراهيم

---

[١] نشره محمد عيسى صالحية فى الكويت عام ١٩٨٩.
[٢] إبراهيم شبوح: المرجع السابق ١٥.
[٣] توجد منه نسخة بخط مؤلفها Autographe فى مجموعة خاصة استفاد منها إبراهيم شبوح في بحثه المشار إليه أعلاه.
[٤] منه نسخة في الخزانة الملكية بالرباط بالمغرب اعتمد عليها إبراهيم شبوح فى بحثه المشار إليه أعلاه.
[٥] لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة ٣ : ٧٦.

الإشبيلي المتوفى سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م[١]، وأرجوزة «تدبير السفير فى صناعة التسفير» لشخص يُدْعى ابن أبي حَميدَة أو ابن أبي حُمَيْدَة عاش في القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادي[٢]، ثم الرسالة التى كتبها أبو العباس أحمد بن محمد السُّفْياني سنة ١٠٢٩هـ/ ١٦١٦م عن صناعة التسفير وحَلّ الذهب[٣].

يضاف إلى ذلك الفصل الهام الذي أفرده القلقشندي في أوائل القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي للحديث عن آلات الخط ومباديه، والآلات التى تشتمل عليها الدواة والقلم وبَرْيه، والمداد والحبر وصنعتهما، وليق الافتتاحات، وما يكتب فيه من قراطيس وورق[٤].

الـورَق

(البَرْدي ـ الرَّق ـ الكاغَد)

ظَلَّت صناعةُ الورق (البَرْدي) في الدولة الإسلامية صناعةً مصريةً خالصةً طوال القرن الأول وأوائل القرن الثاني للهجرة حتى أخذ الورق الصيني (الكاغَد) مكانه إلى جانبه. واستخدم الورق (الكاغَد) في مصر بطريقة متَقَطِّعَة في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ولكنه لم يعتبر منافسًا للبَرْدي حتى أواسط القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي عندما حَلَّ مَحلّ البَرْدي وبدأت مطابخ الورق في الظهور وتَوَقَّف إنتاج البَرْدي.

وإلى جانب البَردي Papyrus كان الرَّق Parchemin ـ وهو ما يُرَقَّق من الجلود ليُكْتَب فيه ـ يحتَلّ حتى وقت ظهور الورق (الكاغَد) بشكل مطلق وَضْعًا متميزًا في صناعة الكتاب العربي المخطوط.

---

١ نشره عبدالله كنون فى صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ٧ ـ ٨ (١٩٥٩)، ١ ـ ٤٢.

٢ منها نسخة فى دار الكتب المصرية برقم ٣١٩/ ٨ مجاميع ونشرها Gacek, Adam, « Ibn Abī Ḥamīdah's didactic poem for bookbinders », *MME* VI (1992), pp. 41-58.

٣ نشره Prosper Ricard بعنوان «صناعة تسفير الكتب وحَلّ الذهب»، باريس ـ بول جوتنير ١٩١٩، ١٩٢٥؛ Chabbouh, Ibr., *op. cit.*, p. 61

٤ القلقشندي : صبح الأعشى ٢ : ٤٤٠ ـ ٤٨٨.

البَرْدي Papyrus

والبَرْدي من الحاصلات الخاصة التي كانت تُنْبتَها مصر وكانت النباتات التي تُعْمَل منها الأوراق البردية تلعب في حياة مصر الاقتصادية منذ عصر الأسرة الوسطى القديمة وحتى انتهاء زراعته نحو نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادى عشر الميلادي نفس الدور الذي لعبه القُطْن في الاقتصاد المصري حتى وقت قريب.

ففي مستنقعات الدلتا كانت مسطحات واسعة يغطيها البَرْدي papyrus وهو نبات من فصيلة السعد souchet كان يُزْرَع بين المشاتل. وكان الورق يُتَّخَذ من لُبابه وهو لُباب ليفي لزج يقطع إلى شرائح طولية بعد قشرها وتوضع الواحدة إلى جانب الأخرى، ثم تردف بطبقة ثانية من هذه الشرائح متعامدة مع الأولى، وتطرق الصحائف بمطرقة خشبية لتسويتها ولتتحد أجزاؤها بواسطة اللزوجة الطبيعية. وكانت الكتابة تتم عادة على الوجه الأفقي منها. فكانت مصر هي البلد الذي يَمُدّ سائر الأقطار بأوراق البَردي [١]. وأطلقت المصادر العربية القديمة على البَرْدي المصري «القراطيس المصرية»[٢].

وقد نَوَّه البيروني بورق البردي المصري وأشاد به قال:

> «إن القرطاس معمولٌ بمصر من لُبّ البَرْدي يُبْرى في لحمه، وعليه صدرت كتب الخلفاء إلى قريب من زمانا [توفي البيروني سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م] إذ ليس ينقاد لحكّ شيء منه وتغييره بل يَفْسَد به»[٣].

---

[١] ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية (بولاق ١٢٩١هـ) ١ : ٨٦ – ٨٧؛ وراجع جروهمان، أدولف: المحاضرة الأولى عن الأوراق البردية العربية ومنها المحفوظة بالدار، تعريب توفيق إسكاروس، القاهرة ـ دار الكتب المصرية ١٩٣٠، ٩؛ إبراهيم شبوح: «بعض ملاحظات على خط البرديات العربية المبكرة ومدى تأثرها بحركات إصلاح الكتابة»، الندوة الدولية لألفية القاهرة ١٦؛ Sellheim, R., *EI²*, art. *Kirṭās* V, p. 171 ; Khoury, R. G., *EI²*, art. *Papyrus* VII, pp 268 - 272 ; Khan, G., « Arabic Papyri », *The Codicology of Islamic Manuscripts*, pp. 1-16.

[٢] ابن النديم: الفهرست ٢٢.

[٣] البيروني: تحقيق ما للهند ٨١.

الآيتان ٦ و ٩٠]، وعَدَّهُ بعض اللغويين من الألفاظ الدخيلة، قال الجواليقي:

«والقرطاس ـ بضم القاف وكسرها ـ قد تكلّموا به قديمًا. ويقال إن أصله غير عربي»[١].

وذكر دوزي Dozy أن لفظ القرطاس أصله من اليونانية chartes ومعناه ما يكتب فيه، ويقابله في العربية «ورقة» و«صحيفة»[٢].

وكان في الجانب الغربي من بغداد أي في الكَرْخ دربٌ يعرف بـ«درب القراطيس» أو «درب أصحاب القَراطيس»، ذكره غير واحد من الكُتّاب الأقدمين كالجاحظ والطَّبري والخطيب البغدادي وغيرهم[٣]، وأغلب الظن أن قراطيس مصر كانت تباع فيه.

وذكر أبو سعيد السَّمْعاني المتوفى سنة ٥٦٣ هـ/ ١١٦٦ م في مادة «القراطيسي» أن «هذه النسبة إلى عمل القراطيس وبيعها»[٤]، ثم ذكر غير واحد ممن عُرف بهذه النسبة وأغلبهم من بغداد أو ممن قدم إليها، يقول كوركيس عَوّاد: «فلعل نسْبَتهم جاءت من سكناهم درب القراطيس أو من صنعهم أو بيعهم القراطيس ذاتها»[٥].

وأورد الخطيب البغدادي المتوفى قبل السَّمْعانى بمائة عام تراجم سبعة رجال عُرِفَ كل منهم بـ«القراطيسي» أمرهم أيضًا أمر من ذكرهم السمعانى فى استبهام نسبتهم حيث لم يفصح الخطيب عن ذلك فى تراجمهم المقتضبة[٦].

---

١ الجواليقي: المعرب من الكلام الأعجمي ٢٧٦.

٢ Dozy, *Suppl,.Dict. Ar.* II, pp .331.

٣ كوركيس عواد: «الورق والكاغد ـ صناعته في العصور الإسلامية»، مجلة المجمع العلمى العربي ٢٣ (١٩٤٨)، ٤١٥.

٤ السمعاني: الأنساب ورقة ٤٤٥و .

٥ كوركيس عواد: المرجع السابق ٤١٥ .

٦ الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد ٢ : ٩١، ٤ : ٤٣٠، ١١ ٢٣٣، ١٢، ٣و ١٥١، ١٣: ٤٤٥ كوركيس عواد : المرجع السابق ٤١٥.

وقد وَصَلَ إلينا العديد من الرسائل والصكوك المكتوبة على البَرْدي حُفظَت لنا في مصر والقليل في فلسطين وكلها أوراق خاصة بعقود بين أفراد أو إيصالات أو دفع ضريبة خراجية أو مراسلات بين الولاة، أقدمها بردية يرجع تاريخها إلى عام ٢٢هـ/ ٦٤٣م تعرف بـ«بردية أهناسيا» محفوظة اليوم في مجموعة الأرشيدوق رينر بالنمسا. ولم تصل إلينا للأسف كتبٌ مكتوبة على البَرْدي سوى أجزاء لأعمالٍ مبكرة مثل موطأ مالك بن أنس وصحيفة همام بن مُنَبِّه وصحيفة عبدالله بن لَهيعَة، أما أكمل كتاب وصل إلينا على البَرْدي فهو نسخة من كتاب «الجامع في الحديث النبوي» لعبد الله بن وَهْب المتوفى سنة ١٩٧هـ/ ٨١٢م كُشفَ عنها عام ١٩٢٢ في حفائر كان يجريها المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة في إدفو بصعيد مصر، وهي اليوم محفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم٢١٢٣ حديث[١].

الرَّق Parchemin

المادة الأصلية للرَّق Parchemin من أصل حيواني تستخدم فيه جلود الخراف والماعز والبقر والغزال وربما الحمير، وكان جلد الخراف هو الأكثر استخدامًا في هذا الغرض. وكان الرَّق يُصْنَع عن طريق نزع الشعر من جذوره وإزالة النجاسات الموجودة عليه باستعمال الجير أو أية مادة حفظ أخرى ويترك ليجف مع شَدِّه على إطار خشبي، وعملية الشد هذه في غيبة عملية الدباغة هي التي تفرق بين الرَّق والجلد. وفي كثير من الرقوق التي وصلت إلينا يمكننا التفريق بين ناحية اللحم وناحية الشعر بسبب بقاء جذور شعر الحيوان. وكانت الكتابة تتم عادة على الوجه الأملس recto . أما حجم الرَّق فكان يختلف

---

١ Weill, J. D., «Note sur un manuscrit malékite de ʿAbd-Allah ibn Wahb ibn Muslim al-Fihrī Al-Qurashī», *Mélanges Maspero* III - Orient Islamique, Le Caire - IFAO 1953, pp. 177 - 189 ؛ ونشر ديڤيد ڤيل الكتاب نصًا ولوحات وتعليقات في ثلاثة أجزاء Weill, J. D., *Le Djāmiʿ d'Ibn Wahb* (texte, planches et commentaires, Le Caire - IFAO 1939 - 1948) ومقال خوري .Khoury, R. G., EI^2, art. *Papyrus* VII, pp 268 - 272.

باختلاف طول الحيوان المستمد منه ويتراوح ما بين ٢, ٨٥ × ٨٢سـم و٨, ٤× ٨, ١سم[١].

وفي المغرب الإسلامي كان التّحوُّل لاستخدام الورق متأخّرًا حَيْث ظلّ الرّق هو المادة المستخدمة في الكتابة حتى القرن الخامس الهجرى / الحادي عشر الميلادي، بل إن المصاحف المغربية ظلّت حتى وقت قريب تُكْتَب على الرّق طلبًا لطول البقاء.

أما المصاحف والكتب المكتوبة على الرّق، فهناك نماذج كثيرة لها محفوظة في العديد من المكتبات العالمية وخاصة في المكتبة الوطنية في باريس وفي مجموعة ناصر خليلي بلندن وفي دار المخطوطات بصنعاء وهي تصلح كأساس لعمل مُدَوَّنَة corpus للمخطوطات المكتوبة على الرّق[٢].

وإذا كان من خواص الرّق قدرته علي البقاء الطويل، فإن من أهم عيوبه إمكانية محو ما فيه وإعادة استخدامه مرة أخرى. فيذكر ياقوت الحموى من بين مؤلفات على بن عيسي بن الفرج بن صالح الرَّبَعى النحوى المتوفي سنة ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م شرح كتاب سيبويه ثم قال:

> «إلا أنه غَسَلَه وذاك أن أحد بنى رضوان التاجر نازعه فى مسألة فقام مُغْضبًا وأخذ شرح سيبويه وجعله فى إجّانة وصَبّ عليه الماء وغَسَلَه وجعل يَلْطم به الحيطان ويقول: لا أجعل أولاد البقالين نحاة»[٣].

وعندما ترجم ياقوت لأبى طالب المبارك بن المبارك بن المبارك الكَرْخى

---

١ Khouri, R. G. and Wittkam, J. J., *EI²*, art. *Rakk* VIII, pp. 422-424; Déroche, Fr., «L'emploi du parchemin dans les manuscrits islamiques: quelques remarques liminaires», *The Codicology of Islamic Manuscripts*, pp. 17 - 57.

٢ Déroche, F., *Les manuscrits du Coran, aux origines de la calligraphie coranique*, Paris B. N. 1983; id., *The Abbasid Tradition. Qur'ans of the 8th to 10th centuries. The Nasser D. Khalili Collection of Islamic Art*, London 1993. ؛ دار الآثار الإسلامية: مصاحف صنعاء، الكويت ١٩٨٥

٣ ياقوت الحموى: معجم الأدباء ١٤ : ٧٩.

الشافعي المتوفي سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٨م قال :

«كان رحمه الله فاضلا زاهدًا عابدًا ورعًا إمامًا أوحد زمانه فى حُسْن الخط علي طريقة على بن هلال البَوَّاب ، سمعت جماعة يحكون أنه لم يكتُب أحدٌ قبله ولا بعده مثله فى قلم الثلث ، حتي رأيت من يغالى فيه فيقول : إنه كان خيراً من ابن البَوَّاب ، وكان ضنينًا بخطه جدًا فلذلك قَلَّ وجوده . كان إذا اجتمع عنده شيء من تجويداته يستدعي طستًا ويَغْسلَه . فأما إذا استفتى فكان يكسر قلمه ويجهد فى تغيير خطه»[١] .

ويذكر ياقوت أيضًا أنه لقى في آمد سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٧م علي بن الحسن بن عَنْتَر المعروف بشميم الحلّي «وكان من العلم بمكان مكين . . . إلا أنه كان لا يقيم لأحد من أهل العلم المتقَدمين ولا المتأخرين وزنًا»[٢] ؛ وقد سأله ياقوت لماذا لم يُصَنِّف مقامات يَدْحَض بها مقامات الحريري فقال له :

«يا بُنَيّ اعلم أن الرجوع إلى الحق خيرٌ من التمادى على الباطل ، عملت مقامات مرتين فلم ترضنى فغسلتها»[٣] .

وأورد الخبر برواية أخرى فى ترجمة الحريري قال :

« . . . ولقد أنشأتها ثلاث مرات ثم أتأمّلها فأسترذلها ، فأعمد إلى البركة فأغسلها»[٤] .

وتَدُلُّ هذه النصوص على أن الرَّق ظَلَّ مستخدمًا فى الشرق الإسلامى وإلى القرن السادس الهجرى ، فعملية الغَسْل هذه لا يمكن أن تتم إلا إذا كانت الكتابة على الرَّق .

الكاغَد Kāġad

أمـا الورق (الكاغَد) Kāġad فكان يُعْمَل في أغلب الأحيان من الكتّان أو

---

[١] ياقوت الحموى : معجم الأدباء ١٧ : ٥٦ -٥٧ .
[٢] نفسه : ١٥ - ٢٦٨ .
[٣] نفسه : ١٣ : ٥٨ .
[٤] نفسه : ١٥ : ٢٦٨ - ٢٦٩ .

القنَّب وخاصة ما يُعرف منه بالورق الخراساني[1]. وقد أورد صاحب كتاب «عمدة الكّتاب» طريقة لعمل نوع من الكاغد وصفة سقيه وتعتيقه[2].

وقد وَجَدَ الرَّق منافسةً شديدةً من الكاغَد عند ظهوره وخاصةً فيما يتعلَّق بالكتابات التي تُنَظِّم معاملات الناس وتُوَثِّقها ويقع التقاضى بها إذ أصدر الخليفة هارون الرشيد أمرًا بـ:

«ألا يكتب الناس إلا فى الكاغَد لأن الجلود ونحوها تقبل المَحْو والإعادة فتقبل التزوير، بخلاف الورق فأنه متى مُحيَ فَسَدَ، وإن كُشط ظهر كَشْطُه»[3].

وقبل ذلك كانت القراطيس المصرية هى الأكثر استخدامًا في دواوين الدولة الإسلامية[4]. يقول الجهشياري:

«ووقف أبو جعفر [المنصور] على كثرة القراطيس في خزائنه، فدعى بصالح صاحب المصلى فقال له: إني أمرت بإخراج حامل القراطيس في خزائننا فوجدته شيئًا كثيرًا جدًا فتولّى بيعه وإن لم تُعْط بكل طومار إلا دانقًا، فإن تحصيل ثمنه أصلح منه. قال صالح: وكان الطومار في ذلك الوقت بدرهم فانصرفت من حضرته على هذا؛ فلما كان في الغد دعاني فدخلت عليه فقال لي: فكَّرت في كتبنا وأنها قد جَرَت في القراطيس وليس يُؤْمن حادثٌ بمصر فتنقطع القراطيس عنّا بسببه فنحتاج إلى أن نكتب فيما لم نُعَوِّدْه عمالنا فدَع القراطيس استظهارًا على حالها.

---

[1] ابن النديم: الفهرست ٢٢.

[2] المعز بن باديس (المنسوب لـ): عمدة لكتاب ١٤٧ - ١٤٩ وانظر كذلك Huart, Cl. & Grohmann, A., *EI*², art. *Kāghad* VI, pp. 437 - 438.

[3] القلقشندى: صبح الأعشى ٢ : ٤٨٦ وقارن مع ابن خلدون: المقدمة ٢ : ٩٧٤؛ القلقشندي: صبح ١ : ٥٨٧، ٢ : ٤٧٥؛ المقريزي: الخطط١ : ٩١.

[4] القلقشندي: صبح ٦ : ١٨٩. وفيه (أن الخلفاء لم تزل تستخدم القراطيس امتيازًا لها على غيرها من عهد معاوية).

ولهذه العلّة كانت الفُرْس تكتب في الجلود والرّق وتقول: لانكتب في شيء ليس في بلادنا»[١].

ويذكر الثّعالبي أن:

«من خصائص سَمَرْقَنْد الكواغيد التي عَطَّلت قراطيس مصر والجلود التي كان الأوائل يكتبون فيها لأنها أحسن وأنْعَم وأرْفَق وأوْفَق ولاتكون إلا بها والصين.

ذكر صاحب كتاب «المسالك والممالك» أنه وقَعَ من الصين إلى سَمَرْقَنْد فى سَبْي سباهم زياد بن صالح من اتَّخَذَ الكواغيد بها، ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت متجراً لأهل سَمَرْقَنْد فعَمَّ خيرها والارتفاق بها في الآفاق»[٢].

ولكن إذا كانت قراطيس مصر قد انقطعت عن مشرق العالم الإسلامي بسبب ظهور الكاغَد (الورق) فإنها ظَلّت تُصَدَّرها إلى المغرب الإسلامي فيورد الثّعالبي نقلا عن الجاحظ قوله:

«وقراطيس مصر للمغرب ككواغيد سَمَرْقَنْد للمشرق»[٣].

وقد قَطَعَ أبو سَعْد السَّمعاني بكون الكاغَد لا يُعْمَل في المشرق إلا في هذه المدينة. قال في مادة «الكاغَذي»:

«هذه النسبة إلى عمل الكاغَذ الذي يُكْتَب عليه وبَيْعه، ولا يُعْمَل في المشرق إلا بسَمَرْقَنْد»[٤].

وكان الوزير المصرى أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن

---

[١] الجهشياري: كتاب الوزراء والكتاب ١٣٨.

[٢] الثعالبي: لطائف المعارف، بريل ١٨٦٧، ١٣٦؛ وقارن مع الجاحظ: التبصر بالتجارة ٣٦؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد (نشرة وستنفلد ـ جوتنجن ١٨٤٨) ٣٦٠؛ النويري: نهاية الأرب ١: ٣٥٤.

[٣] نفسه ٩٧، وقارن: السيوطي: حسن المحاضرة ٢: ....

[٤] االسمعاني: الأنساب: ورقة ٤٧٢ و، وانظر كوركيس عواد: المرجع السابق، ٤١٩ – ٤٢٠.

حنْزابة المتوفى سنة ٣٩١ هـ/ ١٠٠٠م يستورد الورق من سَمَرْقَنْد لاتخاذه فيما يَستنسخه له الورّاقون لخزانته قال:

«قال محمد بن طاهر المقدسي: سمعت أبا إسحاق الحَبّال يقول: كان يسْتعمل للوزير أبي الفضل، الكاغَد بسَمَرْقَنْد ويُحمل إليه إلى مصر في كل سنة. وكان في خزانته عدةٌ من الورّاقين، فاستعفى بعضهم، فأمر بأن يحاسَب ويُصرف، فكمل عليه مائة دينار، فعاد إلى الوراقة وترك ما كان عزم عليه من الاستعفاء. قال: وسمعتُ أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد الحَبّال يقول: خرَجَ أبو نَصْر السِّجْزي الحافظ على أكثر من مائة شيخ، لم يبق منهم غيري. وكان قد خرّجَ له عشرين جزءاً في وقت الطلب وكتبها في كاغَد عتيق. فسألت الحَبّال عن الكاغَد، فقال: هذا من الكاغَد الذي كان يُحمل للوزير من سَمَرْقَنْد، وقعت إليّ من كتبه قطعة، فكنتُ إذا رأيتُ فيها ورقة بيضاء قطعتها، إلى أن اجتمع هذا. فكتبتُ فيه هذه الفوائد»[١].

وهذا يَدُلُّ على أن البَرْدى قد قَلّ استخدامه فى مصر نظراً لارتفاع ثمنه عن الكاغَد وقِلّة إنتاجه.

وتحتفظ دار الكتب المصرية بأقدم كتاب وَصَلَ إلينا على الكاغَد وهو «الرِّسالة» في أصول الفقه للإمام الشافعي والتي يرجع تاريخ كتابتها إلى مطلع القرن الثالث الهجري وهو محفوظ بالدار تحت رقم ٤١ أصول فقه م.

أنواع الورق (الكاغَد)

ذكر ابن النديم أن المادة التي كان يُعْمَل منها الورق المعروف بـ «الورق الخراساني» هي «الكتّان» وأن صُنّاعًا من الصين عملوه بخُراسان على مثال الورق الصيني. وعَدَّد بعد ذلك ستة أنواع منه هي: «السُّلَيْماني والطَّلْحي والنُّوحي والفرعوني والجَعْفَري والطاهري»[٢].

ولا شك أن هذه هى أنواع الورق التي كانت شائعة الاستعمال في البلدان الإسلامية في نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وهي الفترة التي كتب فيها ابن النديم كتابه.

---

[١] ياقوت: معجم الأدباء ٧: ١٧٦ – ١٧٧.

[٢] ابن النديم: الفهرست ٢٢.

أما الورق السُّلَيْماني فمنسوب إلى سُلَيْمان بن راشد والي خُراسان في أيام هارون الرشيد.

والورق الطلْحي يُنْسب إلى طَلْحَة بن طاهر ثاني أمراء الدولة الطَّاهرية في خُراسان (٢٠٧ – ٢١٣هـ/ ٨٢٢ – ٨٢٨م).

والوَرَق النُّوحي كان منسوبًا إلى أحد أمراء الدولة السَّامانية التي حكمت تُرْكُسْتان وفارس، «نوح الأول السَّاماني» (٣٣١ – ٣٤٣هـ/ ٩٤٢ – ٩٥٤م) أو «نوح الثاني السَّاماني» (٣٦٦ – ٣٨٧هـ/ ٩٧٦ – ٩٩٧م).

أما الورق الفرعوني فضربٌ آخر نافس ورق البردي في مصر، وأقدم النصوص العربية التي عُثر عليها مُدَوَّنة في هذا النوع من الورق يرتقي تاريخها إلى نهاية القرن الثانى الهجري/ الثامن الميلادي. وظَلّ هذا النوع يستخدم بعد ذلك. فقد جاء في ترجمة الشيخ الرئيس ابن سينا عند ابن أبي أُصَيْبِعَة قول تلميذ له:

«... وأمرني الشيخ بإحضار البياض [يعني الورق] وقطع أجزاء منه، فشددت خمسة أجزاء، كل واحد منها عشرة أوراق بالربع الفرعوني»[١].

ونُسب الورق الجَعْفَري إلى جعفر بن يحيى بن خالد البَرْمَكي الذي قُتل عام ١٨٧هـ/ ٨٠٢م في نكبة البرامكة.

والورق الطاهري يُنْسب إلى طاهر الثاني أحد أمراء الدولة الطاهرية في خُراسان (٢٣٠ – ٢٤٨هـ/ ٨٤٤ – ٨٦٢م)[٢].

وأشار ياقوت الحموي إلى «الورق الجَيْهاني»[٣]، الذي يُنْسَب إلى مدينة جَيْهان إحدى مدن خُراسان، و«الورق المأموني»[٤] المنسوب إلى الخليفة المأمون العباسي (١٩٨ – ٢١٨هـ/ ٨١٣ – ٨٣٣م).

---

[١] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢ : ٨.

[٢] كوركيس عواد: المرجع السابق ٤٢١ – ٤٢٢.

[٣] ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢ : ٩٥.

[٤] ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٦ : ٢٨٥

وذكر السَّمْعاني ضربًا آخر من الورق سمّاه «الكاغَد المنصوري» وهو مشهور بسَمَرْقَنْد، ويُنْسَب إلى أبي الفضل منصور بن نصر بن عبدالرحيم الكاغدي المتوفى بسَمَرْقَنْد سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م[1].

وكانت خزائنُ الكتب لا تخلو من أنواع الكواغيد المختلفة فقد كان علي بن هلال البَوّاب الخطاط المشهور يتصرَّف في خزانة كتب بهاء الدولة بن عَضُد الدولة بشيراز وأثناء بحثه فيها وَجَدَ مصحفًا من ثلاثين جزءًا بخط ابن مُقْلَة ينقص جزءًا فحمله إلى بهاء الدولة الذى طلب منه أن يُتَمِّمه له فقال له:

«السَّمْعُ والطاعة، ولكن على شريطة أنك إذا أبصرت الجزء الناقص منها ولا تعرفه أن تعطيني خلعة ومائة دينار. قال: أفعل. وأخذت المصحف من بين يديه فانصرفت إلى داري، ودخلت الخزانة أقلب الكاغَدَ العتيق وما يشابه كاغَدَ المصحف، وكان فيها من أنواع الكاغَد السَّمَرْقَنْدي والصِّينيُّ والعَتيق كل ظريف عجيب فأخذت من الكاغَد ما وافقني، وكتبت الجزء وذَهَّبتُه وعَتَّقْتُ ذَهَبَهُ، وقلعت جلدًا من جزء من الأجزاء فجلدته به وجلدت الذى قلعت منه الجلد وعتقته، ونسى بهاءُ الدولة المصحف، ومضى على ذلك نحو السنة. فلما كان ذات يوم جَرَى ذكر أبي على بن مُقْلَةَ فقال لى: ما كتبت ذلك؟ قلت: بلى، قال: فأعْطِينيه: فأحضرت المصحف كاملا فلم يزل يقلبه جزءًا جزءًا وهو لا يقف على الجُزْء الذى بخَطِّي ثم قال لى: أيُّمَا هو الجزء الذي بخطك؟ قلت له: لا تعرفه فيصغر فيَّ عينك، هذا مصحف كامل بخط أبي عَلِّي بنْ مُقْلَةَ ونكتم سرنا؟ قال: أفعل: وتركه في رَبْعَة عند رأسه ولن يعده إلى الخزانة، وأقمت مطالبًا بالخلْعَه والدنانير وهو يَمْطُلُني ويَعِدُني، فلما كان يومًا قلت يا مولانا في الخَزانة بَيَاضًا صينيٌّ وعَتيقٌ مُقَطَّع وَصَحَيحٌ، فتعطيني المقطوعَ منه كله دون الصحيح بالخلعة والدنانيرَ. قال مُرّ وخذهَ. فمضيت وأخذت جميع ما كان فيها من ذلك النوع فكتبت فيه سنين»[2].

---

[1] السمعاني: الأنساب ورقة ٤٧٢ و ؛ كوركيس عواد: المرجع السابق ٤٢٣.

[2] ياقوت الحموى: معجم الأدباء ١٥: ١٢٣ – ١٢٤.

وارجع عن استخدام الكاغَد في المخطوطات الإسلامية تبعًا للمصادر الفارسية Afshār, I., « The Use of Paper in Islamic Manuscripts », *The Codicology of Islamic Manuscripts*, pp. 77 - 91.

وحَدَّد القلقشندي جودة الورق بقوله :

«وأحسن الورق ما كان ناصع البياض غرفًا صقيلا متناسب الأطراف صبوراً على مرور الزمان .

وأعلا أجناس الورق فيما رأيناه «البغدادى»، وهو ورق ثخين مع ليونة ورقة حاشية وتناسب أجزاء وقَطْعَهُ وافر جداً ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة . . . .

ودونه في الرتبة «الشامي» وهو على نوعين : نوع يعرف بـ«الحَمَوي» وهو دون القَطع البغدادي، ونوع دونه في القدر هو المعروف بـ«الشامي» (؟) وقَطعُه دون القَطع الحموي .

ودونهما في الرتبة «الورق المصري» وهو أيضًا على قطعين : القطع المنصوري وقطع العادة، والمنصوري أكبر قطعًا وقلما يُصْقَل وجهاه جميعًا، وأما العادة فإن فيه ما يُصْقَل وجهاه ويسمى فى عُرْف الورّاقين «المَصْلوح»[١] .

ولكن صناعة الورق لم تلبث أن انتشرت في سائر الأمصار الإسلامية ولم تعد حكْراً على خُراسان وسَمَرْقَنْد خاصةً بعد أن نشأت مهنة الورّاقين، يقول ابن خَلْدون :

«كثرت التآليف العلمية والدواوين، وحرص الناس على تناقلهما فى الآفاق والأمصار فانْتُسِخَت وجُلِّدَت، وجاءت صناعة الورّاقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين واختصت بالأمصار العظيمة العمران .

وكانت السجلات أولا لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والإقطاعات والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد، لكثرة الرَّفَه وقلة التآليف فى صدر الملة كما نذكره، وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع

---

[١] القلقشندي: صبح الأعشى ٢ : ٤٨٧ .

ذلك، فاقتصروا على الكتاب في الرّق تشريفًا للمكتوبات وميلا بها إلى الصحة والإتقان.

ثم طما بحر التأليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرّق على ذلك، فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغَد، وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه، واتّخذه الناس من بعده صُحُفًا لمكتوباتهم السلطانية والعلمية، وبلغت الإجادة في صناعته ماشاءت»[1].

وهكذا انتقلت صناعة الورق (الكاغَد) إلى العراق بفضل الفَضْل بن يحيى البَرْمكي الذي أنشأ أول معمل لصنْع الورق في بغداد (توفي الفضل سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٨م) ولم تمض سوى بضع سنين حتى كان أخوه جعفر بن يحيى البَرْمكي، الذي أعقبه في دَسْت الوزارة، قد أحَلّ الورق محل الرّق في دواوين الدولة[2].

وكانت بداية صناعة الورق وانتشاره في العراق لأسباب حدّدها القلقشندي عندما قال:

«أجمع رأي الصحابة رضي الله عنهم على كتابة القرآن في الرّق لطول بقائه، أو لأنه الموجود عندهم حينئذ. وبقي الناس على ذلك إلى أن ولي الرشيد الخلافة ـ وقد كثر الورق وفشا عمله بين الناس ـ أمر أن لا يكتب الناس إلا في الكاغَد لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة فتقبل التزوير، بخلاف الورق فإنه متى مُحيَ منه فَسَدَ وإن كُشطَ ظهر كَشْطُه. وانتشرت الكتابة في الورق إلى سائر الأقطار وتعاطاها من قَرُبَ وبَعُدَ واستمر الناس على ذلك إلى الآن»[3].

واستمرت صناعة الورق ببغداد في الازدهار وكثرت بها معامل صناعته وحوانيت بيعه يقول الصولي:

---

[1] ابن خلدون: المقدمة ٩٧٣ - ٩٧٤.

[2] كوركيس عواد: المرجع السابق ٤٢٦.

[3] القلقشندي: صبح الأعشى ٢ : ٤٨٦.

«وَقَعَ بالكَرْخ [في ذي القعدة سنة ٣٣٢] حريقٌ عظيمٌ، من حد طاق التكك السمّاكين، وعطف على أصحاب الكاغَد وأصحاب النِّعال»[١] .

كما كانت «دار القزّ» وهي تقع في الجانب الغربي من بغداد، مكانًا لصناعة الكاغَد في أوائل القرن السابع الهجري، يقول ياقوت:

«وفيها يُعْمَل اليوم الكاغَد»[٢] .

وأشار ياقوت إلى مكان آخر كان يُصْنَع فيه الورق في بغداد في زمانه عند حديثه على «جهار سوج» يقول إنها :

«من محال بغداد، في قبلة الحربية، خرب ما حولها من المحال، وبقيت هي والنصرية والعتابيون ودار القزّ متصلة بعضها ببعض كالمدينة المفردة في آخر خراب بغداد. يُعْمَل في هذه المحال في أيامنا هذه الكاغَد»[٣] .

وفي الشام كانت مدينة طرابلس من أهم مراكز صناعة الورق. وعندما زار ناصر خسرو هذه المدينة في سنة ٤٣٨هـ/ ١٠٤٧م أطرى ورقها بقوله إن أهل هذه المدينة

«يصنعون بها الورق الجميل مثل وَرَق بسَمَرْقَنْد بل أحسن منه»[٤] .

وكانت طَبَريّة تتميَّز كذلك في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بصناعة الكاغَد، وأيضًا كان لدمشق سمعة كبيرة في هذه الصناعة [٥] .

ووَصَفَ الأستاذ محمد كُرْد علي وَرَق الشام وصناعته بقوله :

«وكان الورق يصنع أشكالا في مكابس صغيرة، ويُعْمَل من الخروق البالية أو الحرير، واستبدل ورق القطن الذي منه الورق الدمشقي بالحرير في

---

[١] الصولي: أخبار الراضي بالله والمتقي بالله من كتاب الأوراق ٢٦٠ .
[٢] ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٥٢٢ .
[٣] نفسه ٢ : ١٦٧؛ وكوركيس عواد: المرجع السابق ٤٢٧ - ٤٢٨ .
[٤] ناصر خسرو : سفرنامة ٤٨، كوركيس عواد : المرجع السابق ٤٢٩ .
[٥] كوركيس عواد : المرجع السابق ٤٢٩ .

سنة ٧٠٦م رجلٌ اسمه يوسف بن عمرو . ولا يزال في خزانة دار الكتب العربية بدمشق كتابٌ كتب سنة ٢٦٦هـ على ورق يُظن أنه من الورق الشامي ، وهو أقدم مخطوط عرف بالشام ولا يزال على متانته»[١] .

وانتشر فى مصر كذلك صناعة الورق (الكاغَد) حيث انتشر بفسطاط مصر «مطابخ الورق» فى القرنين الخامس والسادس للهجرة وخاصة الورق المعروف بـ«الورق الطَّلْحي» و«الورق المنصوري»[٢] . ويذكر الرحالة الأندلسي ابن سعيد الذي زار مصر في أول عهد الدولة المماليكية أن :

«مطابخ السُكَّر والمطابخ التي يُصنَع فيها الورق المنصوري مخصوصة بالفُسْطاط دون القاهرة»[٣] .

وأشار المقريزي عند ذكره لخطة بني ريَّة بن عمرو بن الحارث إلى أن :

«هذا الموضع اليوم ورّاقات يعمل فيها الورق بالقرب من باب القَنْطَرة خارج مصر»[٤] .

كذلك فقد تحوّلت دار الفطْرَة التي أقامها الوزير الأفضل شاهنشاه الفاطمي في الفسطاط إلى ورّاقة ، يقولَ المقريزي :

«ثم استَجَدّ للفطرَة داراً عملت بعد ذلك ورّاقة وهي الآن دار الأمير عز الدين الأفرَم بمصر قَبال دار الوكالة»[٥] .

وفي فترة متأخرة وُجدَ بالقاهرة خان للوراقة يقول المقريزي أيضًا في حديثه عن خُطّ سوَيْقة أمير الجيوش :

«وهذا الخُطّ فيما بين حارة بَرْجَوان وخُطّ خان الوراقة»[٦] .

---

[١] محمد كرد علي : خطط الشام ٤ : ٢٤٣ ؛ كوركيس عواد : المرجع السابق ٤٣٠ .

[٢] Goitein, S. D., *A Med. Soc.* 1, 81.

[٣] ابن سعيد : االنجوم الزاهرة فى حُلى حضرة القاهرة ٢٩ ؛ المقريزى : مسودة المواعظ والاعتبار ٢٧ والخطط ١ : ٣٦٧ .

[٤] المقريزى : الخطط ١ : ٢٩٧ س ٢٣ ، ١ : ٥ س٥ .

[٥] نفسه ١ : ٤٢٦ س ٢٤ .

[٦] نفسه ٢ : ٣٦ س ٢ .

أما الأندلس وشمال أفريقيا فقد انتقلت إليها صناعة الورق في مرحلة متأخرة نسبيًا واشتهرت به مدينة شاطبَة الأندلسية، يقول الشريف الإدريسي :

«ويُعْمَل بها من الكاغَد ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض ويعم المشارق والمغارب»[١].

ويؤكد ذلك ياقوت الحموي حيث يقول :

«ويُعْمل الكاغَد الجيد فيها، ويُحْمَل منها إلى سائر بلاد الأندلس»[٢].

وفى إفريقية ظَلّ الرَّق لفترة طويلة هو الوسيلة الوحيدة لتقييد الكتابة، يقول الرحالة المقدسي البشارى عن أهل إفريقية نحو عام ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م :

«وكل مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة فى رقوق اللهم إلا ما كان ينبت من البردي في جزيرة صقلية في ذلك الزمان»[٣].

ويضيف العلامة حسن حسني عبدالوهاب في مقاله الهام عن البردي والرَّق والكاغَد فى إفريقية التونسية :

« بلغ أهل إفريقية في صناعة تجهيز الرَّق وصَقْله وتمحيره وصَبْغه أحيانًا بألوان مختلفة ما بين أخضر ولازوردي وأحمر قان، الغاية القصوى في الاتقان والنعومة حتى صار الرَّق من السِّلَع التى يتجهَّز فيها ويرتفق بها إلى جميع آفاق المغرب والأندلس والعدوة الأفرنجية .

. . . .

ودامت صناعة الرَّق فى القيروان ـ وإفريقية عمومًا في نمو وازدهار دهراً طويلا، وقد كتبت عليه المصاحف والصكوك والعقود إلى آخر القرن الثامن للهجرة على حين نجد أن الرَّق انقطع استعماله في المشرق

. . . .

---

[١] الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ٥٥٦ .
[٢] ياقوت : معجم البلدان ٣ : ٢٣٥ .
[٣] المقدسي : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ٢٣٧ .

على أن وجود الرّق واستعماله في كتابات معينة لم يمنع الأفارقة من اتخاذ الكاغَد والكتابة عليه فقد كانا مستعملين معًا في وقت واحد.

. . . .

وتجدر الملاحظة هنا إلى أن سكان المغرب وحدهم هم الذين حافظوا إلى الآن على تسمية ورق الكتابة (بالكاغَد أو الكاغض) وهو اسمه الأصلي في لغة أهل الصين، أما لفظة الورق المستعمل في الشرق العربي فقد أطلقت عليه مجازًا»[1].

ويؤكد ذلك ما ذكره القلقشندى فى مطلع القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي الذي ذَمّ الورق الذي يعمله أهل المغرب، بعد أن وصف ورق العراق والشام ومصر قال:

«ودون ذلك ورق أهل الغرب والفرنجة فهو ردئ جدًا سريع البليّ قليل المكث؛ ولذلك يكتبون المصاحف غالبًا فى الرّق على العادة الأولى طلبًا لطول البقاء»[2].

ورغم هذه الإشارات الهامة إلى الكاغَد وأنواعه فإننا لا نكاد نعرف عن صناعته غير وَصْفات محدودة ومجزؤة في بياناتها[3] لا تعيننا على فهم التركيب الصناعى لأصناف الكاغَد العديدة التي كتبت عليها المخطوطات القديمة مع ما فيها من تَنَوُّع أساليب الصناعة والمكونات وطرق السَّقْي والصَّقْل والتلوين وقلة الأحماض؛ ولا يمكننا من خلالها أن نحدد النماذج الورقية لتلك المسميات القديمة والأحدث عهدًا منذ ابن النديم إلى القلقشندي[4].

---

١ حسن حسنى عبدالوهاب: «البردي والرّق والكاغَد فى إفريقية التونسية»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٢ (١٩٥٦) ٤١ - ٤٥.

٢ لقلقشندى: صبح الأعشى ٢ : ٤٨٨ وانظر محمد المنوني: «تقنيات إعداد المخطوط المغربى»، فى كتاب المخطوط العربي وعلم المخطوطات (إعداد أحمد شوقى بنبين) ٢٠ - ٢١.

٣ المعز بن باديس (المنسوب له) : عمدة الكتاب ١٤٧ - ١٤٩.

٤ إبراهيم شبوح : المرجع السابق ١٦.

الحِبْرُ والمـــداد

والركن الثانى فى صناعة الكتاب العربى المخطوط هو الحِبْر والمداد. يقول القَلْقَشَنْدي:

«الحبر أصله اللون، يقال فلان ناصع الحبر يراد به اللون الخالص الصافى من كل شيء . . . .

. . . . والحِبْر: الأثر يبقى في الجلد . . . قال المُبَرِّد: وأنا أحسب أنه سُمِّيَ بذلك لأن الكتاب يُحَبَّر به أي يُحَسَّن، أخْذاً من قولهم: حَبَّرْتُ الشيء تحبيراً إذا حَسَّنْتُه»[١].

«أما المداد فسُمِّيَ بذلك لأنه يَمُدُّ القلم أي يُعينه، وكل شيء مددت به شيئًا فهو مداد . . . [و] سُمِّيَ الزَّيْتُ مداداً لأن السِّراج يُمَدُّ به، فكل شيء أمددت به الليقة [٢] مما يكتب به فهو مداد، وقال ابن قُتَيْبَة في قوله تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾: هو من المداد لا من الإمداد»[٣].

ويعد كتاب «الأزهار في عمل الأحبار» لمحمد بن ميمون بن عمران المراكشي الحميري السابق الإشارة إليه[٤]، من أوائل الكتب المؤلَّفة في هذا الموضوع وقد وَصَلَ إلينا في نسخة بخط مؤلفها Autographe وقَسَّمَه إلى سبع وعشرين مقالة لم يُتِمّ منها سوى المقالات الست الأولى وعنوان المقالة السابعة وقد تناول فيها أهم الطرائق المستخدمة في تركيب الحبر والمداد.

---

[١] القلقشندي: صبح الأعشى ٢ : ٤٧٢.

[٢] الليقة: ويسميها العرب الكُرْسُف تسمية لها باسم القُطْن الذى تتخذ منه في بعض الأحوال، وتكون أيضًا من الصوف ومن الحرير الخشن لأن انتفاشها في المحبرة وعدم تلبدها أعون على الكتابة. ويتعيّن على الكاتب تجديدها فى كل شهر. (نفسه ٢ : ٤٦٨ - ٤٧٠).

[٣] نفسه ٢ : ٤٧١.

[٤] انظر ما تقدم ص ١٤.

ولاحظ الأستاذ إبراهيم شبوح الذي اهتم بدراسة هذا الكتاب أنه برغم أن المؤلف استطاع أن يُدَوِّن التجارب التقنية وأن يُقَدِّم عمله بمقدمة موضِّحَة إلا أن معرفته بالعربية والتحكم في استعمالها كانت محدودة لما يتخلّل بعض نصوصه من غموض في المدلولات وتكلُّف في العبارة وخطأ في الرَّسْم وارتباك في العائد والموصول وخَلْط وغَلَط في وَضْع الحركات على الأحرف.

واعترف المؤلف في مقدمته أنه أقبل في هذا التدوين على إثبات المنقول عن العلماء المتقدمين، ولم يسعفه الوقت لتمحيص كل ذلك بإعادة التجربة الشاملة إلا البعض الذي وصل إلى معرفة حقيقته. وينهي ابن ميمون مدخل كتابه ببرنامج مُفَصَّل لسبع وعشرين مقالة قَسَّم كلا منها إلى أبواب، وهو أوسع وأشْمَل ما فُصِّل عن فنون الحبر. غير أنه للأسف الشديد لم يصل إلينا من هذه الأبواب غير المقالات الست الأولى متممة وذكْر عناوين أبواب المقالة السابعة فقط، وليس الكتاب مبتوراً منقطعًا كما يتبادر إلى الذهن وإنما تَوَقَّف المؤلف عامدًا كما يقول إبراهيم شبوح «بطريقة لم أصادف لها شبيهًا ذاكراً بالكتابة والتصريح أنه يمر ـ كما نصطلح بلغة اليوم ـ بأزمة عاطفية، عاقته عن مواصلة بسط مقالات الكتاب»[1].

ومن أهم ما يذكره ابن ميمون المراكشي في هذا الكتاب، وَصْفات لتركيب المداد منسوبة لكبار العلماء والأدباء الذين تركوا في الثقافة الإسلامية أثراً كبيراً مثل: عيسى بن عمر النحوي المتوفى سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م، ومُسْلم بن الوليد المتوفى سنة ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م، وأبو عثمان عمرو بن بَحْر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م، ومحمد ابن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م، ويختيشوع الطبيب المتوفى سنة ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م، ومُسْلم بن الحَجّاج القُشَيْري المتوفى سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٥م، وعبد الله بن مُسْلم بن قُتَيْبَة المتوفى سنة ٢٧٦هـ/

[1] إبراهيم شبوح: المرجع السابق ٢١.

٨٨٩م، ومحمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٥م، وأبو علي محمد بن مُقْلَة المتوفى سنة ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م، وأبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني المتوفى سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م، وأبو حيان علي بن محمد التوحيدي المتوفى سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٤م، وعلي بن هلال البَوَّاب المتوفى سنة ٤٣٢هـ/ ١٠٣٢م، وعلي بن هبة الله بن ماكولا المتوفى سنة ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م وآخرون.

ولم يترَدَّد المؤلف بعد ذكره لصفة الحبر الذي كان يستخدمه الوزير ابن مُقْلَة عن تسجيل أنه من تركيب أهل الهند كما قيل له وهو بالمدرسة المستنصرية ببغداد. وهي المرة الأولى التي نعرف فيها هذا العدد من الأحبار منسوبة لأصحابها من أهل العلم وقد ارتكزت أمدَّة هؤلاء الأعلام على مفردات مشتركة بينها هي: العَفْص Noix de galle والزّاج Vitriol والصَّمْغ Gomme Arabique والماء العذب.

وكان بعضهم يستغني عن الصَّمْغ اكتفاء بتألُّق السواد وثباته غير محتاج إلى ما يشدّه إلى الورق أو الرَّق، وهذا ما كان عليه حبر مُسْلم بن الوليد والجاحظ والبخاري[1].

أما كتاب «تُحَف الخواص في طُرف الخواص» للقللوسي الأندلسي المتوفى سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م، فنادر في وجوده وترتيبه ووضوح محتواه. وهو ينقسم إلى ثلاثة أبواب، اختص الباب الأول بصناعة الأمدَّة، وتناول الباب الثاني كيفية محو (قلع) المداد من الدفاتر والحبر من الكتب والصباغ من الثياب، أما الباب الثالث فقد اشتمل على فوائد تتصل بخواص المفردات المكونة لأصناف من المواد والأصباغ وطرق إعدادها[2].

---

[1] إبراهيم شبوح: المرجع السابق ٢١ - ٢٢.

[2] نفسه ٢٤ - ٢٦.

صَنْعَة المداد

نَقَلَ القلقشندي عن الوزير أبي علي بن مُقْلَة صفة صَنْعَة للمداد الجيد، قال:

«وأجود المداد ما اتُّخِذَ من سخام النِّفْط، وذلك أن يؤخذ منه ثلاثة أرطال فيجاد نخله وتصفيته، ثم يُلقى في طِنْجير ويصب عليه من الماء ثلاثة أمثاله، ومن العَسَل رطلٌ واحدٌ، ومن الملح خمسة عشر درهمًا، ومن العَفْص عشرة دراهم ولا يزال يُساط على نار لَيِّنَة حتى يُثخن جِرْمَه ويصير في هيئة الطين، ثم يُترك في إناء ويُرفَع إلى وقت الحاجة»[1] .

وكانت هناك أنواعٌ من الحبر تناسب الكتابة على الرَّق وأخرى تناسب الكتابة على الكاغَد (الورق). وقد أورد القلقشندي كيفية صناعة كلٍ من النوعين.

ففيما يناسب الرَّق:

«يؤخذ من العَفْص الشامي رطلٌ واحد فيُجْرَش، ويلقى عليه من الماء العذب ثلاثة أرطال، ويجعل في طِنجير، ويوضع على النار ويوقد تحته بنار لَيِّنَة حتى ينضج، وعلامة نضجه أن تكتب به فتكون الكتابة حمراء بَصَّاصَة ثم يلقى عليه من الصَّمغ العربي ثلاث أواق، ومن الزاج أوقية ثم يصفى ويودع في إناء جديد، ويستعمل عند الحاجة».

صفة حبر سَفَري: يعمل على البارد من غير نار، يؤخذ العفص فيُجْرَش جرشا جيِّدًا ويسحق لكل أوقية عَفْصٍ درهم واحد من الزاج، ودرهم من الصمغ العربيّ، ويلقى عليه ويرفع إلى وقت الحاجة. فإذا احتاج إليه صُبَّ عليه من الماء قدر الكفاية واستعماله»[2] .

---

[1] القلقشندي: صبح الأعشى ٢ : ٤٧٥ .

[2] نفسه ٢ : ٤٧٦ - ٤٧٧ .

ففيما يناسب الكاغَد :

«يؤخذ من العَفْص الشامى قدر رطل يُدَقّ جريشا ويُنْقَع في ستة أرطال ماء مع قليل من الآس : (وهو المرسين) أسبوعًا، ثم يغلى على النار حتى يصير على النصف أو الثلثين، ثم يصفى من مئزر ويترك ثلاثة أيام، ثم يصفى ثانيًا، ثم يضاف لكل رطل من هذا الماء أوقية من الصمغ العربي، ومن الزاج القبرسي كذلك، ثم يضاف إليه من الدخان المتقدم ذكره ما يكفيه من الحلاكة. ولابد له مع ذلك من الصبر والعسل ليمتنع بالصبر وقوعُ الذباب فيه، ويحفظ بالعسل على طول الزمن ويجعل من الدخان لكل رطل من الحبر [ثلث أوقية] بعد أن تسحق الدخان بكُلْوة كَفّك بالسكر النبات والزعفران الشعر والزّنجار إلى أن تجيد سحقه، ولا تصحنه في صلاية ولا هاون يَفْسُد عليك»[١].

صناعة التجليد (التَّسْفير)

لَعَلّ من الغريب أن كل المؤلفات التي وَصَلَت إلينا عن صناعة الكتاب العربي المخطوط كتبت كلها في بلاد المغرب والأندلس[٢]، فرغم أن حِرْفَة «الوراقة» وهى الحِرْفَة المختصة بإنتاج وتوزيع الكتاب العربى قد لعبت دوراً هامًا في الحضارة الإسلامية منذ العصر العباسى، فإنه لم يصل إلينا أدبٌ مشرقيٌ يُعَرِّف بكيفية صناعة الكتاب المخطوط، وربما تكشف لنا الأيام عن وجود مثل هذا الأدب في الخزائن غير المفهرسة.

ومع ذلك فإن ما وَصَلَ إلينا من هذه المؤلفات على ندارته مفيدٌ ومتكاملٌ ويَتَعلّق أغلبه بصناعة التجليد (التَّسْفير) التي تُعَدّ الصناعة المتممة للجُهْد والمحافظة على حصيلة الفكر والحافظة لأوراق الكتاب من التلف، والتي تهتم

---

١ القلقشندي: صبح ٢ : ٤٧٦.

٢ انظر فيما سبق ص ١٣ – ١٥.

كذلك بالعناية بمظهر الكتاب الخارجي بحيث يتلاءم مع قيمته ومحتوياته، وتظهر آثارُ هذه الصناعة الفنية على الخصوص فيما وَصَلَ إلينا من مصاحف كريمة ورَبْعات شريفة.

وتعتمد هذه الصناعة على توظيف بعض المواد المفردة مثل: الجلد والحرير والورق المُلَبَّد والخشب والخيط والغراء، بالإضافة إلى حِرَفيَّة الصانع فى الحَبْك والقَصّ والوَشْم والرَّشْم وغير ذلك.

وإذا كان الفصل الثاني عشر من كتاب «عُمْدَة الكُتّاب» الذي أُلِّف للأمير الصِّنْهاجي تميم بن المعز بن باديس، يُعَدُّ أقدم نَصٍّ متكامل وبَيِّن يعرض آلات المُجَلِّد ومناقشه ويشرح طريقة الحَبْك وكيفية اختيار الجلود الملائمة وإعدادها وبَشْرها وشَدّها وطريقة تثبيتها [1]؛ فإن كتاب «التيسير في صناعة التَّسْفير» للشيخ بكر بن إبراهيم الإشبيلي المتوفى سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م هو أشمل كتاب تناول موضوع تجليد الكتب، وكان مؤلِّفه، كما يقول ابن الزبير: «يحترف تسفير الكتب» فلا عجب أن يُؤلِّف كتابًا يشرح فيه خطوات عملية تجليد الكتب وصناعتها. ويقع الكتاب في عشرين بابًا ينقسم بعضها إلى فصول فيما يلي بياناتها:

١ - باب الأداة.	٢ - باب الأغرية.
٣ - باب التخزيم وحكمه.	٤ - باب التقفية.
٥ - باب التسوية.	٦ - باب الحبك وحكمه.

[1] انظر ما تقدم ص ١٣ وكذلك عبدالستار الحلوجي: المخطوط العربي ٢٣١ - ٢٤٧؛ عبداللطيف إبراهيم: «التجليد في مصر الإسلامية ـ جلدة مصحف بدار الكتب المصرية» في كتاب دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية، القاهرة ١٩٦٢؛ سهام المهدي: تجليد الكتب في مصر في العصر المملوكي ـ رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٤؛ اعتماد يوسف القصيري: فن التجليد عند المسلمين. بغداد ١٩٧٩؛ Gulnar Bosch, John Carswell and Guy Petherbridge, *Islamic Binding and Bookmaking*, Chicago 1981; Gacek, Adam, «Arabic bookmaking and terminology as portrayed by Bakr al-Išbīlī in his "*Kitāb al-taysīr fī ṣināʿat al-tasfīr*"», *MME* V (1990-1991), pp. 106 - 113.

٧ - باب التبطين.
٨ - باب البَشْر.
٩ - باب تركيب الجلد.
١٠ - باب العمل في الأسفار البوالي.
١١ - باب طَبْخ البَقم.
١٢ - باب النَّقْش.
١٣ - باب نَقْش الضِّرْس.
١٤ - باب الأمثلة.
١٥ - باب العمل في الأزرة والغرا.
١٦ - باب العمل في أقربة المصاحف.
١٧ - باب العمل في الأقربة المبنية.
١٨ - باب العمل في الجوامع.
١٩ - باب في النكت.
٢٠ - باب في العيوب.

التجليد المبكِّر

في بداية الأمر كانت أوراق المخطوط تُجْمَع بين لوحين من الخشب بينهما كَعْبٌ، وأضيف إلى هذا التجليد البدائي كُسْوة من الرّق أو الجلد أو القماش أو صفائح المعدن، ثم أضيف إلى ذلك كله قفْل أو أبزيم واحد أو أكثر ليمكن قفل المجلد قفلا محكمًا، لذلك كانت هذه الكتّب ثقيلة الوزن جدًا [١].

ويرجع صناعة أقدم جلود الكتب المعروفة في العصور الإسلامية إلى مصر ويمكن تأريخها فيما بين القرنين الثالث والخامس للهجرة، وتُذَكِّرنا زخارف هذه الجلود بالزخارف الهندسية في جلود بعض الكتب القبطية التي ترجع إلى هذه الفترة.

وقد تَعَلَّم المسلمون أساليب التجليد عن القبْط في أعقاب فتح مصر، فقد حَذَق الأقباط هذه الصناعة في العصر المسيحي ونقلوها إلى سائر أنحاء العالم الإسلامي. وكانت أساليب التجليد في القرون الإسلامية الأولى في مصر تُنْسَج على منوال ما عرفه القبْط من حيث الصناعة والشكل والزخرفة لحد كبير [٢].

---

[١] عبداللطيف إبراهيم: التجليد في مصر الإسلامية ٨.
[٢] زكي محمد حسن: فنون الإسلام ٢٣٠؛ عبداللطيف إبراهيم: المرجع السابق ٩.

وللأسف الشديد لم تصل إلينا أي جلود ترجع إلى هذه الفترة المبكرة تمكننا من متابعة تطور هذه الصناعة خلال هذه الفترة.

وقد ذكر لنا ابن النديم في نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، أسماء عدد من المجلدين منهم ابن أبي الحريش الذي كان يُجَلِّد في خزانة الخليفة المأمون العباسي، وأبو عيسى بن شيران ودميان الأعْسَر بن الحَجّام إبراهيم والحسين بن الصَّفّار [١].

وذكر الرحّالة الفلسطيني المقدسي البشاري (ألَّف كتابه سنة ٣٧٨هـ/ ٩٨٩م) أنه تَعَلَّم أثناء إقامته في مصر صناعة التجليد، وكان من بين ألقابه لقب ورّاق ومُجَلِّد حيث كان يُجَلِّد المصاحف بالأجر [٢].

وكانت الجلود الأولى فى القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد، تُصْنَع من خشب السِّدْر المغطى بالجلد والمزين بالرسوم الهندسية العادية وبدون تذهيب غالبًا. أما المصاحف الكبيرة الحجم والخاصة بالمساجد الجامعة فكانت تُجَلَّد بالخشب المزخرف عن طريق تطعيمه بالعاج والعَظْم والسَّدَف أو تثبيته على طبقة من الغراء الشديد، ثم استخدم الورق المضغوط أو المُقَوَّى عوَضًا عن الخشب في تقوية غلاف الكتاب. وبعد انتشار صناعة الورق أقْبَل الناس على تجليد المصاحف والكتب بالورق والجلد مع استخدام الزَّخارف المُكَوَّنَة من الرسوم والخطوط المتشابكة في تزيين هذه الجلود [٣]، كما استخدم الديباج والحرير في تبطين جلود هذه الكتب، فيذكر الخطيب البغدادي أن كتب أصحاب الحَلاج التي جمعها حامد بن العباس وزير المقتدر بالله العباسي في محنة الحَلاج كانت «مُبَطَّنَة بالديباج والحرير، مجلدة بالأديم الجَيِّد» [٤].

---

[١] ابن النديم: الفهرست ١٢.
[٢] المقدسي: أحسن التقاسيم ٣٣، ٣٤، ١٠٠.
[٣] عبداللطيف إبراهيم: المرجع السابق ١١ – ١٢.
[٤] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٨: ١٣٥.

وللأسف فإننا لا نعرف الكثير عن جلود الكتب التي ترجع إلى العصر الإسلامي المُبَكِّر، فما وَصَلَ إلينا منها شيءٌ قليلٌ، وإن كان أكثرها قد صنع في مصر، وتتألَّف زخارفها من أشكال هندسية وخطوط مجدولة أو تُؤَلِّف أشكالا بيضاوية وكلها مقتبسة من زخارف جلود الكتب القبطية. ويرجع فَقد كل أثر لنماذج هذا التجليد المبكر بسبب تدمير المكتبات الإسلامية الكبرى، فقد تَفَرَّقَت مكتبة الفاطميين وأُحرق قسم كبير منها، أولا إبان الشدة العظمى حيث أخذ العبيد جلود هذه الكتب «برسم عمل ما يلبسونه في أرجلهم»، ثم بعد استيلاء صلاح الدين على السلطة في مصر سنة ٥٦٧هـ/ ١٠٧٢م، كما دُمِّرت خزانة الكتب في بغداد بعد سقوطها واجتياح المغول لها سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م[١].

تَطَوُّر صناعة التجليد

ومع ذلك فقد تَقَدَّم المسلمون في بعض الأقطار في فن صناعة وتجليد الكتاب وعرفوا طريقة الدَّق أو الضَّغْط، كما استخدموا التخريم والدهان والتلبيس بالقماش، وكانوا أحيانًا يقطعون الجلد بالرسم الذي يريدونه ثم يلصقونه على الأرضية الملونة ـ وهي عملية في غاية المهارة والدقة ـ عادة ما كانت تُتَّبَع في زخرفة جلدة الكتاب من الداخل ثم يُذَهِّبون الخطوط والرسوم بعد ذلك. وفي بعض الأحيان استخدم المجلدون طريقة قوامها طبقتان من الجلد تُلصَق إحداهما فوق الأخرى[٢].

ولم يقف اهتمام القدماء عند تجليد الكتب فقط، بل اهتموا كذلك بصيانتها وترميمها خاصة في الكتب المتداولة في المكتبات العامة، فقد أوْقَف الخليفة الحاكم بأمر الله على دار الحِكْمَة التي أنشأها في القاهرة سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م اثنتي عشر ديناراً «لمن يَرُمّ ما يَنْقَطع من الكتب وما عساه أن يَسْقُط من ورقها»[٣].

---

[١] المقريزي: الخطط ١ : ٤٠٩ س ٩؛ عبداللطيف إبراهيم: المرجع السابق ١٢ – ١٣.
[٢] زكي محمد حسن: فنون الإسلام ٢٣٠ – ٢٣١؛ عبداللطيف إبراهيم: المرجع السابق ١٣.
[٣] ابن عبدالظاهر: الروضة البهية ١٤٨ س ١٠؛ المقريزي: الخطط ١ : ٤٥٩ س ١٢.

ولم تقتصر صناعة التجليد على مصر وحدها، بل إن بلاد المغرب والأندلس تَفَوَّقت في هذا الفن منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[١]. لكن هذه الصناعة بلغت أوج ازدهارها في إيران، وخاصة في مدينة هَراة إبان القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي إذ خرج الفنانون والمجلدون على الأساليب الهندسية القديمة وأبدعوا في تأليف الزخارف من الرسوم النباتية والمناظر الطبيعية البرية ذات الحيوانات والطيور الحقيقية والخرافية[٢].

وقد استطاعوا الوصول إلى اتقان الزخارف المذكورة بعد أن تَخَلَّوا عن طريقة الضَّغْط بقطعة مدببة من العظم أو الخشب، أو الدق بالآلة المعدنية البسيطة التي تُنْتج الرسوم الهندسية ورسوم الفروع النباتية، واستخدموا القوالب النباتية Estampes التي كانوا يضغطون فيها الجلد بقوة فتظهر فيه النتوءات الشديدة البروز على شكل العناصر الزخرفية والحيوانية بل والصور الآدمية. ولأجل ذلك استعان المجلدون بالمصورين في تصميم بعض رسوم الجلود وعلى الأخص رسم الأشكال الآدمية والزخارف النباتية التي يبدو فيها تأثير أساليب الشرق الأقصى الفنية[٣].

ازدهار التجليد في العصر المملوكي

أما صناعة تجليد المصاحف والكتب في مصر والشام في عصر دولة المماليك فقد بلغت أوْج عظمتها مع نهاية القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادي، ولكن أساس الزخرفة فيها كانت العناصر الهندسية والنباتية ليس غير. وانتجت لنا هذه الفترة أفخر المخطوطات وأثمن المصاحف ذات الزخارف المذهبة والجلود

---

[١] المقري: نفح الطيب ١ : ٦١١-٦١٤.
[٢] زكي محمد حسن: المرجع السابق ٢٣١.
[٣] نفسه ٢٣١.

الفاخرة، حتى يقال أن تيمورلنك استقدم في نهاية القرن الثامن الهجري إلى بلاطه مَهَرَة المجلدين في مصر والشام[١].

ويعتبر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي العصر الذهبي لصناعة تجليد الكتب في مصر والشام من حيث المهارة الفنية، وأصبح لمدينة القاهرة في عصر المماليك مركز الصدارة في إنتاج الكتب والمصاحف وزخرفتها وتجليدها، وخاصة بعد أن اجتذبت الكثير من الفنانين والمجلدين من أنحاء العالم الإسلامي وخاصة من إيران[٢].

ولم تقف عناية المجلدين واهتمامهم عند الجزء الخارجي للجلود بل امتدت إلى باطن الجلدة نفسها وإلى الكعب واللسان كذلك حيث زُيّنت هي الأخرى أبدع تزيين. وكانت معظم جلود الكتب والمصاحف في ذلك العصر تتخذ من جلود الخراف والماعز أو من جلود العجول الصغيرة[٣]. وقد أثّرت فنون العمارة المملوكية وزخارفها كثيراً على فن تجليد الكتب والمصاحف، لدرجة أننا نجد الأشكال الهندسية والنباتية الموجودة على الحجر والجص والخشب، مثل الأطباق النجمية والصُّرَر والجامات، مستعملة في جلود بعض المخطوطات والمصاحف التي ترجع إلى نفس العصر[٤].

وقد وَصَلَت إلينا أمثلة كثيرة لفن صناعة التجليد في العصر المملوكي حَفَلَت بها دور الكتب في مصر وأوربا والعالم الإسلامي، يمكن من خلالها متابعة تطوره وازدهاره ودراسة أساليب الصناعة والزخارف فيه. وكان لكثرة المنشآت الدينية والتعليمية في هذا العصر مثل المدارس والخوانق والمساجد الجامعة دورٌ في ازدهار هذه الصناعة، حيث أهدى سلاطين وأمراء المماليك الكثير من الكتب

---

[١] عبداللطيف إبراهيم : المرجع السابق ١٥ .

[٢] حسن الباشا : التصوير الإسلامي في العصور الوسطى ١٦٥ ؛ عبداللطيف إبراهيم : المرجع السابق ١٦ .

[٣] عبداللطيف إبراهيم: المرجع السابق ١٧

[٤] زكي محمد حسن : المرجع السابق ٢٢٩ ؛ عبداللطيف إبراهيم : المرجع السابق ١٩ .

إلى هذه المدارس وأوقفوها عليها، كما أمروا بكتابة العديد من المصاحف ذات الحجم الكبير لخزائنهم وأوقفوها على هذه المدارس، وكلها تُمَثِّل نموذجًا لما وَصَلَ إليه فن الكتابة والتذهيب والتجليد في هذا العصر من تطور وازدهار لم يشهدها الكتاب العربي قبل ذلك.

وأغلب الجلود التي وَصَلَت إلينا خاصة بالمصاحف والرَّبْعات والتي بدأت منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي تَتَّخذ شكلا موحدًا هو الشكل الأفقى الذي يزيد ارتفاعه عن عرضه وهو المعروف بالمصحف العمودي يتصل بها لسان خماسي الأضلاع تصل مساحته إلى ثلث حجم الكتاب بواسطة ما يُطْلَق عليه «قَنْطَرة اللسان» وهو تطور عن شكل اللسان في الكتب المبكرة.

ويتكون الغلاف من الجلدة الخارجية والبطانة الداخلية وبينهما دفوف من الورق المضغوط، أما الكتاب فيتكوّن من ملازم (كراسات) مخزومة معًا بطريقة تجعل الخيوط تبدو كالسلسلة أو الجديلة في خلفية الملازم (الكراسات) مع تقفية كعب الكتاب، أى تدويره، حتى لا يَنْصرم إلى الأمام فيما بعد.

وتَتَّصل الملازم (الكراسات) بالغلاف الجلد بواسطة الدفوف التي يثبت عليها كعب من القماش ويشبكان معًا بالكراسات من الخلف ويلتصقان بالغلاف الخارجي والبطانة الداخلية، وتترك صفحات بيضاء في أول الكتاب ونهايته لتثبيت أطراف البطانة بها من الجهتين، ثم يشبك الجميع في كعب قماش في رأس وذيل الكتاب منسوجًا في طرفيه بخيوط ملونة.

أما الغلاف الخارجي فكان من الجلد البنى بدرجاته من قطعة واحدة مع الكعب واللسان، أما البطانة فمن الجلد المبشور أو الخفيف وقد يكون من قماش الحرير الأزرق أو الأخضر بدرجاته، واستخدم الغراء في عملية لَصْق الجلود في المصاحف الكبيرة بينما استخدم النشا المُتَّخذ من البر والكثيراء في لَصْق جلود الكتب الصغيرة [1].

[1] سهام محمد المهدي: «خصائص تجليد المخطوطات في العصر المملوكي» في كتاب دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر، لندن ـ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٧، ٧٩.

أما الزخارف الموجودة على جلدة الكتاب وبطانته فقد نُفِّذت بطرق متطورة مثل القَطْع أو التفريغ على أرضية من الحرير الأزرق أو الأخضر والضغط بالأختام أو القوالب الساخنة، واستخدم التذهيب في معظم الزخارف وخاصة المُفَرَّغَة منها فضلا عن استخدامه مضغوطًا على بعض الأغلفة.

واستخدمت طرقٌ كثيرة في التذهيب منها الضَّغْط بالذهب المصهور أو الضَّغْط بصفائح الذهب تحت القوالب الساخنة المنقوشة، وكذلك وضع تلك الصفائح على الزخارف المضغوطة وإعادة الضَّغْط عليها. وفي أواخر القرن التاسع الهجري استخدم التذهيب بالفرشاة[1].

أما بطانة المخطوط فكان يتم زخرفتها قبل قَصِّها بقَدْر الكتاب، واستخدم في زخرفتها قوالب خاصة ذات بروز بعد تسخينها ويبدو أنها كانت قوالب كبيرة الحجم تتسع لضغط زخارف من وحدات وعناصر زخرفية كبيرة، بعكس الغلاف الخارجي الذي كان يتم تقسيمه إلى مَتْن وأركان وإطار ولسان، يحتاج كُلٌ منها إلى نوع خاص من القوالب لا ستخدام وحدات زخرفية متكررة ومتتابعة. وكانت نفس الوحدات الزخرفية تتكرر في المتن والإطار واللسان. ولكن في أحيان أخرى اختلفت زخرفة اللسان عن زخارف العناصر الأخرى[2].

وكان كثيرٌ من المجلدين والمذهبين في العصر المملوكي تُجّارًا للكتب في أسواق الوراقة بالقاهرة مثل: سالم بن محمد بن محمد القُرشي الحموي ثم القاهري الكتبي الذي «تكَسَّب بصناعة تجليد الكتب» [السخاوي: الضوء اللامع ٣ : ٢٤٢] وعمر بن محمد إبراهيم الحلبي الكتبي الذي كان «يَتَكَسَّب بصناعة التجليد» أيضًا [نفسه ٦ : ١١٥] وأبو العباس محمد بن إبراهيم بن محمد بن حطّاب الحلبي الكتبي الذي «كان بارعًا في التجليد» [نفسه ٦ : ٢٧٤ - ٢٧٥] وأبو الفتح محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله الشمسي الذي تَمَيَّز في صناعة التجليد والتذهيب والكتابة وعَمَل المزهرات وقَصّ الورق [نفسه ٩ : ٦] وغيرهم.

---

[1] سهام محمد المهدي: المرجع السابق ٨٠.
[2] نفسه ٨٠.

ومع انتقال السلطة إلى العثمانيين فى أعقاب سقوط المماليك سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م وما صحب ذلك من نَقْل الحرفيين والفنيين من مصر والشام إلى تركيا، ازدهرت هناك صنعاعة تجليد الكتب وأُدْخِلَت عليها فنونٌ جديدةٌ وخاصة فيما يخص تجليد المصاحف والمخطوطات التركية. وقد جَمَعَ جوليان رابي وزيرين تنيندي مجموعة كبيرة من الجلود التركية صدرت عام ١٩٩٣ تُوَضِّح التقنيات المختلفة بصناعة تجليد الكتب التي نشأت في البلاط العثمانى[١].

التَّعْقيبَــــة

واستكمالا لعملية صناعة الكتاب استخدم القدماء لترتيب أوراق المخطوط وكراساته نوعًا من الترقيم اصطلح على تسميته بـ «التَّعَقيبَة» تيسيرًا على مطالعته من جهة ولمساعدة المختصين في صناعة المخطوط كالمرقمين والمجلدين وغيرهم فى ترتيب كراسات (ملازم) المخطوط من جهة أخرى. ويلاحظ أن هذه الخاصية لم تختص بالمخطوط العربي فقط بل عُرِفَت في معظم مخطوطات اللغات الأخرى من سامية وهندوأوربية.

والتَّعْقيبَة تعني أن يُثْبت الناسخ في نهاية الصفحة اليمنى تحت آخر كلمة من السطر الأخير منها أول كلمة في الصفحة التالية، أو أن يكتفي بأن يُثْبت في نهاية كل كراسة أول كلمة في الكراسة التالية بالطريقة نفسها. وتكون عادة أفقية أو مائلة في أسفل الجهة اليسرى من الصفحة اليمنى وقد تجيء أحيانًا عمودية. وقد اسْتُخْدم نظام التَّعْقيبَة كذلك في الطبعات الحجرية القديمة بحيث أننا بتتبعها نستطيع الاطمئنان إلى تسلسل الكتاب.

---

١ - Julian Raby, Zeren Tanindi and Tim Stanley, *Turkish Bookbinding in the 15th century* - *The Foundation of an Ottoman Court Style*, Londom- Azimuth Editions 1993 وانظر كذلك Tanindi, Z., «Manuscripts production in the Ottoman Palace workshop», *MME* 5 (1990-91), pp. 67-98 وعن التجديد الإسلامى عموما راجع Duncan Halden, *Islamic Bookbindings in the Victoria and Albert Museum*, London 1983, pp. 20-66.

ولا شك أن نظام التَّعْقيبَة قديمٌ يرجع إلى بداية القرن الثالث الهجري، فقد وُجدَت في العديد من المخطوطات التي ترجع إلى هذه الفترة، فكتابُ «تاريخ ملوك العرب» لعبدالملك بن قريب الأصْمَعي الذي نسخه ابن السكِّيت بخط يمينه في العاشر من شهر شوال سنة ٢٤٣هـ يحمل التَّعْقيبَة بين صفحاته، وكذلك نسخة «ديوان الفَرَزْدق» التي كتبها أحمد بن أخَيّ الشافعي سنة ٣٣١هـ، ونسخة كتاب «المدخل الكبير في علم أحكام النجوم» لأبي مَعْشَر البَلْخي المؤرخة سنة ٣٢٥هـ[1]. يؤكّد ذلك ما أورده الخطيب البغدادي في ترجمة أبي الحسن علي بن المغيرة الأثْرَم صاحب النحو والغريب واللغة المتوفى في جمادى الأول سنة ٢٣٢هـ/ ٨٨٥م، نقلا عن أبي عمرو بن العلاء قال:

> «حَدثَني أبو مسحل عبدالوهاب قال: كان إسماعيل بن صبيح الكاتب أقْدَم أبا عُبَيْدَة في أيام الرشيد من البصرة إلى بغداد، وأحْضَرَ الأثْرَم ـ وكان وَرّاقًا في ذلك الوقت ـ وجعله في دار من دوره وأغلق عليه الباب ودَفَعَ إليه كتب أبي عُبَيْدَة وأمره بنسْخها، قال [أبو مسْحَل]: فكنت أنا وجماعة من أصحابنا نصير إلى الأثْرَم فيدفع إلينا الكتاب من تحت الباب ويُفَرِّق علينا أوراقًا ويَدْفَع إلينا ورقًا أبيض من عنده ويسألنا نسخه وتعجيله ويوافقنا على الوقت الذي نَرُدُّه عليه فيه، فكنا نفعل ذلك، وكان الأثْرَم يقرأ على أبي عُبَيْدَة ويسمعه، قال: وكان أبو عُبَيْدَة من أضَنّ الناس بكتبه ولو علم بما فعله الأثْرَم لمنعه منه ولم يسامحه»[2].

فهذا الذي فعله الأثْرَم لا يمكن أن يتم إلا إذا كان هناك نوعٌ من الترقيم للورق هو دون شك التَّعْقيبَة حتى يستطيع النُّسّاخ الاهتداء به في عملية النَّسْخ. وظلت التعقيبة من أهم ما يميز ترتيب أوراق وكراسات المخطوط العربي حتى ظهور الطباعة بل إنها استخدمت في كثير من الطبعات الحجرية.

---

[1] أحمد شوقي بنبين: «التعقيبة في المخطوط العربي»، في كتاب دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي ٧١ - ٧٩.

[2] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٢ : ١٠٨؛ ياقوت: معجم الأدباء ١٥ : ٧٧ - ٨٧؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٢ : ٢١٤.

تطوّر الخطّ العربيّ

انتهت الأبحاث العلمية إلى أن العرب أخذوا طريقتهم في الكتابة عن طريق الأنْباط الذين كانوا يسكنون قبل الإسلام في المناطق المجاورة للعرب الحجازيين في تبوك ومدائن صالح والعُلى في شمال الحجاز، وذلك اعتماداً على ما عُثر عليه من نقوش نبطية في هذه الأماكن مثل نقش أم الجمال الأول «٢٥٠م» ونقش النَّمَارة «٣٢٨م»[١] ونقش زَبَد «٥٢١م» ونقش أسيس «٥٢٨م» ونقش حَرّان «٥٦٨م» ونقش أم الجمال الثاني الذي يرجع إلى القرن السادس الميلادي. فقد لاحظ بعض العلماء من خلال تَتَبُّع هذه النقوش ومقارنتها بأقدم ما وصل إلينا من خطوط عربية إسلامية سواء أكانت كتابات أثرية أم كتابات على الرَّقّ أو على البرديات، إن هذه النقوش النبطية يمكن أن تُمَثِّل مرحلة انتقال من الخط النَّبَطي إلى الخط العربي في صدر الإسلام.

وتذكر المصادر العربية هذا الخط الذي انتهى إلى العرب عن طريق الأنْباط بعدة أسماء منها: الخط الأنباري والخط الحيري والخط المَدَني والخط المكّي، وكلها خطوط عرفها العرب قبل الإسلام واشتقوها من خط الأنْباط، ثم عرف هذا الخط بالخط البَصْري والخط الكُوفي وهما الخطان اللذان عرفهما العرب بعد الإسلام[٢].

---

[١] Bellamy, J. A., «A New Reading of the Namarah Inscription», *JAOS* 105 (1984), pp. 31 - 48.

[٢] راجع، خليل يحيى نامى: «أصل الخط العربى وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام»، مجلة كلية الآداب ـ الجامعة المصرية ٣ (١٩٣٥)، ١ - ١١٢؛ Abbott, N., *The Rise of the North Arabic Script and its Kur'ānic development, with a full description of the Kur'ān manuscripts in the Oriental Institute*, Oriental Institute publications, t. L, Chicago 1938؛ المنجد، صلاح الدين: دراسات فى تاريخ الخط العربى منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموى، بيروت ـ دار الكتاب الجديد

الخَطُّ العَرَبِي المُبَكِّر

ومعلوماتنا عن هذه الخطوط المبكرة ضئيلة للغاية وقد أشار ابن النديم فى «الفهرست» إلى بعض خصائص الخطين المكى والمدنى، يقول: «فأول الخطوط العربية الخط المكى وبعده المدنى ثم البصرى ثم الكُوفى. فأما المكى والمدنى ففى ألفاته تعويج إلى يمنة اليد وأعلا الأصابع وفى شكله انضجاع يسير»[١].

وما ذكره ابن النديم يدل على أنه لم تكن هناك ثمة فروق خصائصية واضحة بين الخط المكى والخط المدنى.

وقد وَصَلَت إلينا وثيقةٌ هامةٌ تدلنا على صفة الخط المدنى وليونته هى بردية مؤرخة فى عام ٢٢هـ/ ٦٤٣م تعرف بـ«بردية أهناسية» عبارة عن إيصال باستلام أغنام صادر عن عامل لعمرو بن العاص على أهناسية من قرى مصر (وهى محفوظة فى مجموعة الأرشيدوق رينر بالنمسا برقم ٥٥٨).

كما تحتفظ المكتبة الأهلية في باريس ببعض المصاحف المكتوبة بالخط الحجازي، وأدَّى الاكتشاف الكبير الذي تم في الجامع الكبير بصنعاء اليمن في سنتي ١٩٦٥ و ١٩٧٢ إلى العثور على عدد كبير من المصاحف المكتوبة بالقلم الحجازي وبالقلم الكوفي المبكر وأغلبها مُدَوَّن على الرَّق[٢].

= ١٩٧٢؛ محمد طاهر الكردي: تاريخ الخط العربي وتطوره، بغداد ١٩٧٤؛ محمود شكري الجبوري: نشأة الخط العربي وتطوره، بغداد ١٩٧٤؛ عبدالعزيز الدالي: الخطاطة ـ الكتابة العربية، القاهرة ١٩٨٠؛ Healey, John F., « Nabataen to Arabic: Calligraphy and script development among the pre-Islamic Arabs », *MME* 5 (1990 - 91), pp. 41-52; Gruendler, B., *The Development of the Arabic Scripts From Nabateam Era to the First Islamic Century According to dated Texts*, Atlanta 1993. ؛ درمان، أوغور: فن الخط ـ تاريخه ونماذج من روائعه على مر العصور، استانبول ـ إرسيكا ١٩٩٠.

[١] ابن النديم: الفهرست ٩.

[٢] Déroche, Fr., *Les manuscrits du Coran. Aux origines de la calligraphie coranique*, Paris B. N. 1983 ؛ دار الآثار الإسلامية: مصاحف صنعاء، الكويت ١٩٨٥.

أمـا الخط البَـصْري فلـم تصل إلينا منه أمثلة نسـتطيع أن نَتَـعَـرَّف منهـا على صفته وأغلب الظن أنه كان والخط الكوفي شيئًا واحدًا لقرب ما بينهما من العهد والمكان ـ لا يكاد يميز أحدهما عن الآخر إلا اختلاف في درجة الإجادة نتج عن التنافس المعروف بين مدرستي الكوفة والبصرة[١].

ويُرَجَّح أن تكون تسمية الخطوط بأسماء المدن جاءت نتيجة لأن العرب ـ الذين كانوا يجهلون الكتابة قبل الإسلام ـ تلقوا هذه الخطوط مع السلع المجلوبة فسموها بأسماء الجهات التي وردت منها، خاصة وأن الخط العربي قبل عصر النبوة قد عُرف بالخط النَّبَطي لأنه أتى إلى بلاد العرب من بلاد النَّبَط مع التجارة التي كان يمارسها القرشيون مع الأنباط، كما عُرف بـ «الحيري» و«الأنباري» لأنه أتى إلى بلاد العرب مع تجارة إقليم السَّواد عن طريق دَوْمَة الجَنْدل. وبانتهاء الخط إلى مكة والمدينة عُرف باسميهما ثم أُطلق عليه اسم الإقليم كله حيث عرف فيما بعد «بالخط الحجازي»[٢]. وهي تسمية محدثة لا توجد في المصادر القديمة.

خُطوطُ المَصاحف المُبَكِّرَة

ذكر ابن النديم في «الفهرست» أن الخطوط التي كتبت بها المصاحف هي: المكي والمدني، وينقسم الخط المدني إلى المُدَوَّر والمثلث والتئم ـ وصفة كل من المدور والمثلث واضحة من اسميهما أما التئْم فيبدو أنه جمع بين النوعين ـ ثم الكوفي والبصري والمَشْق والتجاويد والسلواطي والمصنوع والمائل والراصف والأصفهاني والجلي والقيراموز (وهو خط العَجَم) وهو نوعان: الناصري والمدور[٣].

---

[١] إبراهيم جمعه: دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة، القاهرة ـ دار الفكر العربي ١٩٦٩، ١٩.

[٢] نفسه ١٩ ـ ٢٠.

[٣] ابن النديم: الفهرست ٩.

وأضاف بعد ذلك أن الناس لم يزالوا يكتبون على مثال الخط القديم إلى أول الدولة العباسية (١٣٢هـ/ ٧٥٠م) فحين ظهر الهاشميون اختصت المصاحف بهذه الخطوط وحَدَث خَطٌ يسمى العِراقي وهو المُحقق الذي يسمى وَرّاقي[١].

وعلى الرغم من معرفتنا بأنواع هذه الخطوط من خلال ما ذكره ابن النديم، فإنه ليس فى استطاعتنا أن ننسبها إلى أزمانها لأننا لم نعثر لها على أمثلة مؤرخة فيما عدا نماذج قليلة من الخط الحجازي (المائل) وخط المَشْق[٢].

ويُرَجَّح أن يكون أقدم الخطوط استعمالا فى تدوين المصحف هو الخط المكي والخط المدني الذي يعد الخط الحجازي المائل تطورًا لهما، ثم خط البصرة وخط الكوفة، وتبع ذلك بقية الأقلام التي اخترعت بقصد التحسين والتجويد، يؤيد ذلك ما ذهب إليه نولدكة فى كتابه عن «تاريخ القرآن» من أن مصحف عثمان كان بالخط المكي وأن مصحفي ابن مسعود وأبي موسى بن قَيْس كانا بالخط الكوفي[٣].

ويدل على قدم الخط الحجازي (المائل) والذي استخدم في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري، خلوه من النَّقط وحركات الإعراب.

أما خط المَشْق (وهو الخط السريع) والذي تَطَوَّر أولا في مكة والمدينة خلال القرن الهجري الأول في نفس الوقت الذي أخذ فيه الخط الكوفي المبكر في التطور، فأهم صفاته المط والامتداد الأفقي لبعض الحروف لأنه كان يُكْتَب بسرعة مما يؤدي إلى إطالة استمداداته الأفقية على حساب ارتفاع أصابعه وضيق ما بين سطوره تبعًا لذلك.

وقد نُسبَ إلى عمر بن الخطاب الخليفة الراشدي الثانى قوله : «شَرُّ القراءة

---

١ ابن النديم: الفهرست ١١.

٢ راجع كتاب، مصاحف صنعاء - دار الآثار الإسلامية، الكويت ١٩٨٥.

٣ إبراهيم جمعة: المرجع السابق ٦٢.

الهَذْرَمَة وشَرُّ الكتابة المَشْق وأجود الخط أَبْيَنُه»[1] وإن صح ذلك فنستطيع أن نضع هذا النوع من الخط في زمن واحد مع أقدم خطوط المصاحف وهما الخطان المكي والمدني (الحجازي) .

وقد أدَّى ما في خط المَشْق من التمطيط والمد غرضين : إمكان إحداث التساوي بين أطوال السطور ، واتخاذ هذا التمطيط وسيلة من وسائل التجميل في الخطوط الكوفية عامة .

وقد شاع في كتابة المصاحف الكوفية عمومًا **الخط المُحَقَّق** وهو خط مبسوط نشأ في العراق وتُعْرَف له سلالتان إحداهما بها مسحة من التربيع أكسبتها فخامة مناسبة لتدوين القرآن وهو يجمع بين الجفاف والليونة أقرب إلى التربيع والزوايا ، استخدم في كتابة المصاحف الكبرى طوال القرون الثلاثة الأولى للهجرة حتى حَلَّ محله خَطُّ النَّسْخ الذي ابتدعه ابن البَوّاب ، والأخرى أخف وأكثر تدويرًا ، استخدمت في الأغراض الكتابية العامة دون القرآن وهو ما عرف بالمُحَقَّق الوَرّاقي أو خط التحرير الذي استخدمه الورّاقون في النَّسْخ ، وهذا الخط هو الذي نال تجويدًا ظاهرًا فيما بعد على يد ابن مُقْلَة وابن البَوّاب .

كُتَّاب المُصْحَف

ذكر ابن النديم أن أول من كتب المصاحف في الصدر الأول ويوصف بحُسْن الخط خالد بن أبي الهيّاج قال : «رأيت مصحفًا بخطه»[3] . وذكر أيضًا أن سعد خُصَّه كان يكتب المصاحف والشعر والأخبار للخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك ، وهو الذي كتب الكتاب الذي في قبْلَة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالذهب من ﴿والشَّمْسُ وضُحَاهَا﴾ إلى آخر القرآن[4] . ومن كُتَّاب المصحف

---

١ أبو حيان : رسالة في علم الكتابة ٣٨ ؛ ابن الصلاح : مقدمة ابن الصلاح ٣٠٤ .
٢ إبراهيم جمعه : المرجع السابق ٢٨ .
٣ ابن النديم : الفهرست ٩ و ٤٦ .
٤ نفسه ٩ .

أيضًا أبو يحيى مالك بن دينار البصري مولى أسامة بن لُؤَي «كان يكتب المصاحف بالأجرة» ومات بالبصرة سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٨م قبل الطاعون بيسير[١].

ويذكر ابن أبي داود السِّجِسْتاني أن جابر بن زَيْد الأزدي المتوفى سنة ٩٣هـ/ ٧١١م دَخَلَ عليه فوَجَدَه يكتب المصحف فقال له: «مالك صنعة إلا أن تنقل كتاب الله من ورقة إلى ورقة، هذا والله كَسْب الحلال، هذا والله كَسْب الحلال»[٢].

وأول من كتب المصحف في أيام الدولة الأموية شخصٌ يدعى قُطْبَة يُعْزَى إليه استخراج الأقلام الأربعة: الجليل والطومار والثُّلُث والثلثين واشتقاق بعضهما من بعض، قال ابن النديم: «قُطْبَة أكتب الناس على الأرض بالعربية». ثم كان بعده الضَّحَّاك بن عَجْلان الكاتب في أول خلافة بني العباس فزاد على قُطْبَة فكان بعده أكتب الخلق. ثم كان بعده إسحاق بن حَمَّاد في خلافة المنصور بالله والمهدي بالله العباسيين[٣].

أما أشهر كُتّاب المصحف في عصر الخليفة هارون الرشيد فكانا خُشْنام البصري ومَهْدي الكوفي، يقول ابن النديم: «لم يُر مثلهما إلى حيث انتهينا»[٤]، وأيضًا أبو حُدَي الذي كان يكتب المصاحف اللطاف في أيام المعتصم[٥].

الشَّكْل والإعْجام

نتيجة لحركة الفتوح العربية الكبرى ولدخول العديد من الأمم غير العربية في دين الإسلام بدأ يظهر اللَّحْن في قَوْل هؤلاء وخُشي على القرآن أن يتطرق إليه اللَّحْن، فطَلَبَ زياد بن أبيه والي البصرة من أبي الأَسْوَد الدُّؤَلي مؤسِّس علم

---

[١] ابن النديم: الفهرست ٥٩؛ ابن قتيبة: المعارف ٤٧٠، ٥٧٧.

[٢] ابن أبي داود السجستاني: كتاب المصاحف ١٣١؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤: ١٣٩.

[٣] ابن النديم: الفهرست ١٠.

[٤] نفسه ٩.

[٥] نفسه ١٠.

النحو العربي المتوفى سنة ٦٩هـ/ ٦٨٨م أن يضع طريقةً لإصلاح الألسنة يتمكن من خلالها الناس من إصلاح كلامهم وإعراب كتاب الله .

فبدأ أبو الأسْوَد الدُّؤَلى في وضع «شَكْل» الحروف وأخذ الناس عنه هذه الطريقة فكانوا يضعون نقطة فوق الحرف للدلالة على فتحته ، ونقطة تحت الحرف للدلالة على كسرته ، ونقطة عن شماله للدلالة على ضمته ، ولا يضعون شيئًا على الحرف الساكن ، وإذا كان الحرف مُنَوَّنًا يضعون نقطتين فوقه أو تحته أو عن شماله ، فاعتبر أبو الأسود بذلك «أوَّل من نَقَط المصحف» .

ولم تشتهر طريقة أبى الأسْوَد الدُّؤَلى إلا فى المصاحف حرصًا على إعراب القرآن . أما الكتب العادية فكان شكلها نادراً لأن المكتوب إليهم كانوا يعدون ذلك تجهيلاً لهم[1] .

والإعجام هو تمييز الحروف المتشابهة بوضع نُقَط لمنع العُجْمَة أو اللَّبْس وقد خَلَت النقوش التي عثر عليها حتى الآن وكذلك الكتابة النبطية التي اشتقت منها اللغة العربية من النقط .

يذهب بعض العلماء إلى أن النَّقْط كان معروفًا قبل كتابة المصحف الإمام (مصحف عثمان) ثم عُدل عنه قصداً وجُرِّد القرآن منه حتى إذا اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وكثر الأعَاجم الذين أسلموا أو فتح العرب بلادهم تَطَلَّب الأمر وضع طريقة جديدة لضبط قراءة المصحف .

وظَلَّ المسلمون يقرأون في مصحف عثمان أكثر من أربعين عامًا ، إلى أن كثر التصحيف في العراق حتى طلب الحَجَّاج بن يوسف الثَّقَفى والي العراق في عصر عبدالملك بن مَرْوان إلى كُتّابه أن يضعوا علامات لتمييز الحروف المتشابهة . وتَولّى عملية الإصلاح الثاني في الكتابة العربية نَصْر بن عاصم الليثي ويحيى بن

---

[1] راجع ، ابن أبي داود السجستاني : كتاب المصاحف ١٤٤-١٤٧ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ١٥٦ - ١٦٧ .

يَعْمُر العدواني تلميذي أبي الأسْوَد الدُّؤَلي فقررا وضع نقط لتمييز الأحرف المتشابهة.

فلتمييز الدال من الذال أهملت الأولى وأعجمت الثانية بنقطة واحدة ملوية، وكذلك الراء والزاي، والصاد والضاد، والطاء والظاء، والعين والغين، وجعلا تمييز السين من الشين بإهمال الأولى وإعجام الثانية بثلاث نقاط لأن لها ثلاث أسنان. وأما الباء والتاء والثاء والنون فلم تجعل واحدة منهن مهملة بل أعجمت كلها، أما الجيم والحاء والخاء فقد جعلت الحاء مهملة وأعجم الأخريان واحدة من تحت والأخرى من فوق. أما الفاء والقاف فكان القياس أن تهمل أولاهما وتعجم أخراهما بنقطة كباقي الأحرف الزوجية مثل الدال والذال والراء والزاي ولكن المشارقة ذهبوا إلى نقط الفاء بنقطة من أعلى والقاف باثنتين من أعلى أيضًا، وذهب المغاربة إلى نقط الفاء بواحدة من أسفل والقاف بواحدة من أعلى[١].

ولما كان هذا الإصلاح يستدعي اشتباه نقط الشكل بنقط الإعجام قَرَّرَ نَصْر ويحيى أن تكون نُقَط الشكل بالمداد الأحمر ونُقَط الإعجام بنفس مداد الحروف.

وفي عصر الدولة العباسية أراد الناس أن يجعلوا «الشَّكْل» بنفس مداد الكتابة تيسيراً للأمر. وحَلَّ هذا الالتباس عالم اللغة الشهير الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى نحو سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٩م بوضع طريقة أخرى للشكل باستخدام ثمان علامات جديدة للشكل على صورة شُرَط رفيعة تُرْسَم بسن القلم أعلى وأسفل الحروف وعلامات التنوين الاصطلاحية المعروفة والهمزات، وهي العلامات التي مازالت تستخدم إلى الآن[٢].

---

١ راجع، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢ : ٣٢؛ الصفدي: تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، ١٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣ : ١٥١ - ١٥٥.

٢ راجع درمان، أوغور: المرجع السابق ١٧ - ٢٠.

تَطَوُّر الخط العربي

وفي الوقت نفسه أخذ الخط العراقي وهو المُحَقَّق الذي كان يكْتُب به الورّاقون في التَحَسُّن حتى عصر الخليفة المأمون عندما قام رجلٌ يعرف بالأحْوَل المُحَرِّر كان من صنائع البرامكة وكان يُحَرِّر الكتب النافذة من السلطان إلى ملوك الأطراف في الطوامير بوضع قوانين ورسوم للخط وجعله أنواعًا. وهو الذي استحدث قلم الطومار وقلم الثلثين وقلم السجلات[1] وربما كان الرجل هو إبراهيم بن عبدالله بن الصبّاح بن بشر السَّعْدي الذي كان ابنه إسحاق المكنى بأبي الحسين يُعَلِّم المقتدر وأولاده ووَضَع رسالة في الخط والكتابة سمّاها «تحفة الوامق». يقول ابن النديم: «لم ير في زمانه أحسن خطًا منه ولا أعرف بالكتابة» وكان إخوته وأبناؤه «في نهاية حُسْن الخط والمعرفة بالكتابة» [2]. ثم أحدث بعد ذلك الوزير ذو الرياستين الفضل بن سَهْل قلمًا عرف بالرياسي.

وكانت بداية تحويل الخط العربي من الشكل الكوفي إلى الشكل الذي هو عليه الآن على يد الأحْوَل المُحَرِّر، ثم أتمه بعده الوزير أبو علي محمد بن علي بن الحسن بن مُقْلَة وزير المقتدر والقاهر والراضي والمتوفى سنة ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م الذي انتهت إليه وأخيه أبي عبدالله جَوْدَة الخط وتحريره على رأس الثلاثمائة كما يقول القلقشندي[3] وإن بقي فيه تكويفٌ ما[4]. كذلك فإن ابن خلدون في مقدمته الشهيرة يصف لنا كيف تزعمت بغداد عملية تطوير الكتابة العربية، يقول:

> «خالفت أوضاع الخط ببغداد أوضاعه في الكوفة، في الميل إلى إجادة الرسوم وجمال الرونق وحسن الرواء واستحكمت هذه المخالفة في الأعصار إلى أن رَفَعَ رايتها ببغداد علي بن مُقْلَة ثم تلاه في ذلك علي بن هلال الكاتب الشهير بابن البَوّاب. ووقف سند تعليمها في المائة الثالثة وما بعدها، وبعدت

---

[1] ابن النديم: الفهرست ١١؛ ياقوت: معجم الأدباء ٦ : ٥٩.
[2] نفسه: ١١ - ١٢؛ نفسه ٦ : ٦٠ - ٦١؛ الصفدي: الوافي ٨ : ٣٩٣.
[3] القلقشندي: صبح الأعشى ٣ : ١٣.
[4] الصفدي: الوافي ٢٢ : ٢٩٠.

رسوم الخط البغدادي وأوضاعه عن الكوفة حتى انتهت إلى المباينة»[١].

ويعد ابن مُقْلَة أوّل من هَنْدَس الحروف وقَدَّر مقاييسها وأبعادها بالنُّقَط وضبطها ضبطًا محكمًا، واستخلص من الأقلام الموجودة ستة أقلام هي: الثُّلُث والنَّسْخ والتوقيع والرَّيْحان والـمُحَقَّق والرِّقاع[٢]، وأصبح يطلق على هذا الخط المنضبط «الخط المنسوب». ويمكن اعتبار ابن مُقْلَة وبحق منشئ الخط الـمَنْسوب، وكانت طريقته هي إكساب كل حرف من حروف الهجاء نسبة محددة إلى حرف الألف مما أدَّى إلى تنظيم قياسي دقيق للحروف الهجائية. وقد لَخَّص روبرتسون A. Robertson هذا الابتكار تلخيصًا رائعًا بقوله:

«لقد ابتكر ابن مُقْلَة طريقةً جديدةً للقياس بواسطة النُّقَط. كان رَسْم النقطة من الناحية الهندسية يتم بوضع سن القلم على الورق ثم تحريكه نزولا مع الضغط الكافي لفتح شقيه إلى أقصاهما ثم تركهما ينضمان ثانيةً من تلقائهما وبسرعة. وبهذه الطريقة يتكَوّن مُرَبَّع أو مُعَيَّن. وباتخاذ النقطة وحدة للقياس (كانت النقطة لهذا الغرض توضع متلامسة بزواياها) قَوَّم ابن مُقْلَة الألف الكوفية التي كانت قبل ذلك ذات شكل مائل إلى اليمين على هيئة قوس يشبه طرف مضرب الهوكي، ثم جَعَلَ منها معيارًا للقياس . . . وكانت خطوته التالية هي تعديل الحروف الكوفية حرفًا حرفًا ليجعلها تتلاءم والأشكال الهندسية، وبذلك أصبح من السهل قياسها. ثم حَدَّدَ لكل منها نسبة مع الألف، فإذا كان الحرف مثلا ذا شكل استداري مثل الراء أو النون الخ . . . فإن قُطْر الدائرة التي تُكَوّنها هذه الاستدارة يعادل طول الألف، وهكذا دواليك»[٣].

---

[١] ابن خلدون: المقدمة ٩٦٧.

[٢] انظر ترجمة ابن مقلة عند، ابن خلكان: وفيات ٣: ٣٤٢، ٥: ١١٣ – ١١٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٤: ١٠٩ – ١١٠؛ Abbot, N., «The Contribution of Ibn Muklah to the North-Arabic Script», *AJSLL* 56 (1938), pp. 70-83; Sourdel, D., *EI²* art. *Ibn Mukla III*, pp. 882-886.' Tabbaa, Y., «The Transformation of Arabic Writing: Part I, Qur'ānic Calligraphy», *Ars Orientalis* 21 (1992), pp. 121-130.

[٣] Robertson, A. ct.Rice, D. S., *The Unique Ibn al-Bawwāb Manuscripts in the Chester Beaty Library*, Dublin 1955, pp. 13 - 14.

ووصف الثعالبي خط ابن مُقْلَة بقوله :

«يضرب مثلا في الحسن لأنه أحسن خطوط الدنيا وما رأي الراؤون بل ما روى الراوون مثل ارتفاعه عن الوصف وجريه مجرى السِّحْر»[١] .

ورأى ابن النديم مصحفًا بخط ابن مُقْلَة [٢]، كما رأى ابن البَوّاب كذلك مصحفًا من ثلاثين جزءًا بخطه في خزانة كتب بهاء الدولة بن عَضُد الدولة بشيراز ينقص جزءًا أتمه هو بخطه[٣]. ومع ذلك فقد ذكر القلقشندي أنه رأى

«من الكتب بخط الأقدمين فيما قبل المائتين ما ليس على صورة الكوفي بل يَتَغَيَّر عنه إلى نحو هذه الأوضاع المستقرة وإن كان هو إلى الكوفي أمْيَل لقُرْبه من نقله عنه»[٤] .

وذَكَر الثَّعالبي، المتوفى سنة ٤٢٩ هـ، أن ابن مُقْلَة :

«كتب كتاب هُدْنة بين المسلمين والروم بخطه، وهو إلى اليوم عند الروم في كنيسة قسطنطينية يبرزونه في الأعياد ويعلِّقونه في أخص بيوت العبادات ويعجبون من فرط حسنه وكونه غاية في فنه»[٥] .

ولم يصل إلينا ـ للأسف الشديد ـ أي أثر من آثار ابن مُقْلَة التي خطها بيده، ولكن الشيء المؤكَّد أن النماذج الناضجة التي وَصَلَت إلينا من القرن الرابع الهجري مثل كتابات مُهَلْهَل بن أحمد (نسخة كتاب المقتضب في النحو للمبرد المحفوظة في مكتبة كوبريلي باستانبول رقم١٥٠٨) وغيره تحمل طابع مدرسته .

ثم قام أبو الحسن علي بن هلال البغدادي الكاتب المعروف بابن البَوّاب[٦] في

---

[١] الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٣٤٤.

[٣] ابن النديم: الفهرست ١٢ .

[٣] ياقوت الحموي: معجم الأدباء ١٥ : ١٢٣ - ١٢٤ .

[٤] القلقشندي : صبح ٣ : ١١ .

[٥] الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٣٤٥ .

[٦] انظر ترجمته عند، ياقوت: معجم الأدباء ١٥ : ١٢٠ - ١٣٤؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ : ٣٤٢ - ٣٤٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٢ : ٢٩٠ - ٢٩٥؛ كذلك سهيل أنور: الخطاط البغدادي علي بن هلال المشهور بابن البواب(بالتركية)، نقله إلى العربية محمد بهجة الأثري وعزيز سامي، بغداد ـ مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٥٨ - Sourdel - Thomine, J., *EI²*., art. *Ibn al-Bawwāb* III, pp. 736 - 737 ' Rice, D. S., *The Unique Ibn al-Bawwab Manuscripts, in the ChesterBeaty Library*, Dublin 1955 ; Tabbaa, Y., *op. cit.* pp. 130 - 140

أوائل القرن الخامس بإكمال قواعد الخط العربي وهندسته وأتمها واخترع غالب الأقلام التي بدأها ابن مُقْلَة وخاصةً في النَّسْخ والثُّلُث وهَذَّبهما وصَحَّحهما[١] وزاده تعريباً ودَوَّر حروفه[٢]. وكان ابن البَوّاب في أول أمره، كما يقول ياقوت «مُزَوِّقًا يُصَوِّر الدور ثم صَوَّر الكتب ثم تعانى الكتابة ففاق فيها المتقدمين وأعجز المتأخرين»[٣]. ولا شك أن عمل ابن البَوّاب بالتصوير والتذهيب هو الذي أعانه على استنباط ما زاده في الكتابة وغَيَّرَه من الأوضاع، كما يقول الصَّفَدي[٤].

وقد وَصَفَ روبرتسون كذلك التحسين الذي أدخله ابن البَوّاب على الخط العربي وصفًا دقيقًا بقوله:

«لا شك أن ابن مُقْلَة قد أضفى جمالا على الكتابة، ولكن هذا الجمال ينحصر في الشكل الهندسي الذي أكسبها إيّاه وفي الدقَّة الحسابية التي نَفَّذها بها، أي أن فنه في الكتابة كان يوحي بالحركة الدينامية. أما ابن البَوّاب، الذي جاء بعد ذلك بقرن من الزمان، فهو الذي أضفى عليها العنصر الفني الذي كان يفتقر إليه الخط المَنْسوب الذي ابتدعه ابن مُقْلَة. وكان ابن البَوّاب يتمتّع بحاسة فطرية نحو التوافق والحركة عَبَّرَ عنهما بانسياب الخطوط ورشاقة انثناءاتها وهو - كما قال عنه المؤلفون - قد نَسَجَ على حرْفَة ابن مُقْلَة، والحق أنه كان مُبْدع الخط المَنْسوب الرشيق دون أن يكون هناك خلط بين الاثنين ودون أن نُقَلِّل من الفضل الذي يستحقه ابن مُقْلَة كمُجَدِّد»[٥].

وعندما سئل صاحب «الرسالة في الكتابة المنسوبة» عن سبب تسمية هذه الكتابة المنسوبة أهو لتناسبها أم لأنها نسبت إلى واضعها؟ أجاب بأنه

«لم تَقْنَع النفس من صورة حروفه وأوضاع كلمه بدون صحة نسبته الوضعية كما تناسبت أعضاء الحيوان وتوازنت أجزاء النبات، لأن النفس

---

[١] القلقشندي: صبح ٣ : ١٣.
[٢] الصفدي: الوافي ٢٢ : ٢٩٠.
[٣] ياقوت: معجم الأدباء ١٥ : ١٢١؛ الصفدي: الوافي ٢٢ : ٢٩١.
[٤] الصفدي: الوافي ٢٢ : ٢٩١.
[٥] .Robertson, A. ct. Rice, S. D., *op. cit.* p. 14 - 15

عاشقة في الجمال مجبولة على حب الحُسْن، وهو التناسب الطبيعي مرئيًا كان أو مسموعًا.

لكن خيره . . . هو ما ناسب كل حرف مجاوره وما بعد مجاوره وما قبله في كلمته واعتدلت مقاديره»[1].

ثم يستطرد الكاتب المجهول فيقول إنه من المتعذر التوصل للكمال في الكتابة عن طريق خط الحروف المستقيمة بمسطرة أو المستديرة ببركار

«فلذلك لا يوجد في كل عصر إلا الكاتب بعد الكاتب، وذلك لإعجاز هذه الصناعة بدقة المذاهب»[2].

ثم يضيف الكاتب نفسه أن من جاءوا قبل ابن البَوّاب قد اجتهدوا في إصلاح الخط الكوفي ولكن محاولاتهم لم تؤد إلا إلى ترطيبه وألا يُرَى إلامن خارج زواياه. وأنه رأى أن ابني مُقْلَة قد أتقنا قلمي التوقيعات والنَّسْخ ولكنهما لم يرسخا في إتقانهما فكمَّل هو معناهما وتمَّمَه. ووجد شيخه محمد بن أسد يَنْسَخ الدواوين ومجاميع الشعر بنَسْخ قريب من المُحَقّق فأحكمه، كذلك فقد

«حَرَّر ابن البَوّاب قلم الذهب وأتقنه ووَشَّى برد الحواشي وزَيَّنَه، ثم بَرَعَ في الثُّلُث وخفيفه وأبدع في الرقاع والريحان وتلطيفه، ومَيَّز قلم المتن والمصاحف وكتب بالكوفي فأنسى القرن السالف»[3].

وقد اختتم الكاتب المجهول رسالته بالقول بأن ابن البَوّاب قد فاق جيل الخَطّاطين الذين سبقوه بفضل موهبته ومهارته في مختلف أنواع الخطوط، وأن الذين حاولوا تقليده بعد ذلك لم يفلحوا إلا في نوع واحد أو نوعين من الكتابة[4]

والظاهر أن ابن البَوّاب لم ينتفع أثناء حياته بالقيمة الفائقة التي قُدِّرَت بها أعماله بعد وفاته فيروي ياقوت الحموي أنه وَجَدَ رُقْعَةً بخطه قد كتبها إلى بعض

---

[1] خليل محمود عساكر: «رسالة في الكتابة المنسوبة»، مجلة معهد المخطوطات العربية ١ (١٩٥٥) ١٢٤.

[2] نفسه ١٢٥.

[3] نفسه ١٢٦.

[4] نفسه ١٢٦ – ١٢٧.

الأعيان في نحو السبعين سطرًا يسأل فيها مساعدة صاحبه ابن منصور إنجاز وَعْد وعده به لا يساوي دينارين، وقد بيعت بسبعة عشر دينارًا إمامية، وبَلَغَه أنها بيعت مرة أخرى بخمسة وعشرين دينارًا [١].

وسرعان ما أصبحت النُّسَخ التي كَتَبَها ابن البَوَّاب نادرة وكان عارفو قدرها يدفعون فيها أثمانًا عالية، فيروي ياقوت الحموي أيضًا أن محمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن البَرْفَطي المتوفى سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م، الذي وصفه بأنه «أوْحَد عصره في حُسْن الخط»، خَلَّف خمسة وعشرين قطعةً بخط ابن البَوَّاب قال:

> «لم تجتمع في زماننا عند كاتب، وكان يغالي في شرائها... فحصل له منها ما لم يحصل لأحد غيره. وجدت عنده أكثر من عشرين قطعة بخطه أرانيها» [٢].

وكان البَرْفَطي قد بدأ حياته مُعَلِّمًا، فلما جاد خَطُّه صار محرِّرًا، وكان يُكنّ لابن البَوّاب تقديرًا كبيرًا وكان على استعداد لأن يدفع ثمنًا باهظًا في سبيل الحصول على ورقة مكتوبة بخطه، وقد اطَّلَع ياقوت الحموي على أكثر من عشرين قطعة بخط ابن البَوّاب كانت عنده. ويروي ياقوت كيف حَصَلَ البَرْفَطي على إحدى القطع التي كتبها ابن البَوّاب بخطه، يقول:

> «وحدثني قال: بلغني عن رجل مُعَلِّم في بعض محال بغداد أن عنده جُزازًا كثيرًا ورثه عن أبيه، فخُيِّل لي أنه لا يخلو من شيء من الخطوط المنسوبة، فمضيت إليه وقلت له: أُحبُّ أن تُريني ما خَلَّف لك والدُك عسى أن أشتري منه شيئًا، فصَعَدَ بي إلى غرفة وجلست أُفَتِّش حتى وَقَعَ بيدي ورقة بخط ابن البَوّاب [للأسف سقط هنا بعض الكلام من نص ياقوت] قَلَمَ الرِّقاع أرانيها أيضًا، فضَمَمْتُ إليها شيئًا آخر لا حاجة بي إليه وقلت له: بكم هذا؟ فقال لي: يا سيدي ما صَلَحَ لك في هذا كله شيءٌ آخر؟ قلت له: أنا الساعة

[١] ياقوت: معجم الأدباء ١٥ : ١٢١ – ١٢٢.
[٢] نفسه ١٧ : ٢٧٨، ٢٨٠.

مستعجلٌ ولعلّي أعود إليك مرةً أخرى . فقال : هذا الذي اخترته لا قيمة له فخذه هبةً مني . فقلت : لا أفعلُ وأعطيته قطعة قُراضَة مقدارها نصف دانق، فاستكثرها وقال : يا سيدي ما أخذت شيئًا يساوي هذا المقدار فخُذْ شيئًا آخر، فقلت : لا حاجة لي في شيء آخر، ثم نزلت من غرفتي فاستحييت وقلت هذا مخادعةٌ، ولا شك أنه قد باعني ما جهله، ووالله لا جعلت حَقّ خط ابن البَوّاب أن يُشتَرى بالمخادعة، فعُدْت إليه وقلت له : يا أخي هذه الورقة بخط ابن البَوّاب، فقال : وإذا كانت بخط ابن البَوّاب فأيّ شيء أصنع؟ قلت له : قيمتها ثلاثة دنانير إمامية . فقال : يا سيدي لا تَسْخَر بي، ولعلك قد عزمت على رَدِّها فخذها وخُطَّ الذهب . فقلت : بل أحضر ميزانًا للذهب فأحضرها، فوزنت له ثلاثة دنانير وقلت له : بعتَني هذا بهذا؟ فقال : بعتك، فأخذتها وانصرفت»[1] .

ووَضَعَ ابن البَوَّاب رسالةً في علم الخط وأخرى في أصول الكتابة وبَرْي القلم منها نسخة في مكتبة رفاعة الطهطاوي بسوهاج برقم ٢٤ فلك، ونَسَخَ المصحف بيده أربعًا وستين مرة إحداها بالخط النَّسْخ ومكتوبة على الورق لا تزال محفوظة في مكتبة شيستربتي بدبلن تحت رقم ١٤٣١ كتبت سنة ٣٩١هـ/ ١٠٠٠م نشرها D. S. Rice بالفاكسميلي وقدم عنها دراسة في وصفها وعن دور ابن البَوّاب في تطور الخط العربي[2]، وقد اعتبر D. S. Rice هذا المصحف هو المخطوط الوحيد الذي وَصَلَ إلينا بخط ابن البَوّاب وأن المخطوطات الأخرى المنسوبة لابن البواب ليست إلا نسخًا مُزَوَّرَة[3] . وذكر الصَّفَدي أنه رأى « من خطه كثيراً وملك منه قطعة بقلم الرِّقاع»[4] .

---

[1] ياقوت : معجم الأدباء ١٧ : ٢٨٠ – ٢٨١ .

[2] Rice, D. S., *The Unique Ibn al-Bawwāb Manuscripts in the Chester Beaty Library,* Dublin 1955. وانظر فيما يلي ص

[3] منها : «رسالة مدح الكتب والحث على جمعها» للجاحظ في متحف الأوقاف باستامبول برقم T2014، و«ديوان الحادرة» في دار الكتب المصرية برقم ٢١٤٥ أدب و«شعر سلامة بن جَنْدَل» في مكتبة بغداد كشك باستانبول برقم ١٢٥ .

[4] الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٢ : ٢٩١ .

وكـانت وفـاة ابن البَـوَّاب سنة ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م وقـيل سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣٢م[١].

وقد لاقت طريقة ابن البَوّاب في الكتابة كثيراً من المُقَلّدين ومن بينهم الكثيرات من النساء منهن فاطمة بنت الحسن بن علي العَطّار المعروفة ببنت الأقْرَع المتوفاة سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م التي كتبت الاتفاق الذي عقد بموجبه الهُدْنَة بين العباسيين والبيزنطيين، وكانت في خدمة العميد أبي نَصْر الكُنْدَري في بلاد الجبل[٢].

أما مؤرخ حلب الشهير كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جَرادَة المعروف بابن العَديم المتوفى سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م فيرى البعض أن كتابته فاقت كتابة ابن البَوّاب وبلغت الغاية في الجودة والإتقان، وتنبّأ له مُعَلّمه في الكُتّاب وهو مازال في السابعة من عمره بأنه إذا عاش لا يكون في العالم أكْتَب منه، يقول ياقوت:

«وصَحّت لعمري فراسة المُعَلّم فيه، فهو أكتب من كل من تَقَدّمه بعد ابن البوّاب بلا شك»[٣].

وكان والده يُحَرِّضه على تجويد الخط ويتولّى صَقْل الكاغَد له بنفسه، ورغم أن خطه لم يكن بالجَيِّد فإنه كان يعرف أصول الخط ويُمَيِّز بين الجيد والرديء منه، وكان عنده خط ابن البَوّاب وكان يريه أصوله إلى أن أتقن منه ما أراد، ثم كَتَبَ على محمد بن أحمد بن البَرْفَطي السابق ذكره عندما وَرَدَ إلى حلب[٤]. ويذكر

---

[١] انظر فيما يلي ص ٢٠٨ - ٢١٠. وأورد محمد بهجة الأثري قصيدته الرائية في ثنايا تذييله لكتاب سهيل أنور عن الخطاط البغدادي علي بن هلال المذكور أعلاه بين صفحتي ٣١ - ٣٣، كما نشرها وعلّق عليها بشرح ابن الوحيد المصري المتوفى سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م هلال ناجي في مطبعة المنار بتونس سنة ١٩٦٧ ثم نشرها باسم «شرح المنظومة المستطابة في علم الكتابة» بشرح ابن بصيص النحوي وشرح ابن الوحيد المصري متداخلين في مجلة المورد العراقية ١٥/ ٤(١٩٨٦).

[٢] ياقوت: معجم الأدباء ١٦ : ١٧٢.

[٣] نفسه ١٦ : ٣٩.

[٤] نفسه ١٦ : ٤٢.

ياقوت أن خط كمال الدين العديم شاع ذكره في البلاد وتهاداه الملوك، وأن مّما رَغَّب في خطه

«أنه اشترى وَجْهَةً واحدةً بخط ابن البَوّاب بأربعين درهمًا، ونَقَلَها إلى ورقة عتيقة ووَهَبَها من حَيْدر الكتبي، فذَهَبَ بها وادَّعى أنها بخط ابن البَوّاب وباعها بستين درهمًا زيادة على التي بخط ابن البَوّاب بعشرين درهمًا، ونَسَخَ لي هذه الرُّقعة بخطه فدفع فيها كُتّاب الوقت على أنها بخطه دينارًا مصريًا»[1].

وقد وَصَلَت إلينا بعض مؤلفاته بخطه يتَّضح منها أنه تأثَّر تأثُّرًا كبيرًا بخط ابن البَوّاب.

وممن اشتهر أيضًا بالكتابة على طريقة ابن البَوّاب أبو طالب المبارك بن المبارك بن المبارك الكَرْخي المتوفى سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م، قال ياقوت:

«سمعت جماعةً يحكون أنه لم يكتُب أحدٌ قبله ولا بعده مثله في قلم الثُّلُث، حتى رأيت من يُغالي فيه فيقول: إنه كَتَبَ خيرًا من ابن البَوّاب، وكان ضنينًا بخطه جدًا لذلك قَلّ وجوده: كان إذا اجتمع عنده شيءٌ من تجويداته يستدعي طَسْتًا، ويغسله فأما إذا استفتي فإنه كان يكسر قلمه ويَجْهَد في تغيير خطه»[2].

وكذلك أمين الدين ياقوت الموصلي المتوفى سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢٠م أحد موالي السلطان ملكشاه السلجوقي، قال ابن الأثير:

«لم يكن في زمانه من يُؤَدّي طريقة ابن البَوّاب مثله»[3].

ويشير ابن خلدون في مقدمته إلى ما طرأ على الخط العربي بعد ابن مُقْلَة وابن البَوّاب اللذين باعدا بين رسوم الخط البغدادي وخط الكوفة، يقول:

---

[1] ياقوت: معجم الأدباء ١٦: ٤٥ – ٤٦.

[2] نفسه ١٧: ٥٦ – ٥٧.

[3] ابن الأثير: الكامل ١٢: ٤٠٥.

«ثم ازدادت المخالفة بعد تلك العصور بتفنن الجهابذة في إحكام رسومه وأوضاعه، حتى انتهت إلى المتأخرين مثل ياقوت والولي علي العجمي؛ ووقف سند تعليم الخط عليهم، وانتقل ذلك إلى مصر وخالفت طريقة العراق بعض الشيء، ولقّنها العَجَم هناك فظهرت مخالفة لخط أهل مصر أو مباينة»[1].

كانت بغداد مركزًا لكل هذه التطورات على مدى خمسة قرون ثم جاء جمال الدين ياقوت بن عبدالله المُسْتَعْصمي الرومي، الذي عاش في عهد آخر خلفاء العباسيين، المتوفى سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م المعروف بـ «قِبْلَة الخطاطين» آخر أشهر الخطاطين البغداديين ليلعب دورًا مهمًا في تطوير الخط العربي وتجويده مضفيًا على الخط كمالا وحُسْنًا جعلت منه رائدًا لمن جاء بعده من الخَطّاطين. وقد بَلَغَت عظمة ياقوت المُسْتَعْصمي حَدًا فاق مكانة ابن مُقْلَة وابن البَوَّاب، واتَّسَمَ خَطُّه بالرِّقَّة والرَّشاقة ويُنْسَب إليه شَذْب القلم بطريقة تجعل جَرَّاته الثخينة منها والرفيعة أكثر تميزًا وروعة. وأصبح هو المثل الذي اجتهدت الأجيال اللاحقة من الخطاطين في أن تحذو حذوه، وكتب ياقوت العديد من المصاحف والكتب مازال بعضها محفوظًا في دار الكتب المصرية والمتحف البريطاني وخُدابخش بتنه بالهند وفي مكتبة خزينة الملحقة بمتحف طوب قبو سراى باستانبول وفي مجموعة خليلي بلندن، ومع ذلك فإن المشكلات المتعلقة بتحديد المصاحف المنسوبة له كثيرة جدًا لدرجة أنها تحتاج إلى دراسة مستقلة.

وعاصر ياقوت المُسْتَعْصمي ستة من أساتذة الخط اشتهروا بأنهم تلاميذ ياقوت المُسْتَعْصمي وهم الذين اتَّبع طريقتهم الخطاطون اللاحقون في زمن التيموريين والصفويين والعثمانيين. ورغم قيمة وأهمية هؤلاء الستة فإننا لا نكاد نعرف أي شيء عن حياة معظمهم وهم: أرْغون بن عبدالله الكاملي، ونصر الله الطبيب المعروف أيضًا بناصر الدين مُتَطَبِّب، ومبارك شاه بن قطب التبريزي

---

[1] ابن خلدون: المقدمة ٩٦٧ – ٩٦٨.

المسمى «زارين قلم»، ويوسف المشهدي الخراساني، وسيد أو مير حيدر المسمى «كُنْده نويس»، وأحمد بن السُّهْرَوَرْدي المسمى «شيخ زاده». وقد وصلت إلينا العديد من المصاحف التي تحمل توقيع هؤلاء الخطاطين الذين كانت لهم مكانة عالية حتى أن الناس بدأوا في عمل نسخ تقليد لأعمالهم ناهيك عن التزوير[1].

وبعد ياقوت المستعصمي أصبح فن الخط بما له من علاقة وطيدة بكل العلوم والفنون، ساحة التنافس البارزة في مجال الفنون. وفقدت بغداد ـ أو العراق بمعنى أصح ـ مكانتها كمركز ريادي في توجيه فن الخط بعد سقوط الخلافة. وفي القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين لقى الخط تقديراً وتشجيعًا عظيمين من السلاطين والوزراء والأمراء ابتداء من عهد الإيلخانيين والتيموريين والجلايريين[2]. وشهدت مدن مثل مَشْهَد وهراه في فارس مرحلة تطورت فيها صناعة الكتاب وبلغ فيها الخط وتذهيب الكتاب وتزيينه وتجليده شأنًا كبيراً.

أما مصر في عصر المماليك فتدل الكتابات الكثيرة الموجودة على العمائر المملوكية والمصاحف الضخمة التى وصلت إلينا على أنها أصبحت المركز الهام الثاني بعد بغداد مباشرةً في فن الخط حتى نهاية القرن التاسع الهجري، يقول ابن خلدون الذي كان في مصر في نهاية القرن الثامن ومطلع القرن التاسع الهجري:

> «ثم لما انحلّ نظام الدولة الإسلامية وتناقصت، تناقص ذلك أجمع ودَرَسَت معالم بغداد بدروس الخلافة، فانتقل شأنها من الخط والكتابة بل والعلم إلى مصر والقاهرة، فلم تزل أسواقه بها نافقة لهذا العهد، وله بها معلمون يرسمون للمتعلم الحروف بقوانين في وضعها وأشكالها متعارفة بينهم، فلا يلبس المتعلم أن يحكم أشكال تلك الحروف على تلك الأوضاع»[3].

---

[1] James, D., *Qur'ans of the Mamluks*, pp. 76 - 77

[2] انظر فيما يلى ص٣١٦ – ٣١٩.

[3] ابن خلدون : المقدمة ٩٦٨.

وقد صارت في مصر طريقة ابن البَوّاب جنبًا إلى جنب مدرسة بغداد وما ابتدعه ياقوت المستعصمي حتى ظهور المدرسة العثمانية في الخط. وتدلنا الأعمال التي أنتجها العصر المملوكي[١] ووصلت إلينا على مدى ما وَصَلَ إليه فن الخط في هذه الفترة[٢].

ومن أشهر الذين حذوا حذو ياقوت المُسْتَعْصِمي في مصر شرف الدين أبو عبدالله محمد بن شريف بن يوسف الذُّرْعي الدمشقي المعروف بابن الوحيد الكاتب المتوفى سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م، الذي سافر إلى بغداد واجتمع بياقوت المُسْتَعْصِمي، وصار شيخ التجويد في مصر يُضْرَب بجَوْدَة خطه المثل[٣]، قال عنه الصفدي:

> «صاحب الخط الفائق والنَّظْم والنثر، كان تام الشكل حسن البَزَّة موصوفًا بالشجاعة متكلمًا بعدَّة ألسُن يُضْرَب المثل بحُسن كتابته . . . وكان قد اتَّصَل بخدمة بيبرس الجاشنكير وأعجبه خطه فكتب له خَتْمَة في سبعة أجزاء بليقة ذهبية قلم الأشعار ثُلُث كبير قَطْع البغدادي، دَخَلَ فيها جملة من الذهب أعطاه لها الجاشنكير برَسْم الليقة لا غير ألفًا وستمائة دينار أو ألفًا وأربعمائة دينار، فَدَخَل الخَتْمَة ستمائة دينار وأخذ الباقي، فقيل له في ذلك فقال: متى يعود آخر مثل هذا يكتب مثل هذه الخَتْمَة؟ وزَمَّكها صَنْدَل المُذَهِّب **رأيتها في جامع الحاكم** وفي ديوان الإنشاء في قلعة الجبل غير مرة **وهي وقفٌ بجامع الحاكم**، وما أعتقد أن أحدًا يكتب مثلها ولا مثل تزميكها فإنهما كانا فردي زمانهما. وأخذ من الجاشنكير عليها جملة من الأجرة . . . وكتب الأقلام السبعة طبقة وأما فصاح النَّسْخ والمُحَقَّق والرَّيْحان فما كتبه أحدٌ أحسن منه»[٤].

---

[١] انظر فيما يلي ص٣١٣ – ٣٢٤.
[٢] درمان، أوغور: المرجع السابق ٢٥.
[٣] المقريزي: المقفى الكبير ٥: ٧٢٠ – ٧٢١.
[٤] الصفدي: الوافي بالوفيات ٣: ١٥٠ – ١٥١؛ المقريزي: المقفى ٥: ٧٢١.

وقد وَصَلَ إلينا هذا المصحف الذي يُعْرف بـ «مصحف بيبرس الجاشنكير» ومنه أجزاء في مكتبة المتحف البريطاني برقم Add 22406-13 ودرسه David James في مقال صدر عام ١٩٨٤[١].

وزَيْن الدين عبدالرحمن بن يوسف بن الصّائغ القاهري المتوفى سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م، والصائغ حرفة أبيه. نشأ بالقاهرة وتَعَلَّم الخط المنسوب من النور الوسيمي ولازمه في إتقان قلم النَّسْخ حتى تَفَوَّق فيه عليه، وأحب كذلك طريقة ابن العفيف فسلكها وفاق أهل زمانه في حُسْن الخط كما يقول السَّخاوي، ونَسَخَ عدَّة مصاحف والكثير من الكتب والقصائد وصار شيخ الكُتّاب في وقته دون مُدافع[٢].

ووَصَلَ إلينا بخط ابن الصّائغ المصحف الذي كتبه للسلطان الناصر فرج بن برقوق سنة ٨٠١هـ وهو محفوظٌ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١ مصاحف ومصحف آخر كتبه سنة ٨١٤هـ ثم آل بعد ذلك إلى السلطان المؤيد شيخ المحمودي وهو محفوظٌ الآن بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٦ مصاحف.

كذلك فقد وَضَعَ ابن الصّائغ رسالة عنوانها «تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب» نشرها هلال ناجي وصدرت عن دار بوسلامة بتونس سنة ١٩٦٨.

ومحمد بن الحسن بن محمد بن أحمد بن عمر الطِّيبي الشافعي، أحد كبار الخطّاطين في القرن العاشر الهجري. أخَذَ الكتابة عن محمد بن كَزْل العيساوي وجمال الدين الهيتي والشيخ ياسين ووَصَلَ إلينا بخطه نسخة من كتابه «جامع محاسن كتابة الكُتّاب ونُزْهَة أولي البصائر والألباب» على طريقة ابن البَوّاب التي

---

[١] James, D., « Some Observations on the Calligrapher and Illuminators of the Koran of Rukn al-Dīn Baybars al-Jāshnagīr », *Muqarnas* II (1984),pp. 147 - 157 وانظر فيما يلي ص٣١٣ - ٣١٦.

[٢] السخاوي : الضوء اللامع ٤ : ١٦١ - ١٦٢.

أخذها بالتسلسل عن شيوخه، وهذه النسخة محفوظة في مكتبة قغوش الملحقة بمتحف طوبقبوسراي باستانبول برقم ٨٨٢ (ومنها مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ١٦٤ ادب) جاء على غلافها :

«جمعه وكتبه بخطه
محمد بن حسن الطّيبي»

وفي وسط الصفحة

«من كتابة العبد الفقير إلى الله تعالى
محمد بن حسن بن محمد بن أحمد بن عمر الطيبي
الشافعي في يوم الأربعاء المبارك ثاني عشر
شهر رجب الفرد سنة ثمان وتسعمائة من الهجرة النبوية
غفر الله تعالى له ولوالديه ولمن نظر فيه ولكل المسلمين
برسم خزانة
المقام الشريف مولانا
السلطان الملك الأشرف أبي النصر
قانصوه الغوري
عز نصره»

وقد نَشَرَ هذه النسخة بالتصوير وقدّم لها الدكتور صلاح الدين المنجد وصدرت في بيروت عن دار الكتاب الجديد سنة ١٩٦٢، ثم أعاد هلال ناجي نشرها وصدرت في تونس عام ١٩٦٧.

وقد أشار القلقشندي في الربع الأول للقرن التاسع الهجري إلى أنواع الخطوط التي كانت شائعة في مصر المملوكية في هذه الفترة التي استخدم أغلبها الخطاطون في كتابة المصاحف والرّبعات ووثائق ديوان الإنشاء وسائر المؤلفات الأدبية[1]، وهي: الطومار ومختصر الطومار، والثُّلُث وخفيف الثُّلُث، والتوقيع

---

[1] القلقشندي: صبح الأعشى ٣ : ٤٧ – ١٣٨. وانظر كذلك Gacek, A., « Al-Nuwayrī's Classfica-tion of Arabic Scripts », *MME* II (1987), pp. 126 - 130

والرِّقاع، والمُحَقَّق والرَّيْحان، والغبار والمنثور، والحواشي. وقسم من هذه الخطوط ما هو إلا اختلاف جسامات من نفس الأسلوب، أما القسم الآخر فهو أشكال قريبة لبعضها البعض من ناحية الأسلوب. فالرَّيْحان مثلا هو فرع في المُحَقَّق وفي جسامة النصف منه، وقد وُلِدَ المُحَقَّق والرَّيْحان من الخط الذي طوَّره الورّاقون والنُّسّاخ العلماء بوجه خاص ليكون خطًا للكتب، وقد وَصَلَت إلينا العديد من المصاحف والربّعات المملوكية المكتوبة بالخطين المُحَقَّق والرَّيْحان، وهما خطان استخدمهما ياقوت المستعصمي ومعاصروه في استنساخ المصاحف. أما خطيّ الثُّلُث والنَّسْخ فلم يبلغا نفس الكمال إلا مع ظهور المدرسة العثمانية، ومع مرور الوقت أصبح الثُّلُث ومن ورائه النَّسْخ يحتلان مكانة المُحَقَّق والرَّيْحان في كل استخداماتهما تقريبًا[1].

ومن أهم أنواع الخطوط المشرقية التي ظهرت حتى القرن التاسع الهجري ووجد بعضها استحسانًا عظيمًا فيما بعد: خط التعليق وخط النستعليق (نسخ ـ تعليق). وقد نشأ خط التعليق في إيران في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي تقريبًا ثم اكتسب خصائصه المعروفة في القرن السابع، واستخدم هذا الخط لأجل المكاتبات الرسمية ولم يُسْتخدم في نَسْخ الكتب، ومن ثَمّ فقد طوَّروا لهذا الغرض نوعًا آخر من الخط عرف باسم النستعليق كان أكثر مطاوعة لذلك وانتشر استخدامه بدرجة تلي درجة النَسْخ[2]. واستخدم بكثرة في استنساخ الكتب الأدبية وخاصة دواوين الشعر ومجاميعه اعتبارًا من عصر التيموريين بصفة خاصة. وعاش هذا النوع عصره الذهبي في إيران حتى القرن الحادي عشر الهجري[3].

وإذا كانت طريقة ابن البَوّاب وأسلوبه في الكتابة قد استمرت في مصر جنبًا إلى جنب طريقة ياقوت المستعصمي، فإن تركيا في عصر الدولة العثمانية عرفت

---

[1] درمان، أوغور: المرجع السابق ٢٦.
[2] نفسه ٢٧.
[3] نفسه ٣٣.

منذ مطلع القرن التاسع الهجري مدرسةً جديدةً في فن الخط تأثّرت في بادئ الأمر بمدرسة ياقوت المستعصمي ولكن سرعان ما أصبحت لها سماتها الخاصة التي مَهّدت السبيل للدخول إلى العصر الذهبي لفن الخط الإسلامي يأتي على رأسها الشيخ حَمْد الله بن مصطفى دده المعروف بابن الشيخ الأماسي (٨٣٣ - ٩٢٢هـ/ ١٤٢٩ - ١٥٢٠م) الرائد الأكبر للخطاطين الأتراك، فبظهوره بدأ في تركيا عهدٌ جديدٌ متألّق استمر طويلا حتى يومنا هذا. فقد تَعَلَّم الشيخ حَمْد الله الأقلام الستة (وهي: الثُلُث والنَّسْخ والمُحَقَّق والرَّيحان والتوقيع والرِّقاع) وأخذها عن خَيْر الدين المَرْعَشي الذي كان يكتب على طريقة ياقوت المُسْتَعْصمي.

وعندما تولّى السلطان بايزيد العثماني العرش في عام ٨٦٦هـ/ ١٤٨١م، دعا الشيخ حَمْد الله إلى استانبول ليصبح معلمًا للخط في السَّراي العثماني، ونَجَح بدَعْم من السلطان في جَمْع كل خطوط ياقوت الموجودة وكتاباته في خزانة البلاط العثماني [المعروفة الآن بمكتبة خزينة الملحقة بمتحف طوبقبو سراي] ودَرَس أسلوبها حتى استطاع أن يُبْدع لنفسه أسلوبًا خاصًا ويَشْرَع في الكتابة ويتميز بها حتى عرف بـ «قِبْلَة الكُتّاب»[1].

وقد أدْخَل الشيخ حَمْد الله على خَطَّي النَّسْخ والثُلُث إصلاحات أساسية، فأضفى جمالا باهرًا على هذين الخطين، فبينما نجد عند ياقوت أن الحروف التي تُخَطّ من أعلى إلى أسفل (أ. ك. ل.) لم تكن متوازية، فإنها أصبحت عند الشيخ حَمْد الله متوازية دائمًا[2].

ومن بين السبعة وأربعين مُصْحَفًا التي كتبها الشيخ حَمْد الله، تحتفظ مكتبات السليمانية وطوبقبوسراي باستامبول والمتحف البريطاني بانجلترا وشيستربتي بإيرلندا ومكتبة الكونجرس الأمريكي بعدد منها.

---

[1] جورج عطية: «المخطوطات العربية والإسلامية في مكتبة الكونجرس الأمريكي - مصحف الشيخ حَمْد الله الأماسي»، في كتاب المخطوط العربي وعلم الخط ٤٨.

[2] نفسه ٥١؛ درمان، أوغور: المرجع السابق ٣٠

واعتباراً من أوائل القرن العاشر الهجري أخذ أسلوب الشيخ حمد الله يحتلّ المكانة التي كانت لياقوت في أراضي الدولة العثمانية. وفي الفترة نفسها ظهر خطّاطٌ كبيرٌ آخر ذاعت شهرته في استانبول أيضًا هو أحمد قره حصاري الذي كان يسعى لإحياء طريقة ياقوت المستعصمي واستطاع أن يُقَدِّمَ بعض الأعمال بهذه الطريقة، ولكن طريقته لم تستطع الصمود سوى لجيل واحد من الخطاطين حتى أن بعض تلاميذ القره حصارى عادوا ليسلكوا مسلك الشيخ حمدالله الأماسي. وقد عَبَّرَ أوغور درمان عن الفرق بين أسلوب الخطاطين الكبيرين بقوله:

«إن الشيخ حمد الله بَرَعَ في رسم الحروف وتجويد الخط، بينما برع القره حصارى في ابتكار تراكيب الجليّ على وجه الخصوص»[1].

وشهد الربع الأخير من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي مرحلة جديدة في تطور الخط العربي إذ ظهر في استانبول أستاذٌ آخر للخط هو الحافظ عثمان الذي استخرج من أعمال الشيخ حمدالله أسلوبًا جديدًا حيث جَمَعَ بذوقه الخاص الروائع المُتَفَرِّقة في كتابات الشيخ وأعاد إبداعها في كتاباته من جديد حتى يمكن القول أن بمجيء الحافظ عثمان انقضى عهد الشيخ حمد الله. وكما تَعَلَّم السلطان بايزيد على يدي الشيخ حمد الله الأماسي تَعَلَّم كلٌّ من السلطان مصطفى الثاني والسلطان أحمد الثالث الخط على يد الحافظ عثمان، ومن ثَمّ فإن فنون الكتاب ومن جملتها فن الخط وجدت في عهديهما اهتمامًا كبيرًا وتشجيعًا عظيمًا[2].

وهكذا فقد استقرت في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي الأقلام الستة المعروفة بالطريقة التي طورها الحافظ عثمان ثم لم تلبث أن انتشرت في أراضي الدولة العثمانية فيما عدا المغرب العربي.

---

[1] درمان، أوغور: المرجع السابق ٣٠.
[2] نفسه ٣١.

وفي أواخر هذا القرن شهد الخط الثُّلُث الجليّ، الذي كان مستخدما بصورة خاصة على جدران العمائر الضخمة كالمساجد والقصور، تطوراً كبيراً على يد خطاط آخر هو مصطفى راقم الذي كان رسامًا أيضًا، فَبَرَع في رسم بعض الحروف بنسب مختلفة تَتَّفق وحاجة المكان الذي ستوضع فيه من حيث البُعْد والارتفاع[1].

ويتسم خط الثُّلُث بالانسيابية والرشاقة، ونظراً لأنه لا يكتب بالسرعة التي يُكْتب بها خط النَّسْخ فقد جرى استخدامه لغايات فنية وليس لغاية الكتابة[2]. وهو ما زال يستخدم إلى اليوم في كتابة عناوين وأغلفة الكتب بطريقة جمالية، خاصة وأنه يتَمَيّز عن سائر الخطوط بأنه يمكن وضعه في تراكيب وأشكال جمالية تشتمل على طبقتين أو أكثر من الحروف توضع فوق بعضها البعض تبعًا لترتيب قراءتها في الجملة. ولا يكتمل هذا النوع من الخط إلا بعلامات التشكيل كما يجرى ملء فراغاته برموز مخصوصة توضع فوق الحروف المهملة أو تحتها.

---

[1] درمان، أوغور: المرجع السابق ٣١ – ٣٢.
[2] نفســه ٣٢.

نشأة التدوين
وطرق التأليف عند المسلمين

اشتهر بين عامة الناس من غير ذوي التتبُّع والاستقصاء أن «الحديث» أو ما يُطلقُ عليه علماء الحديث لفظ «العلم» ظَلَّ أكثر من مائة سنة يتناقله العلماء حفظًا دونَ أن يكتبوه واستمر هذا الظن أكثر من خمسة قرون متتابعة وهو يزداد تَوَسُّعًا ويَطَّرد قوةً[1].

وعلى ذلك فإن الدراسات المتوافرة لدينا ـ فيما عدا استثناءات طفيفة ـ تُصِرُّ على مفهوم خاطئ مُؤدّاه «أن الرِّواية الإسلامية لم تكن إلا شفوية»[2]. ولا يظهَر هذا المفهوم فقط فى معرض الحديث على رواية الحديث النبوى بل في الأخبار التاريخية والأدبية وخاصة للذين درسوا «تاريخ» الطَّبري وكتاب «الأغانى» لأبي الفرج الأصفهاني على سبيل المثال، حتى ذهب سوفاجيه J. Sauvaget إلى القول «بأن المؤرخ مضطرٌ إلى تجميع بحثه لتاريخ القرون الأولى للإسلام من معلومات لا قاعدة لها تعتبر وليدة المصادفة فى كثير أو قليل»[3].

وقد تَنَبَّه لأهمية توضيح خطأ هذا الظن مؤرخ بغداد الكبير أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م وألَّف كتابه الهام «تقييد العلم» ليُوَضِّح فيه خطأ هذه الفكرة.

وكان أول من اكتشف هذا الكتاب المستشرق الألمانى شبرنجر Sprenger سنة ١٨٥٥ وكتب مقالا مُوَسَّعًا حول التدوين المبكر للرواية الإسلامية نَقَلَ فيه

---

[1] يوسف العش، مقدمة كتاب تقييد العلم للخطيب البغدادى ٥.
[2] Sezgin, F., *GAS* I, 236
[3] Sauvaget, J., *Introduction à l'histoire de l'Orient musulman* pp. 29 - 30

نصوصًا منه وأثبت عدم صحة الرأى القائل بأن الحديث كان يُتداول أساسًا بالرواية الشفوية[١]. ثم اعتمد جولدزيهر Godziher على هذا المقال وأضاف إليه نصوصًا أخرى تُثْبت أيضًا أن القول بأن الحديث كان يُتناقل حفْظًا ليس إلا مجرد وَهْم وخطأ. مع ذلك فقد ذَهَب جولدزيهر إلى أن مؤلِّفي مجموعات الحديث في القرن نفسه مثل «صحيح البخارى» و«صحيح مُسْلم» لم ينتقوا مادتهم من مصادر مُدَوَّنَة موجودة بل اعتمدوا فى ذلك على مصادر شفوية، وهو حال كتب الفقْه أيضًا[٢]. ويرى جولدزيهر كذلك أن التَحَرُّج الدينى والاهتمامات العقائدية للفرق الإسلامية قد دفعت فى وقت تال إلى كراهة تدوين الحديث، وبذلك عاد الرأى الخاطئ إلى الظهور مرة أخرى[٣]. غير أن جولدزيهر تَبَنَّى في الوقت نفسه فكرة كان مسارها النحو التالى:

> «ليس هناك ما يمنع افتراض أن الصحابة والتابعين أرادوا المحافظة على أقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) وما نهى عنه، فقاموا بتقييدها خوفًا عليها من الضياع.... أوَكان من الجائز أن تترك أقوال الرسول لمصادفات الحفظ في الصدور في مجتمع كانت الأقوال المأثورة للناس العاديين تحفظ فيه بالتدوين؟!»[٤].

ثم توافر على دَرْس هذه القضية العالم التركى فؤاد سزجين فى كتابه «تاريخ التراث العربى»[٥] الذي يُعَدُّ أحسن ما كتب في هذا الموضوع، ووَصَلَ فيه إلى

---

١ Sprenger, A., «On the Origin of Writing down Historical Records among the Musulmans», *JRSB* XXV (1856), pp. 303 - 329, 375 - 381.

٢ Goldziher, I., *Muhammadanishe Studien, Halle* 1890, p. 194 s.

٣ فؤاد سزكين. «أهمية الإسناد فى العلوم العربية والإسلامية» فى كتاب محاضرات فى تاريخ العلوم العربية والإسلامية (منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت ١٩٨٤)، ١٣٢.

٤ نفسه ١٣٣.

٥ Sezgin, F., *Geschichte des arabischen Schrifttums,* I- IX, Leiden - Brill 1967-1990

نتائج هامة سأعتمد عليها فيما يلي. فهو يرى أن هذا المفهوم الخاطئ والغريب يَرْجِعُ إلى سوء فهم الرواية الإسلامية ذات الشكل المتميز الفريد. فمن الحقائق المعروفة بصفة عامة أن أقدم المصادر التي وَصَلَتَ إلينا وندين لها بما نعرفه عن القرون الأولى للإسلام وعن التطور العلمي فى ذلك الوقت، تُقَدِّم لنا مادتها في الأغلب الأعم مصحوبةً بأسانيدها التي نشأ لبحث خصائصها المتميزة علمٌ من علوم الحديث هو علم «الجَرْح والتعديل».

فقد دَفَعَت الحوادث التاريخية وعلى الأخص ما يَتَعَلَّق منها بالخلافات السياسية إلى إنشاء ما عُرِف بـ«الإسناد»[١] في وقت مُبَكِّر من الحياة الفكرية فى صدر الإسلام. وقد حَدَّد يوسف هوروفتس J. Horovitz زمن نشأته في الثلث الأخير من القرن الهجري الأول، فقد كان لزامًا على من يروي خبرًا سواء تَعَلَّق بنَصٍّ ديني أم بغير ذلك أن يذكر شاهدًا أو أكثر، وكانت هذه هى مهمة الإسناد في البداية[١].

وبناء عليه يُؤَكِّد فؤاد سزجين أن كتب علم أصول الحديث وكذلك الأخبار والقصص التي وَصَلَت إلينا في المصادر تُثْبت في وضوح حقيقة أن الإسناد كان يشير منذ البداية إلى نصوص مُدَوَّنة.

فإذا أراد الباحث تقدير قيمة المواد المتعَلِّقَة بالقرنين الأول والثانى للهجرة في المصادر التي وصلت إلينا اعتمادًا على الإسناد، فعليه أن يتحَرَّر من الآراء القائلة بأن هذه الأخبار ظلَّت تُتداول شفاهًا على مدى مائة وخمسين عامًا، أو أن المُحَدِّثين قد اخترعوا الإسناد في نهاية القرن الثاني للهجرة أو في القرن الثالث للهجرة وأضافوه إلى الأخبار فدُوِّنت به بعد ذلك، وعليه أن يَنْظُر إلى هذه المؤلّفات باعتبارها كتبًا مجموعة من مصادر مُدَوَّنة تعود بدورها إلى مصادر مُدَوَّنة أقدم[٢].

---

[١] انظر مقال فؤاد سزكين المذكور أعلاه في الهامش رقم٣ ص٧٤.

[٢] Sezgin, F., *GAS* I, 240, 241

فمن المعروف أن بعض خلفاء الأمويين حَثُّوا على جَمْع الأحاديث وعلى الأخص عمر بن عبدالعزيز (٩٧ - ١٠١هـ/ ٧١٧ - ٧٢٠م) الذي كَلَّف أبابكر محمد بن حَزْم المتوفى سنة ١٢٠هـ/ ٧٣٩م بهذه المهمة وقال له:

«انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سُنَّة ماضية أو حديث عمرة فاكتبه فإني خشيت دروس العلم وذهاب أهله»[١].

وتذكر الأخبار أن أبابكر محمد بن حَزْم شكا للإمام مالك ضياع هذه المجموعات، ولذلك فإنه لم يشتهر بهذا العمل شهرة معاصره أبي بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله الزُّهْري المتوفى سنة ١٢٤هـ/ ٧٤٢م الذي تذكر المصادر أنه كان «أوَّل من أسْنَد الحديث» وأيضًا «أوَّل من دَوَّن الحديث» وأصبح له بذلك دورٌ كبيرٌ في تاريخ الحديث و«تاريخ التدوين»[٢].

فاهتم الزُّهْري بسلاسل الأسانيد لعدد كبير من الأحاديث. وكان عليه - وهو أحد التابعين - أن يبحث عن أوائل التابعين وكذلك عن الصحابة الذين أدركوا الرسول صلى الله عليه وسلم وسمعوا منه أحاديثه أو كانوا أصحاب هذه الأحاديث. وكان ذلك ممكنًا لرجل مثل الزُّهْري الذي نجح في كتابة أسماء هؤلاء في نصوص وأن يجعلها تُرْوى بعد ذلك.

أما دوره في تدوين الحديث فالمقصود به أنه أوَّل من أثبت الأحاديث في صورة مكتوبة، فواقع الأمر أن تدوين الأحاديث يرجع إلى وقت مبكر حيث سُجِّلت في «كراريس» صغيرة أطلق عليها اسم «الصحيفة» أو «الجزء»، ولم يكن على الزُّهْري إلا أن يجمع هذه النصوص المدونة المتناثرة في صُحُف وكراريس مختلفة وأن ينظر فيها وقد سبقه إلى ذلك كما ذكرنا أبو بكر محمد بن حَزْم بتكليف من عمر بن عبدالعزيز[٣].

---

[١] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨: ٤٨٠.

[٢] Sezgin, F., *GAS* I, 56

[٣] *Ibid* I, 280, 281

وقد تبع مرحلة تدوين المرويات وجَمْع النصوص المتفرقة مرحلة تالية فى أواخر العصر الأموى وأوائل العصر العباسى رُتِّبَت فيها هذه المادة ترتيبًا موضوعيًا وفق الموضوعات المختلفة فى فصول أو أبواب وهو ما عرف بـ «تصنيف الحديث» . كان ذلك فى وقت عَرَفت فيه الحركة العلمية في المجتمع الإسلامى عمومًا مُدَوَّنات جامعة ، فألَّف كل من محمد بن إسحاق وأبى مخْنَف لوط بن يحيى وعَوانَة بن الحكَم مدوناتهم في التاريخ ، ووُجدَ في مناطق مختلفة في العالم الإسلامي عددٌ من علماء الحديث وُصِفُوا بأنهم أوَّل من صَنَّف الحديث منهم ابن جُرَيْج المتوفى سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م في مكة ومَعْمَر بن راشد المتوفى سنة ١٥٣هـ/ ٧٧٠م في اليمن ، وسعيد بن أبي عَروبة وحَمّاد بن سَلَمَة وغيرهما في البصرة ، والأوْزاعي في الشام والإمام مالك في المدينة ، وسُفْيان الثَّوْري في الكوفة واللَّيْث بن سعد وعبدالله بن لَهِيعَة وعبدالله بن وَهْب في مصر .

«وكان العلماء قبل ذلك يتكلمون عن حفْظهم أو يروون العلم عن صُحُف صحيحة غير مُرَتّبة»[١] .

وأقدم الكتب التي وَصَلَت إلينا من تلك الفترة كتاب «الجامع» لمَعْمَر بن راشد المتوفى سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م (ومنه نسخة في مكتبة صائب أفندي بأنقرة تحت رقم ٢١٦٤ في ٧٩ ورقة كتبت سنة ٣٦٤هـ)، وكتاب «المناسك» لقتادة السَّدوسي برواية سعيد بن أبى عَروبَة (ومنه نسخة في الظاهرية بدمشق في مجموع برقم ٤١/ ١٢)، و«الجامع» لربيع بن حبيب البَصْري[٢] .

وحتى نستطيع أن نُقَوِّم الأخبار التي وَصَلَت إلينا في المجالات المختلفة تقويمًا تاريخيًا صحيحًا ، علينا أن نبحث «الرواية الإسلامية» من ناحية الشكْل ،

---

[١] الذهبي : تاريخ الإسلام (ط. القدسي) ٦ : ٥ - ٦؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١ : ٣٥١.

[٢] Sezgin, F., *GAS* I, 58

ولهذا الجانب أهمية كبرى في دراسة حركة التأليف باللغة العربية في القرون الأولى، أعنى به «تحمُّل العلْم» أي مناهج تلقِّي العلْم أو أخْذه، فهذا الجانب تنفرد به الحضارة الإسلامية ولا نعرف له في الحضارَات الأخرى شبيهًا وهذا هو السبب الأساسى لما حَدَث من سوء فهم في الدراسات الحديثة.

ومن ناحية أخرى يرى المستشرق ألوارد Ahlwardt أن استخدام الكتابة في تدوين قصائد الشعر الجاهلي لم يبدأ قبل نهاية القرن الأول الهجري، وأن المدى الزمني بين عصر الشعراء وعصر جَمْع أشعارهم وتدوينها قد يَصلُ إلى مائة وخمسين عامًا أو أكثر، وأن «رواية الشعر» كانت على مدى الأجيال شفاهًا مما أدَّى إلى تَعَرُّض الشعر لخطأ غير مقصود أو لتزييف متعمَّد. وقد أشار ألوارد إلى دور الرواة أثناء شرحه لكيفية حفظ الشعر القديم خلال أربعة أو ستة أجيال، فالرواة هم الحَمَلَة الأساسيون لعيون الشعر، شأنهم شأن القُصّاص المحترفين في روايتهم للأخبار التاريخية[1].

وقد مَرّ تدوين الشعر العربي القديم في العصر الإسلامي ـ مثل الحديث ـ في مراحل ثلاث، هي: مرحلة التدوين المحدود وتحرير النُّسَخ، ومرحلة جَمْع الأشعار المدونة والمروية شفاهًا، ثم مرحلة صَنْعَة الدواوين. ومن المرجح أن تدوين الشعر العربي القديم قد بدأ في العقود الأولى من حكم الأمويين حيث بدأ في عهد معاوية بن أبي سفيان جَمْع الأخبار التاريخية وما يَتَّصل بها من أشعار مثل كتاب «أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها» لعَبيد بن شَرِيَّة، ثم بدأ العمل المركز والمنظم لجَمْع الشعر في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري، حيث اعتمد صُنّاع الدواوين بعد ذلك اعتمادًا كبيرًا على رواية شعر شعراء مشهورين في العصر الأموي. ومن أهم الذين قاموا بجمع الشعر في العصر الأموي أبو عمرو ابن العلاء وحَمّاد الراوية وخَلَف الأحمر وجَنّاد الشَّرَقي بن القطامي والمُفَضّل الضَّبِّي وأبي عمرو الشيباني. ويتضح من الأخبار التي نعرفها اليوم أن

[1] Sezgin, F., *GAS* II, 15

قسمًا كبيرًا من الشعر العربي المبكر كان متاحًا في «دواوين القبائل»[١]. وكان العمل الأساسي للّغويين في القرن الثاني الهجري يقوم من ناحية على جَمْع دواوين الشعراء وتكوين هذه المختارات اعتمادًا على تلك المجموعات، ومن ناحية أخرى على تهذيب دواوين القبائل وإكمالها اعتمادًا على ما تَجَمَّع لديهم من مواد جديدة[٢].

وتُلَخِّص كتب مصطلح الحديث «طرق تحمل العلم» وتذكرها في أبواب خاصة بها. ومن خلال هذه الكتب نجد أن دور الرَّاوي وواجبه يتحددان في أن الرَّاوي يروي نصوصًا وصلت إليه مُدَوَّنَة أو دَوَّنها هو بنفسه، وذلك بغض النظر عن حفظه للنص أو عدم حفظه له. ويُكَوِّن ذكر الرواة عند رواية النص مرة أخرى سلسلة الرواة المعروفة بالإسناد[٣].

ويضارع دور رواة الأدب في العصر الإسلامي وطريقتهم دور الرواة وطريقتهم في المجالات الدينية. وتتضح وظيفة الرواة في العصر الأموي من خلال بعض الأخبار القليلة المهمة التي تفيد أنهم كانوا يُقَيِّدون الشعر بعد إملاء الشاعر له وأنهم كانوا يصقلونه[٤].

وإذا كان المُحَدِّثون يشيرون إلى علاقتهم بمصادرهم عن طريق ذكر الرواة، فإننا غالبًا ما نفتقد هذه الإشارات عند أدباء العصر الأموي وأوائل العصر العباسي. وترجع الأسانيد في القرون التالية أيضًا في الغالب إلى رواة القرنين الأول والثاني للهجرة فقط، ومع ذلك فإن هناك بعض النصوص التي ترجع سلسلة إسنادها إلى العصر الجاهلي دون انقطاع. ويرجع سبب ذلك إلى كَوْن الشعر يعود إلى عصر أقدم من عصر الحديث الشريف، وأن رواة الشعر كانوا

١ Sezgin, F., *GAS* II, 24 - 25.

٢ *Ibid.*, II, 26.

٣ *Ibid.*, II, 27.

٤ *Ibid.*, II, 28.

أقل، وأنه لم يكن هناك مانعٌ دينيٌ من رواية الشعر دون ذكر الرواة، ويرجع ذلك أيضًا إلى أن طرق الرواية التي كانت ملزمة في علم الحديث لم تنتقل إلى مجال رواية الشعر إلا في وقت متأخر نسبيًا [١].

ولا شك أن المصطلحات التي أوردها ابن النديم في فهرسته مثل «صَنَعَ» و «جَمَعَ» و«رَوَى» تدل على نشاط في التأليف في هذا الوقت المبكر [٢].

طُرُق التأليف

تَنَوَّعَت طرق التأليف عند المؤلفين المسلمين حسب الفنون التي ألّفوا فيها مثل الحديث والشعر واللغة والتاريخ وعلوم الدين . . . إلخ. وتتراوح هذه الطرق بين الأنواع الآتية :

الرِّواية ـ الصَّنْعَة والعمل ـ الترجمة والنقل ـ التجريد ـ التذييل ـ التتمة ـ الأمالي ـ المجالس ـ الاختيارات ـ الشَّرْح ـ الجَمْع ـ الاختصار .

وكان القدماءُ عادةً ما يُقَسِّمون مؤلّفاتهم على أنواع والأنواع على مقالات والمقالات على أبواب، فيذكر ابن النديم أن علي بن سَهْل الطَّبَري جعل كتابه «فردوس الحكمة» أنواعًا سبعة والأنواع تحتوى على ثلاثين مقالة والمقالة تحتوى على ثلاثمائة وستين بابًا [٣].

ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها الحضارة العربية الإسلامية نقل علوم الأمم القديمة إلى اللغة العربية وبذلك كان لحركة الترجمة ونقل الكتب القديمة دورًا أساسيًا في التأليف. ويُعَدُّ خالد بن يزيد بن معاوية المعروف بـ «حكيم آل مَرْوان» أوّل من اهتم بالصَّنْعَة وفكّر في نَقْل الكتب القديمة في موضوعات الطب

---

[١] Sezgin, F., *GAS* II, 29.

[٢] *Ibid.*, II, 30.

[٣] ابن النديم : الفهرست ٣٥٤.

والنجوم والكيمياء، يقول ابن النديم أنه:

«أمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تَفَصَّح بالعربية وأمرهم بنَقْل الكتب في الصَّنْعَة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي. وهذا أوَّل نَقْل كان في الإسلام من لغة إلى لغة»[1].

ولكن حركة الترجمة الكبرى لم تبدأ إلا مع «بيت الحكمة» الذي أنشأه العباسيون في بغداد في عصر هارون الرشيد حيث ذكر ابن النديم أن أبا سَهْل الفَضْل ابن نَوْبَخْت

«كان في خزانة الحكمة لهارون الرشيد. ولهذا الرجل نَقْلٌ من الفارسي إلى العربي ومُعَوَّله في علمه على كتب الفرس»[2].

فقد نَقَلَ الفرس في القديم شيئًا من كتب المنطق والطب إلى اللغة الفارسية، ونَقَلَ هذه الكتب إلى اللغة العربية عبدالله بن المُقَفَّع وغيره من النَّقَلَة[3].

كما نَصَّ ابن جُلْجُل الأندلسي على أن الرشيد قَلَّد يوحنا بن ماسويه

«ترجمة الكتب القديمة الطبية مما وجد بأنقره وعَمّورية وبلاد الروم حين سباها المسلمون ووضعه أمينًا على الترجمة ووَضَعَ له كُتّابًا حُذّاقًا يكتبون»[4].

ثم ازدهرت حركة الترجمة والنقل في عصر الخليفة المأمون الذي بعث إلى إمبراطور بيزنطة يطلب إليه أن يبعث له من يختار من العلوم القديمة الموجودة عند البيزنطيين، فأجابه إلى ذلك بعد امتناع، يقول ابن النديم:

«فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجّاج بن مطر وابن البطريق وسلما صاحب بيت الحكمة وغيرهم. فأخذوا مما وَجَدوا ما اختاروا، فلما حملوه إليه أمَرَهم بنقله فنُقل. وقد قيل إن يوحنا بن ماسويه ممن نفذ إلى بلاد الروم»[5].

---

[1] ابن النديم: الفهرست ٣٠٣، ٤١٩. [2] نفسه ٣٣٣.
[3] نفسه ٣٠٣.
[4] ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ٦٥؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ١: ١٧٥.
[5] ابن النديم: الفهرست ٣٠٤؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ١: ١٨٧.

ومن اعتنى كذلك بإخراج الكتب من بلاد البيزنطيين بنو شاكر المنجم: محمد وأحمد والحسن وبذلوا في سبيل ذلك الرغائب وأرسلوا لهذا الغرض حنين بن إسحاق وغيره فجاؤا إليهم من بيزنطة، كما يقول ابن النديم:

«بطرائف الكتب وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والأرثماطيقي والطب»[١].

وكان بنو المنجم يرزقون جماعةً من النَّقَلَة على نقل الكتب إلى العربية منهم حنين بن إسحاق وحبيش بن الحسن وثابت بن قُرَّة وغيرهم ما قيمته خمسمائة دينار في الشهر للنقل والملازمة[٢].

وأورد ابن النديم وحاجي خليفة أسماء النَّقَلَة من اللغات القديمة إلى اللسان العربي، من اليونانية والسريانية والفارسية والهندية[٣]. ومن أشهر هؤلاء المترجمين يوحنا بن البطريق الترجمان مولى المأمون، الذي قال عنه ابن جُلْجُل:

«كان أمينًا على الترجمة حسن التأدية للمعاني بكيء اللسان في العربية، وترجم كثيراً من كتب الأوائل، وهو ترجم كتاب أرسطاطاليس إلى الإسكندر المعروف بـ "سر الأسرار"، وهو كتاب "السياسة في تدبير الرياسة"»[٤].

وحُنَيْن بن إسحاق العبادي المتوفى سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م الذي وصفه ابن النديم بأنه كان

«فصيحًا باللغة اليونانية والسريانية والعربية دار البلاد في جَمْع الكتب القديمة ودَخَلَ بلد الروم وأكثر نقوله لبني موسى»[٥].

كما قال عنه ابن جُلْجُل:

«تلميذ يوحنا بن ماسويه عالمًا بلسان العرب، فصيحًا باللسان اليوناني جداً

---

[١] ابن النديم: الفهرست ٣٠٤.
[٢] نفسه ٣٠٤.
[٣] نفسه ٣٠٤ - ٣٠٥؛ حاجي خليفة: كشف الظنون ٣: ٩٧ - ١٠٠.
[٤] ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ٦٧ وانظر ابن النديم: الفهرست ٣٤٠ - ٣٤١.
[٥] ابن النديم: الفهرست ٣٥٢.

بارعًا في اللسانين بلاغة بلغ بها تمييز علل اللسانين . . . . اختير للترجمة واتمن عليها . وكان المتخير له جعفر المتوكل على الله ووَضَعَ له كُتّابًا نحارير عالمين بالترجمة ، كانوا يترجمون ويتصفّح حنين ما ترجموه كإصطفن بن بسيل وحُبَيْش وموسى بن أبي خالد الترجمان ويحيى بن هارون»[١] .

وقال ابن أبي أصيبعة :

«أن حنينًا لازم يوحنا بن ماسويه . . . وتتلمذ له واشتغل عليه بصناعة الطب ، ونَقَلَ حنين لابن ماسويه كتبًا كثيرةً وخصوصًا من كتب جالينوس بعضها إلى اللغة السريانية وبعضها إلى العربية . وكان حنين أعلم أهل زمانه باللغة اليونانية والسريانية والفارسية والدراية فيهم بما لم يعرفه غيره من النقلة الذين كانوا في زمانه»[٢] .

وأضاف أن المأمون لما أراد نقل كتب أرسطو طاليس

«أحضر حنين بن إسحاق إذ لم يجد من يضاهيه في نقله وسأله نقل كتب الحكماء اليونانيين إلى اللغة العربية وبذل له من الأموال والعطايا شيئًا كثيراً . . . وكان يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى العربي مثلا بمثل»[٣] .

وكانت عناية حنين بنقل الكتب الطبية وخصوصًا كتب جالينوس حتى أنه قَلّ أن يوجد شيء من كتب جالينوس إلا وهو بنقل حنين أو بإصلاحه ما نقله غيره حتى أن ما نقله غيره من كتب جالينوس كان لا يعتنى به ولا يُرْغَب فيه مثل ما كان بنقل حنين وإصلاحه[٤] . وقد رأى ابن أبي أصيبعة أشياء كثيرة من كتب جالينوس وغيره بخط الأزرق كاتب حنين بن إسحاق ، وبعض هذه الكتب عليه تنكيت بخط حنين بن إسحاق باليوناني وكانت على هذه الكتب علامة المأمون مما يدل على أنها من بين كتب بيت الحكمة ببغداد [٥] .

وأما ابنه إسحاق بن حنين المتوفى سنة ٢٩٨هـ/ ٩١١م فيقول عنه ابن النديم :

---

[١] ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ٦٨ – ٦٩؛ ابن أبي أصيبعة : عيون ١ : ١٨٩ .

[٢] ابن أبي أصيبعة : عيون ١ : ١٨٦ .

[٣] نفسه ١ : ١٨٦ ، ١٨٧ .

[٤] نفسه ١ : ١٨٨ ، ١٨٩ .

[٥] نفسه ١ : ١٨٧ .

«كان مثل أبيه في الفَضْل وصحَّة النَّقْل من اللغة اليونانية والسريانية وكان فصيحًا بالعربية يزيد على أبيه في ذلك»[1] .

وأضاف ابن أبي أصيبعة عند ذكره لإسحاق أنه

«اشتهر وتَميَّز في صناعة الطب وله تصانيف كثيرة إلا أن جُلّ عنايته كانت مصروفة إلى نقل الكتب الحكمية مثل كتب أرسطوطاليس وغيره من الحكماء»[2] .

وذكر أبو مَعْشَر في كتاب «المذاكرات»

أن حُذّاق التراجمة في الإسلام أربعة : حنين بن إسحاق ويعقوب بن إسحاق الكندي وثابت بن قُرَّة الحَرّاني وعمر بن الفرخان الطبري» [3] .

وكثيراً ما كان النقل يتم من خلال لغتين من اليونانية إلى السريانية ـ حيث أن عدداً ضخمًا من المؤلفات اليونانية تم ترجمته بالفعل إلى تلك اللغة من أجل المسيحيين الناطقين بالسريانية ـ ثم من السريانية إلى العربية فقد كان من الأسهل العثور على أناس ملمين بكل من السريانية والعربية بسبب انتشار هذه اللغة في العراق، غير أنه بمرور الوقت بدأت الترجمة من اليونانية إلى العربية ؛ فكتاب باري أرمنياس ترجمه حنين بن إسحاق إلى السرياني ثم نقله إسحاق بن حنين إلى العربي[4] . وكتاب أنالوطيقا الثاني ترجم حنين بعضه إلى السرياني ثم نقله إسحاق بتمامه إلى السرياني أيضًا ثم نَقَل مَتَّى بن يونس نَقْل إسحاق إلى العربية . كذلك فقد نقل حنين بن إسحاق المقالة الثانية من نص كتاب السَّماع الطبيعي لأرسطو بشرح الإسكندر الأفروديسي من اليونانية إلى السريانية ثم نَقَلَ يحيى بن عَدّي هذا النقل إلى العربية [5] .

وأحيانًا كان يتم إصلاح النقل أى مراجعته، فقد نَقَلَ أبو روح الصابي «كتاب السماع الطبيعي» لأرسطو وأصلح هذا النقل يحيى بن عَدى[6] . كذلك فإن كتاب «الحشائش» لديسقوريدس المعروف أيضًا بـ «الأدوية المفردة» نقله

---

[1] ابن النديم : الفهرست ٣٢٣، ٣٥٦.
[2] ابن أبي أصيبعة : عيون ١ : ١٨٨ .
[3] نفسه ١ : ٢٠٧.
[4] ابن النديم : الفهرست ٣٠٩.
[5] نفسه ٣٠٩.
[6] نفسه ٣١٠.

اصْطَفَن بن بسيل من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي ولكنه لم يستوف الأسماء العربية كلها لعدم معرفته بما يقابلها باليونانية وتَصَفَّح هذه الترجمة حنين ابن إسحاق فصَحَّحَها وأجازها[١].

ويُظَنُّ أن ابن النديم ألَّف كتابه «الفهرست» أولا عن الكتب اليونانية والمترجمة وأسماء المترجمين والنقلة، كما يَتَّضح ذلك من نسخة مخطوطة من الكتاب محفوظة بمكتبة كوبريلي باستانبول تحت رقم ١١٣٥ كتبت سنة ٦٠٠هـ. وهي نسخة قائمة بذاتها وتحتوي على أربع مقالات فقط وهذه المقالات تطابق المقالات السابعة إلى العاشرة من الكتاب. ولعل ابن النديم كان كتابه في الأصل على هذه المقالات ثم جعل كتابه شاملا لكل الفنون فأضاف إليه المقالات الست الأولى وصار بذلك في عشر مقالات[٢].

ويرى والدي المرحوم فؤاد سيد أن أكثر الكتب التي نقلها العرب أو غيرهم من المترجمين كانت عن أصول يونانية والقليل منها عن اللغات الفارسية والسريانية والهندية، وأنهم أكثروا من النَّقْل والترجمة عن هذا الطريق. ولكننا لم نظفر - إلا قليلا جداً - بنصوص عربية عن اللغات اللاتينية، ولعل كتاب «طبقات الأطباء والحكماء» لابن جُلْجُل الأندلسي الذي بدأ في تأليفه سنة ٣٧٧هـ هو أول كتاب استفاد من هذه الترجمات التي يُرَجَّح أنها تمت في عصره أو قبله بقليل[٣].

والنوع الثاني من التأليف الذي ساد عند العرب المتقدمين هو «الأمالي» التي بدأت في الانتشار وأصبحت ظاهرة عامة على مشارف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وكانت متمركزة في بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية ومركز الحركة العلمية ومقصد العلماء والأدباء من شتى بقاع العالم الإسلامي[٤].

---

١ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ٢ : ٤٦ - ٤٧.

٢ فؤاد سيد: مقدمة طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل الأندلسي صفحة ز هـ[١].

٣ نفسه صفحة ز.

٥٤ الحلوجي: المخطوط العربي ١٣٨.

ووصف حاجي خليفة «الأمالي» بقوله:

«الأمالي هو جمع الإملاء، وهو أن يَقْعُد عالمٌ وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس، فيتكلّم العالمُ بما فَتَحَ الله سبحانه وتعالى عليه من العلم، ويكتبه التلامذة فيصير كتابًا يسمونه الإملاء والأمالي. وكذلك كان السَّلَفُ من الفقهاء والمُحَدِّثين وأهل العربية وغيرها في علومهم، فاندرست لذهاب العلم والعلماء وإلى الله المصير وعلماءُ الشافعية يُسَمُّون مثله التَّعْليق»[1].

وكثرت الأمالي في مختلف العلوم والفنون ولعل علماء الحديث واللغة هم أكثر الناس اهتمامًا بهذا اللون من التأليف. فيذكر السيوطي أن الإملاء أعلى وظائف الحافظ في اللغة، «كما أن الحُفّاظ من أهل الحديث أعظم وظائفهم الإملاء»، ثم يضيف:

«وقد أملى حُفّاظ اللغة من المتقدمين الكثير، فأملى ثَعْلَب مجالس عديدة في مجلد ضخم، وأملى ابن دُرَيْد مجالس كثيرة رأيت منها مجلدًا، وأملى أبو محمد القاسم بن الأنباري وولده أبو بكر ما لا يُحْصى، وأملى أبو علي القالي خمسة مجلدات وغيرهم»[2].

كما أن المُتَكَلِّم المعتزلي المعروف أبو علي محمد بن عبدالوهاب الجُبّائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م أملى مائة ألف وخمسين ألف ورقة، قال القاضي عبدالجبار بن أحمد المعتزلي:

«وكان أصحابنا يقولون إنهم أحزروا ما أملاه فوجدوه نحو مائة وخمسين ألف ورقة، وما رأيناه ينظر في كتاب إلا يومًا واحدًا نظر في "زيج الخوارزمي"، ورأينا بيده يومًا آخر جزءًا من "الجامع الكبير" [للشيباني] وكان يقول: إن الكلام أسهل شيءٌ لأن العقل يدلّ عليه»[3].

---

[1] حاجي خليفة: كشف الظنون ١: ٤٢٧ – ٤٢٨.
[2] السيوطي: المزهر ٢: ٣١٣.
[3] القاضي عبدالجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ٢٨٩ – ٢٩٠.

وأحْصَى حاجي خليفة كتب «الأمالى» وعَقَدَ لها فصلا في كتابه «كشف الظنون»[١]، وأقدم الأمالى التي ذكرها «أمالى» الإمام أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصارى المتوفى سنة ١٨٣هـ/ ٧٩٩م «وهى في الفقه يقال أكثر من ثلثمائة مجلدة»[٢]. كما أن العلماء العميان كانوا من أحوج المؤلفين للإملاء.

وربما استوعب الإملاء عدَّة مجالس في عدَّة سنين، فيُرْوى أن أبا جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطَّبري المتوفى سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٣م قال لأصحابه:

«أتَنْشَطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا ما تفنى الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة».

وقد أملاه على أصحابه بين سنتي ثلاث وثمانين وتسعين ومائتين، وفي رواية أنه بدأ في إملائه في سنة سبعين ومائتين[٣].

«ثم قال: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحواً مما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك، فقال: إن لله ماتت الهمم»[٤].

ولعل أصحاب الطَّبَري كانوا ورّاقيه وكان من بينهم على الأرجح أبو القاسم الحسين بن حُبَيْش الورّاق، قال:

«كان قد التمس مني أبو جعفر أن أجْمَع له كتب الناس في القياس، فجمعت له نَيِّفًا وثلاثين كتابًا فأقامت عنده مديدة، ثم كان من قطعه للحديث قبل موته بشهور ما كان، فردَّها عليَّ وفيها علامات له بحمره قد علَّم عليها»[٥].

---

[١] حاجي خليفة: كشف الظنون ١: ٤٢٨ - ٤٣٣.
[٢] نفسه ١: ٤٣٠ - ٤٣١.
[٣] ياقوت: معجم الأدباء ١٨: ٤٢.
[٤] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢: ١٦٣.
[٥] ياقوت: معجم الأدباء ١٨: ٨١.

وأضاف الخطيب البغدادي إشارة إلى كثرة ما ألّفه الطبري يقول :

«سمعت علي بن عبيد الله بن عبدالغفار اللغوي المعروف بالسمسماني يحكي أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة»[١] .

كما أملى أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م كتاب «المُشْكل في معاني القرآن» في عدَّة سنين ولم يتمه [٢] . وقد أملى ابن الأنباري أغلب مصنفاته وقيل إنه أملى كتابه «غريب الحديث» من حفظه في خمس وأربعين ألف ورقة [٣]، قال ابن النديم : «وأكثر ما كان يمليه من غير دَفْتَر ولا كتاب»[٤] . كذلك فقد أملى أبو السَّعادات ابن الشَّجَري المتوفى سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م «أماليه» في أربعة وثمانين مجلسًا [٥] . ولذلك فإن كتب «الأمالي» يُطْلَق عليها أحيانًا اسم «المجالس» مثل كتاب «مجالس العلماء» للزجّاج و«مجالس ثَعْلَب» .

ويرى المحقق الراحل عبدالسلام هارون أن هناك فرقًا دقيقًا بين لَفْظي «المجالس» و«الأمالي» في أصل استعمالهما وأن كلا منهما مظهرٌ لما كان يدور من تدوين لأقوال العلماء والمتصدرين للتعليم .

فـ «الأمالي» كان يمليها الشيخ أو من ينيب عنه بحضرته فيتلقَّفها الطلاب بالتقييد في دفاترهم . وفي هذا يكون الشيخ قد أعد ما يمليه ، أو يلقى إلى الطلبة ما يشاء من تلقاء نفسه . وأما «المجالس» فتختلف عن تلك بأنها تسجيلٌ كاملٌ لما كان يحدث في مجالس العلماء ففيها يُلْقى الشيخ ما يشاء من تلقاء نفسه ، وفيها كذلك يُسْأل الشيخ فيُجيب ، فيُدَوَّن كل ذلك فيما يسمى مَجْلسًا ، ويُعْنَى رواة

[١] الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢ : ١٦٣ .
[٢] ياقوت : معجم الأدباء ١٨ : ٣١٢ .
[٣] نفسه ١٨ : ٣١٢ .
[٤] ابن النديم : الفهرست ٨٢.
[٥] ياقوت : معجم الأدباء ١٩ : ٢٨٣ .

المجالس كذلك بإثبات سائر ما يحدث في المجلس مما له صلة بأداء النص[١].

وكُتُب «المجالس» ليست في حجم كُتُب «الأمالي» وأفرد لها حاجي خليفة فصلا في كتابه «كشف الظنون»[٢].

وكثيرًا ما اختلف لَفْظُ الإملاء بالارتجال إذا تَكَرَّر إلقاء نص الكتاب فتختلف لذلك نسخه. فقد أمْلى ابن دُرَيْد كتاب «الجَمْهَرَة» بفارس ثم أملاه مرة ثانية ببغداد من حفظه، لذلك فهذا الكتاب مختلف النُّسَخ كثير الزيادة والنقصان ويذكر المؤرخون أن لما أملاه بفارس علامة تُعْلَم من أول الكتاب، وأن النسخة التامة التي عليها الـمُعَوَّل هي النسخة الأخيرة. وأن آخر ما صَحّ من النُّسَخ نسخة أبي الفَتْح عبيد الله بن أحمد بن محمد النحوي المعروف بجَخْجَخ لأنه كتبها من عدَّة نُسَخ وقرأها عليه[٣].

وذكر أبو علي البَيْهَقي المعروف بالسَّلامي في كتاب «التُّحَف والطُّرَف»: أن ابن دُرَيْد صَنَّف كتاب «الجَمْهَرَة» للأمير أبي العباس إسماعيل بن عبدالله بن ميكال أيام مقامه بفارس فأملاه عليه إملاءًا ثم قال: حدثني أبو العباس الميكالي قال: أمْلى عَلَيَّ الدُّرَيْدي كتاب «الجَمْهَرَة» من أوله إلى آخره حفظًا في سنة سبع وتسعين ومائتين، فما رأيته استعان عليه بالنَّظَر في شيء من الكتب إلا في باب الهمزة واللَّفيف فإنه طالع له بعض الكتب[٤].

وقد يختلف نَصُّ الكتاب زيادة ونقصًا بتَعَدُّد رواته مثل ما ذكره ابن النديم عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثَعْلَب المتوفى سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٤م من أن له

> «مجالسات أملاها على أصحابه في مجالسه تحتوي على قطعة من النحو واللغة والأخبار ومعاني القرآن والشعر مما سمع وتكلَّم عليه. روى ذلك عنه

١ عبدالسلام هارون: مقدمة مجالس ثعلب، القاهرة ـ دار المعارف ١٩٦٩، ٢٣ - ٢٤.

٢ انظر حاجي خليفة: كشف الظنون ٥ : ٣٨٠ - ٣٨٢.

٣ ابن النديم: الفهرست ٦٧؛ ياقوت: معجم الأدباء ١٨ : ١٣٢؛ القفطي: إنباه الرواه ٣ : ٩٧؛ السيوطي: بغية الوعاة ٣١ والمزهر ١ : ٩٤ - ٩٥؛ حاجي خليفة: كشف الظنون ٣ : ٦٢٩.

٤ ياقوت: معجم الأدباء ١٨ : ١٣٨ - ١٣٩.

جماعة منهم أبوبكر بن الأنباري وأبو عبدالله اليزيدي وأبو عمر الزاهد وابن درستويه وابن مقسم»[١] .

ويقدم لنا جلال الدين السيوطي وصفًا لطريقة الإملاء وكيفيته عند اللغويين، يقول :

«وطريقتهم في الإملاء كطريقة المُحَدِّثين سواء، يكتب المستملي أول القائمة : "مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا" ويذكر التاريخ، ثم يورد المملي بإسناده كلاما عن العرب والفصحاء، فيه غريب يحتاج إلى تفسير ثم يفسره، ويورد من أشعار العرب وغيرها بأسانيده، ومن الفوائد اللغوية بإسناد وغير إسناد ما يختاره»[٢] .

ويروي لنا الخطيب البغدادي في كتابه «تاريخ بغداد» بعض الأخبار عن مجالس الإملاء في بغداد وخاصة مجالس الحديث نلحظ فيها ما بلغته هذه المجالس من ضخامة في عدد حضورها مما استدعى ظهور فئة جديدة في المجتمع تعرف بـ «المستملين» يتولون ترديد كلمات الشيخ أو الأستاذ وراءه حتى يسمع الناس، مثلما كان يفعل المُبَلِّغ في المساجد الجامعة، ومن أشهر هؤلاء المستملين شخص يعرف بهارون المستملي . فمما ذكره الخطيب نقلا عن أبي حاتم الرازي أن أبا أيوب سليمان بن حرب الواشجي البصري الأزدي :

«ظهر حديثه نحو من عشرة آلاف حديث ما رأيت في يده كتابًا قط . . . . ولقد حضرت مجلس سليمان بن حرب ببغداد فحزورا من حضر مجلسه أربعين ألف رجل وكان مجلسه عند قصر المأمون. فبنى له شبه منبر فصعد سليمان وحَضَرَ حوله جماعة من القواد عليهم السواد والمأمون فوق قصره قد فتح باب القصر وقد أرسل ستر يشفُّ وهو خلفه يكتب ما يُمْلى، فسئل أول شيء حديث حوشب بن عقيل، فلعله قد قال: حدثنا حوشب بن عقيل أكثر من عشر مرات وهم يقولون لا نسمع، فقال مستمل ومستمليان وثلاثة كل

---

[١] ابن النديم : الفهرست ٨١.
[٢] السيوطي : المزهر ٢ : ٣١٣ – ٣١٤.

ذلك يقولون لا نسمع، حتى قالوا: ليس الرأي إلا أن يحضر هارون المستملي، فذهب جماعة وأحضروه، فلما حَضَرَ قال من ذكرت، فإذا صوته خلاف الرعد، فسكتوا وقعد المستملون كلهم واستملى هارون، وكان لا يسئل عن حديث إلا حَدَّث من حفظه»[1].

[وهارون هذا هو في الأرجح أبو سفيان هارون بن سفيان بن راشد المستملي المعروف بمُكْحُلَة][2].

وذكر الخطيب البغدادي كذلك عن أبي بكر أحمد بن جعفر بن سلم أنه قال:

«لما قدم علينا أبو مسلم [إبراهيم بن عبدالله بن مسلم] الكجي أَمْلَى الحديث في رحبة غَسّان، وكان في مجلسه سبعة مستملين يُبَلِّغ كل واحد منهم صاحبه الذي يليه. وكتب الناس عنه قياما بأيديهم المحابر، ثم مُسِحَت الرَّحْبَة وحُسِبَ من حضر بمحبرة فبلغ ذلك نيفًا وأربعين ألف محبرة سوى النظّارة! »[3].

وذكر ابن الجوزي أن أبابكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض الفريابي المتوفى سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م لما ورد إلى بغداد اجتمع له الناس إلى شارع المنار بباب الكوفة ليسمعوا منه

«فحزر من حضر مجلسه لسماع الحديث فقيل نحو ثلاثين ألفًا، وكان المستملون ثلثمائة وستة عشر . . . وكان في مجلسه من أصحاب المحابر من يكتب حدود عشرة آلاف إنسان»[4].

وقَدّم لنا الخطيب البغدادي عن يوسف بن عمر القوّاس وصفًا لمجلس القاضي المحاملي يقول:

«حضرت مجلس القاضي المحاملي وكان له أربعة مستملين يستملون عليه وكنت لا أكتب في مجلس الإملاء إلا ما أسمعه من لفظ المحدث فقمت

---

١ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٩ : ٣٣.
٢ نفسه ١٤ : ٢٤.
٣ نفسه ٦ : ١٢١ - ١٢٢؛ ابن الجوزي: المنتظم ٦ : ٥٠.
٤ ابن الجوزي: المنتظم ٦ : ١٢٤؛ الصفدي: الوافي ١١ : ١٤٦.

قائمًا لأني كنت بعيدًا من المحاملي بحيث لا أسمع لفظه، فلما رآني الناس أفرجو لي وأجازوني حتى جلست مع المحاملي على السرير»[١].

وذكر الخطيب أيضًا أن المعتصم وَجَّه بمن يحزر مجلس عاصم بن علي بن عاصم في رَحْبة النخل التي في جامع الرُّصافَة و قال:

«وكان عاصم بن علي يجلس على سطح المسقطات وينتشر الناس في الرَّحْبَة وما يليها ويعظم الجمع جدًا حتى سمعته يوما يقول: حدثنا الليث بن سعد، ويُسْتعاد فأعاد أربع عشرة مرة، والناس لا يسمعون قال: وكان هارون المستملي يركب نخلة معوجة ويستملي عليها، فبلغ المعتصم كثرة الجمع فأمره بحزرهم فوجَّه بقطاعي الغنم فحزروا المجلس عشرين ومائة ألف»[٢].

وما أورده الخطيب البغدادي عن وصفه مجالس الإملاء يدلنا على مدى إمكانية اختلاف نسخ المستملين بحسب موقعهم قُرْبًا أو بُعْدًا من المملي.

ونظرًا لاختلاف الإملاء أو زيادة المملي لفصول على كتابه فقد كان المؤلفون يقومون بمعارضة الإملاء الأول بالإملاء الأخير لاستخراج نص يرضونه مثال ذلك ما ذكره ابن النديم من أنه قرأ بخط أبي الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي على كتاب «الياقوت» في اللغة لأبي عمر الزاهد:

«كان أبو عمر محمد بن عبدالواحد صاحب أبي العباس ثَعْلَب ابتدأ بإملاء هذا الكتاب، كتاب «الياقوت»، يوم الخميس لليلة بقيت من المحرم سنة ست وعشرين وثلثمائة في جامع المدينة، مدينة أبي جعفر، ارتجالا من غير كتاب ولا دستور، فمضى في الإملاء مجلسًا مجلسًا إلى أن انتهى إلى آخره، وكتبتُ ما أملاه مجلسًا يتلوا مجلسا، ثم رأي الزيادة فزادني أضعاف ما أملى وارتجل يواقيت أخر، واختصّ بهذه الزيادة أبا محمد الصَّفّار لملازمته وتكرير قراءته لهذا الكتاب على أبي عمر، فأخذت الزيادات منه. ثم جمع الناس على قراءة أبي إسحاق الطبري له، وسمّى هذه القراءة الفَذْلكة فقرأه عليه

---

[١] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٤ : ٣٢٦.
[٢] نفسه ١٢ : ٢٤٨.

وسمعه الناس . ثم زاد فيه بعد ذلك، فجمعت أنا في كتابي الزيادات كلها . وبدأت بقراءة الكتاب عليه يوم الثلاثاء لثلاث ليال بقين من ذي القعدة سنة تسع وعشرين وثلثمائة إلى أن فرغت منه في شهر ربيع الاخر سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة . وحضرت النسخ كلها عند قراءتي نسْخة أبي إسحاق الطبري ونسخة أبي محمد الصفار ونسخة أبي محمد بن سعد القُطْرُبُلّي ونسخة أبي محمد الحجازي، وزادني في قراءتي عليه أشياء وتوافقنا في الكتاب من أوله إلى آخره . ثم ارتجل بعد ذلك يواقيت أخر وزيادات في أضعاف الكتاب واختص بهذه الزيادة أبا محمد وهب لملازمته، ثم جمع الناس ووعدهم بعرض أبي إسحاق الطبري عليه هذا الكتاب، وتكون آخر عرضة يتقرّر عليها هذا الكتاب، ولا يكون بعدها زيادة وسمى هذه العرضة المحرابية . واجتمع الناس يوم الثلاثاء من جمادى الأولى من سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة في منزله بحضرة سكة أبي العنبر، فأمْلى على الناس ما نسخته :

" قال أبو عمر محمد بن عبدالواحد : هذه العَرْضَة هي التي تَفَرَّدَ بها الأستاذ أبو إسحاق الطبري آخر عرضة أسمعها، بعده فمن روى عني في هذه النسخة وهذه العَرْضَة حرفًا وليس هو من قولي فهو كذاب عليّ، وهي من الساعة إلى الساعة من قراءة أبي إسحاق على سائر الناس، وأنا أسمعها حرفًا حرفًا "

قال أبو الفتح : وبدأ بهذه العَرْضَة يوم الثلاثاء لأربع عشر ليلة خلت من جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة»[1] .

وسبب ذلك أن أبا عمر الزاهد هذا المتوفى سنة ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م كان كما يقول ابن الجَوْزي :

«غزير العلم كثير الزهد، أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة لغة فيما بلغني . وجميع كتبه التي في أيدي الناس إنما أملاها بغير تصنيف»[2] .

---

[1] ابن النديم : الفهرست ٨٢ – ٨٣؛ القفطي : إنباه الرواه ٤ : ١٧٥ – ١٧٦ .

[2] ابن الجوزي : المنتظم ٦ : ٣٨٠.

وهكذا فإن نمط الإملاء في اللغة كان شائعًا في الصدر الأول للإسلام ثم انقطع إملاء اللغة دَهْرًا طويلا بسبب موت الحفاظ وإن استمر إملاء الحديث، يقول السيوطي:

«ولما شَرَعْتُ في إملاء الحديث سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وجَدَّدتُه بعد انقطاعه عشرين سنة من سنة مات الحافظ أبو الفضل ابن حجر [العَسْقَلاني] أردت أن أُجَدِّدَ إملاء اللغة وأحييه بعد دثوره، فأمليت مجلسًا واحدًا لم أجد له حَمَلَة ولا من يرغب فيه فتركته. وآخر من عَلمتُه أملى على طريقة اللغويين أبو القاسم الزجّاجي، له آمال كثيرة في مجلد ضخم، وكانت وفاته سنة تسع وثلاثين وثلثمائة، ولم أقف على أمالٍ لأحد بعده»[1].

وقد وَصَفَ الإمام أبو سعد عبدالكريم بن محمد السَّمْعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م في كتابه «أدب الإملاء والاستملاء» ما يَحْتاج إليه المُمْلي والمُسْتَملي، وعلى الأخص في علم الحديث، وما يُتطَلَّب في كل منهما[2].

[1] السيوطي: المزهر ٢ : ٣١٤.
[2] السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء، نشره ماكس فيسفيلر، ليدن ـ بريل ١٩٥٢.

اهتمام القدماء بالنُّسَخ الأصليّة

عَرَفَ العلماءُ المسلمون منذ بدايات التدوين تفاوت أقدار النُّسَخ المختلفة للكتب العلمية، وقَدَّروا أهمية هذه النُّسَخ وفقًا لمعايير مازالت هي المعايير التي يَرْجِعُ إليها اليوم العلماء المحققون عند نَقْد النصوص القديمة ونَشْرها. وتتراوح هذه المعايير بين: قِدَم النُّسْخَة وصحَّتها أو مقابلتها بغيرها.

والقِدَمُ يعني أن تكون النُّسْخَة أصلا كتبها المؤلف بخَطّه أو عليها خَطُّه أو قُرِأت عليه، أو أن تكون قد طالعها بعض العلماء وقُوبلت على نُسَخ معتبرة، كذلك فإن بعض النُّسَخ تستمد قيمتها من كونها قد كتبها بخطه عالمٌ شهيرٌ أو تملّكها أحدُ العلماء أو تداولها أكثرُ من عالم واحد ووجدت عليها سماعات أو قراءات أو إجازات تفيد ذلك، وفي كل الأحوال فقد كان قِدَمُ النسخة نوعًا من الضَّمان لصحتها واعتمادها.

وعلى ذلك فإن العلماء القدماء كانوا دائمًا ما يشيرون إلى اقتنائهم أو اطلاعهم على كثير من المؤلفات التي بخطوط مؤلفيها أو طالعها واستفاد منها علماءٌ مشهودٌ لهم، وسَمَّى عبدالقادر البغدادي أمثال هذه النُّسَخ فيما رجع إليه «نُسَخًا صحيحةً مقروءةً وعليها خط العلماء»[1]، وبعضُ هذه النُّسَخ وَصَلَ إلينا شاهدًا على عناية المؤلفين والعلماء المسلمين وتقديرهم لأمثال هذه النُّسَخ، وكثيرًا ما كانوا يذكرون ـ إذا لم تكن النسخة في حوزتهم ـ الخزانة التي اطّلعوا

[1] البغدادي: خزانة الأدب ٥ : ١٤٣ .

فيها عليها، ولكن هذا التقليد لم يشع إلا في العهود المتأخرة[١]، حتى إن المستشرق برجستراسر لاحظ أن علماء العرب كانوا أكثر تقديراً لقيمة المخطوطات المكتوبة بخطوط مؤلفيها عن علماء الغرب[٢].

وقد جَمَعْتُ من خلال مطالعتى لمؤلَّفات أربعة من العلماء الذين اشتهروا بجَمْع الكتب والاعتناء بها، معلومات هامة عن تقدير القدماء لهذه النُّسَخ التى أفادوا منها، بالإضافة إلى ضَبْطها وتحريرها بمعلومات كثيرة عن تاريخ تأليفها أو تواريخ وفيات كُتّابها من خلال تاريخ الفراغ من كتابة النُّسْخَة الذي يُطْلَق عليه الـ Colophone، وكذلك بما عليها من إجازات وسماعات وقراءات وتقييدات. وهؤلاء المُؤلِّفون هم: محمد بن إسحاق **النَّديم** المتوفى نحو سنة ٤١٢هـ/ ١٠١٢م صاحب كتاب «الفِهْرِسْت»، وأبو عبدالله **ياقوت** بن عبدالله الرُّومى **الحَمَوى** المتوفى سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م صاحب «معجم الأدباء» و«معجم البُلْدان»، ومعاصره الوزير جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف **القفطى** المتوفى سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م صاحب «إنباه الرواه على أنباه النحاه»، ثم صاحب التآليف الضخمة صلاح الدين خليل بن أيْبَك **الصَّفَدى** المتوفى سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م.

وقد اعتمد كل من ابن النَّديم وياقوت والقِفْطى فيما أوردوه من معلومات عن الكثير من الكتب النادرة المُتَقَدِّمَة التي فُقِدَت أصولها اليوم على عالم كوفي كان من أصحاب إمام الكوفيين في النحو واللغة أبي العباس أحمد بن يحيى ثَعْلَب المختصين به، هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبيد بن الزُّبير الأسَدي النحوي اللغوي المعروف بـ **ابن الكوفي** المتوفى في ذي القعدة سنة ٣٤٨هـ/ ٩٦٠م هكذا وَجَدَ ياقوت اسمه بخطه على عدَّة من كتبه[٣].

---

١ انظر على سبيل المثال، السخاوي: الإعلان بالتوبيخ ٥٩٠ و٥٩٣ و٥٩٤ و٦٠٦ و٦٣١؛ الزبيدي: تاج العروس ١: ٣-٤.

٢ برجستراسر: أصول نشر النصوص ونقد الكتب ١٧.

٣ ياقوت: معجم الأدباء ١٤: ١٥٤.

قال القفْطي:

«كان أبوه من ذوي اليسار من أهل الكوفة واشتغل ولده هذا بطلب العلم من يومه، ولما مات أبوه خَلَّف له فيما يقال زائداً على خمسين ألف دينار فصرفها كلها في طلب العلم وتحصيل الكتب شراءاً واستنساخًا وكتابةً» [1].

ووَصَفَه ياقوت بأنه

«صاحبُ الخط المعروف بالصحة المشهور بإتقان الضبْط وحُسْن الشكل. فإذا قيل نقلت من خط ابن الكوفي فقد بالغ في الاحتياط».

وأضاف

«رأيتُ بخَطِّه عدَّة كتب فلم أر أحسن ضَبْطًا وإتقانًا للكتابة منه، فإنه يجعل الإعراب على الحرف بمقدار الحرف احتياطًا، ويكتب على الكلمة المشكوك فيها عدة مرار: صَحَّ صَحَّ صَحَّ. وكان من جَمّاعي الكتب وأرباب الهوى فيها» [2].

ولابن الكوفي بعض مؤلَّفات منها كتابٌ في «معاني الشعر واختلاف العلماء» وكتاب «الفرائد والقلائد في اللغة والشعر» وكتاب «الهَمْز» الذي ظل موجوداً إلى أوائل القرن السابع يقول ياقوت: «رأيته أنا بخطه» [3].

ويبدو من اقتباسات ابن النديم عن ابن الكوفي أنه كان صاحب مؤلَّف كبير في تاريخ الكتب اعتمد عليه في مواضع مختلفة لا سيما فيما يتعلَّق بالمؤرخين واللغويين الكوفيين رغم عدم ميل الدكتور فؤاد سزجين إلى هذا الرأي الذي قال به ليبرت Lippert [4].

---

١ القفطي: إنباه الرواه ٢: ٣٠٦.

٢ ياقوت: معجم الأدباء ١٤: ١٥٣، القفطي: إنباه الرواه ٢: ٣٠٥، الصفدي: الوافي ٢٢: ٧١.

٣ نفسه ١٤: ١٥٣.

٤ Sezgin, F., *GAS* I, p. 385.

فابن النديم يذكر في أكثر من موضع «نقلت من خط ابن الكوفي»[١] أو «قرأت بخط ابن الكوفي»[٢]. كما يورد قائمة مؤلفات هشام الكلبي وأبي الحسن علي بن محمد المدائني «من خط أبي الحسن بن الكوفي»[٣]. وأخذ عنه كذلك كما يقول «طائفة أصبنا ذكرهم بخط ابن الكوفي فذكرناهم»[٤]. ووَقَفَ ابن النديم أيضًا على «جملة أجزاء بخط ابن الكوفي فيها تعليقات لغة ونحو وأخبار وأشعار وآثار وقعت لأبي الحسن بن التج من كتب بني الفرات» وأضاف «وهذا من أظرف ما رأيته بخط ابن الكوفي بعد كتاب مساوئ العوام لأبي العَنْبَس الصَّيْمَري»[٥]. كما وجد بخطه كذلك نسخةً من كتاب «من استجيب دعوته» وكتاب «الحيل» لمحمد بن حبيب[٦].

ونكاد لا نعلم عن حياة أبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق [ابن] النَّديم البغدادي المعروف بابن أبي يعقوب الوَرّاق سوى أنه صاحب أوّل وأهم كتاب يؤرِّخ للتراث العربي وأكثرها شمولا حتى نهاية القرن الرابع الهجري/ العشر الميلادي. وعنوان كتابه هو «الفهرست» أو «الفهرست في أخبار الأدباء» وبدأ فى تأليفه عام ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م[٧]. وقد كان ابن النديم وَرّاقًا يبيع الكتب في بغداد وقد أتاح له ذلك أن يرى معظم الكتب التي ذكرها وأن يُحَدِّد قيمتها العلمية والمادية، كما أتاحت له حرفته جَمْع الكثير من مادة كتابه مما يجعلنا نثق فيما يذكره من أنه رأى هذا الكتاب أو ذاك أو شاهد نُسْخة منه بخط مؤلفه أو بخط أحد العلماء[٨].

---

١ ابن النديم: الفهرست ٧٣، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ٨٦، ١٢٤، ١٢٥، ١٧٩.
٢ نفسه ٣٦، ١١٧، ١٥٨.
٣ نفسه ١٠٨، ١١٣.
٤ نفسه ١٢١.
٥ نفسه ٤٢٣.
٦ نفسه ١١٩.
٧ نفسه ٣، ٩٦، ٢٧٣؛ ياقوت: معجم الأدباء ٤ : ١٩٩ - ٢٠٠؛ ٨ : ٧٧.
٨ راجع ياقوت: معجم الأدباء ١٨ : ١٧؛ الصَّفَدي: الوافي بالوفيات ٢ : ١٩٧؛ Sezgin, *GAS* I, 382-387

ورغم أننا لا نملك اليوم نسخة كاملة من «الفهرست» فقد كانت مع ياقوت الحموي في مطلع القرن السابع الهجري نسخة منه بخط ابن النديم نفسه يقول:

«وجدت في كتاب فهرست ابن النديم بخط مؤلفه»[١].

وقد سبقت محاولتي ابن الكوفي وابن النديم في وضع فهرست للكتب في موضوعاتها المختلفة محاولةٌ لوَضْع فهرست لمؤلَّفات أو كتب عالم بعينه أولها فهرست كتب عالم الكيمياء المشهور جابر بن حَيّان بن عبدالله الكوفي، فقد ذكر ابن النديم أن:

«له فهرستًا كبيرًا يحتوي على جميع ما ألَّف في الصَّنْعَة وغيرها، وله فهرست صغير يحتوي على ما ألَّف في الصَّنْعة فقط»[٢].

ثم أضاف:

«ونحن نذكر جُمَلا من كتبه رأيناها وشاهدها الثقات فذكروها لنا»[٣].

ويبدو أن جابر بن حَيّان هو الذي صنع فهرست كتبه.فيقول ابن النديم في أثناء تعداد مؤلفاته:

«قال جابر في كتاب فهرسته ألفت معه هذه الكتب....»[٤].

كما صَنَع أبو زكريا يحيى بن عَديّ بن حميد بن زكريا المنطقي فهرستًا لكتب أرسطوطاليس نَقَلَ عنه ابن النديم ما مثاله:

«كذا قرأت بخط يحيى بن عَديّ في فهرست كتبه»

أو

«نسخت من خط يحيى بن عَديّ من فهرست كتبه»[٥].

وعمل حنين بن إسحاق «فهرست كتب جالينوس» رجع إليه ابن النديم في مواضع كثيرة[٦].

كذلك كان هناك فهرستٌ لكتب أبي بكر بن زكريا الرازي نقل منه ابن النديم أسماء كتبه قائلا:

---

[١] ياقوت معجم الأدباء ١٣ : ٢٤٧.
[٢] ابن النديم: الفهرست ٤٢١.
[٣] نفسه ٤٢١.
[٤] نفسه ٤٢١.
[٥] نفسه ٣١٢.
[٦] نفسه ٣٤٨.

«ما صَنَّفَه الرازي من الكتب منقولة من فهرسته»[١] .

أما شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الجنس والمولد الحموي المولى البغدادي الدار المتوفى سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م، فقد كان يشتغل بالنَّسْخ بالأجرة وبتجارة الكتب[٢] فأتاح له ذلك مثل ابن النديم الوقوف على الكثير منها واقتنائها، وقام بنَسْخ العديد من الكتب التي وصلت إلينا نُسَخٌ منها .

وقد أشار في مقدمة كتابه «معجم الأدباء» إلى أنه :

«جَمَعَ في هذا الكتاب ما وَقَع إليه من أخبار النحويين واللغويين والنَّسَّابين والقُراء المشهورين والإخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين وأصحاب الرسائل المُدَوَّنَة وأرباب الخطوط المنسوبة والمُعَيَّنة» [٣] .

وحرص ياقوت على وَصْف الكثير من النُّسَخ التي وَقَعَت له أو اطَّلَع عليها، وذكْر ما عليها من سماعات وقراءات وإجازات، والكثير من هذه النُّسَخ بخطوط مؤلفيها أو كتبها علماءٌ أو عليها خطوط العلماء. وأوصى قبل موته بأوراقه ومجموعاته لأبي الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم المعروف بابن الأثير الجزري صاحب «الكامل في التاريخ»، كان مقيمًا بحلب، وعَهَدَ إليه أن يُسَيِّرها إلى وَقْف الزَّيْدي ببغداد ويُسَلِّمها إلى الناظر فيه الشيخ عبدالعزيز بن دلف. ولكن ابن الأثير تَصَرَّف في كتبه وأوراقه التي بخطه تصرفًا غير مرضي ولم يوصلها إلى الجهة المعنية برسمها بل فرقها على جماعة أراد الانتفاع بهم[٤] .

وكان الوزير الأكرم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم القفْطي جَمَّاعةً للكتب حريصًا عليها جَمَعَ منها مالا يوصَف وقُصدَ بها من الآفاق وكان كما يقول الصَّفَدي :

---

[١] ابن النديم : الفهرست ٣٥٧.

[٢] ياقوت : معجم الأدباء ١٥ : ١٨٨؛ القفطي : إنباه الرواه ٤ : ٧٥و ٧٦.

[٣] نفسه ١ : ٤٨ - ٤٩، ٤ : ٢٣٩، ٩ : ٢٩؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦ : ١٢٨ - ١٢٩.

[٤] القفطي : إنباه الرواه ٤ : ٧٨.

«لا يحب من الدنيا سواها، ولم تكن له دارٌ ولا زوجة وأوصى بها للناصر صاحب حلب، وكانت تساوي خمسين ألف دينار»[١] .

ويقول ياقوت:

«لم أر مع اشتمالي على الكتب وبَيْعي لها وتجارتي فيها أشد اهتمامًا منه بها ولا أكثر حرصًا منه على اقتنائها، وحَصَلَ له منها ما لم يَحْصُل لأحد وكان مقيمًا بحلب»[٢] .

لذلك فإنه يَعْتَزّ طول صفحات كتابه «إنباه الرُّواه» بالإشارة إلى ما امتلكه من نُسَخ بخطوط مؤلفيها أو بخطوط العلماء.

وأتاح له امتلاكه لهذا الكم الكبير من الكتب المعتبرة أن يَجْمع مقدارًا وافرًا من التعليقات والتقييدات والفوائد التي تَعَوَّد العلماءُ أن يضيفوها على ظهور الكتب كانت موضوع كتابه «نُهْزَة الخاطر ونُزْهَة النّاظر في أحْسَن ما نُقل من على ظهور الكتب» [٣] وقد فُقدَ اليوم هذا الكتاب.

أما صلاح الدين خليل بن أيْبَك الصَّفَدي المتوفي سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م فهو صاحب كتاب «الوافي بالوفيات» أكبر كتاب في التراجم إلى نهاية القرن الثامن وغيره من الكتب الهامة. وكَتَبَ الصفدي ما يقارب مئين من المجلدات وكان جيِّد الخط، ووجد ابن سعد بخطه

«كتبت بخطي ما يقارب خمسمائة مجلدة، قال: ولعل الذي كتبته في الإنشاء ضعف ذلك»[٤] .

والصَّفَدي هو أول المؤلفين الذين وَصَلَت إلينا نماذجُ وافية لخطوطهم سواء لمُسَوّدات مؤلفاته أو ما دَوَّنَه بخطه على الكتب التي تَمَلَّكَها أو سمعها على

١ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٢ : ٣٣٨؛ ابن شاكر: فوات الوفيات ٣ : ١١٨ .
٢ ياقوت: معجم الأدباء ١٥ : ١٨٨ .
٣ نفسه ١٥ : ١٨٧؛ الصفدي: الوافي ٢٢ : ٣٤٠؛ ابن شاكر: فوات ٣ : ١١٨؛ ابن العماد: شذرات الذهب ٥ : ٢٣٦ .
٤ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢ : ١٧٧ .

المشايخ أو طالعها. وأشار في كتابه «الوافي بالوفيات» إلى العلماء الذين اشتهروا بجَوْدَةَ الخط وتحريره وصحته وما وَقَفَ عليه مما كتبوه بخطوطهم وامتلكه منها.

***

وقبل أن أتحَدَّث عن اهتمام العلماء القدماء بالنُّسَخ النفيسة وإشارتهم إليها وكيفية استفادتهم منها، يجب أن أشير إلى أن علماءنا القدامى لم يستخدموا كلمة «مخطوط» التي نستخدمها اليوم للإشارة إلى هذه الكتب.

فكلمة «مخطوط» التي نستخدمها اليوم للدلالة على الكتب المكتوبة بخط اليد والتي خَلّفها لنا القدماء، هي ترجمة لكلمة Manuscrit الفرنسية والتي لم تُستَخدم بهذا المعنى إلا في عام ١٥٩٤م في مقابل كلمة «مطبوع»[١]، وذلك بالرغم من ورود هذا اللَّفْظ في بعض المعاجم القديمة حيث وَرَدَ أول ذكر له عند الزَّمَخْشَري المتوفى سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م في كتابه «أساس البَلاغَة» يقول في مادة «خطط»:

«خَطَّ الكتاب يَخُطُّه... وكتابٌ مَخْطُوط»[٢].

ثم تسكت المعاجم عن ذكر هذا اللَّفْظ حتى يقابلنا مرة أخرى عند السيد محمد مرتضى الزَّبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م في «تاج العروس» يقول في نفس المادة:

«كتابٌ مخطوطٌ أي مكتوبٌ فيه»[٣].

لذلك فإن القدماء أشاروا إلى الكتب التي استفادوا منها أو نقلوا عنها بلَفْظ «الكتاب» أو «النُّسْخَة» أو «الجُزْء» أو «المجلد»، مثال ذلك: «نَسَخْت هذه الكتب

---

[١] من Manuscriptus أي الكتابة باليد. (Robert, P., *Dictionnaire le petit Robert*, Paris - Le Robert 1981, p. 1149).

[٢] الزمخشري: أساس البلاغة (الطبعة الثالثة) ١ : ٢٤٠.

[٣] مرتضى الزبيدي: تاج العروس ٥ : ١٢٩.

من جزء عتيق»[١]، أو «قرأت [رأيت] بخط عتيق» [٢]، أو «قرأت [رأيت] في كتاب عتيق»[٣]، أو «وجدت على نسخة قديمة»[٤]، أو «قرأت في جزازة عتيقة»[٥].

فمن الكتب التي وَقَفَ عليها ابن النَّديم بخطوط مُؤَلِّفيها. كتاب «الهدايا» لأبي عبدالله محمد بن عمران بن موسى المَرْزُباني المتوفى سنة ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م وكتاب «الزُّهْد وأخبار الزُّهّاد» له أيضًا أكثر من مائتي ورقة[٦]، وأضاف ابن النديم أن المَرْزُباني وَقَفَها من أصوله التي بخطه نيفًا وعشرين ألف ورقة[٧]؛ وشاهد كذلك كتاب «تعليم بعض المؤمرات» لأبي الحسن علي بن الحسن بن الماشطة قال: «رأيته بخطه»[٨]، وكتاب «أشعار قُرَيْش» لأبي أحمد بشْر المَرْثدي، قال: «رأيته بخط المرثدي» [٩].

ومن مُؤلفات أحمد بن محمد بن سليمان بن بَشّار الكاتب وَقَف ابن النديم على كتاب «الخراج الكبير» قال: «رأيت المُسَوَّدة بخطه نحو ألف ورقة»، وكتاب «الشّراب والمنادمة» قال: «رأيته بخطه» [١٠]. وكتاب «النبات» لأبي سعيد السُّكّري، قال: «رأيت منه شيئًا كثيرًا بخطه»[١١]، وكتاب «المناهل والقرى» له أيضًا، قال: «رأيته بخطه»، وَوَقَف كذلك على نسخة من كتاب «الوزراء» لابن عبدوس الجَهْشياري بخطه ونقل منها بقوله:

> «وقرأت بخط أبي عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري في كتاب الوزراء تأليفه»[١٢].

أما الكتب التي وَقَفَ عليها ورأى منها نُسَخًا بخطوط العلماء أو الورّاقين المشهورين فكثيرةٌ جدًا. فقد كان معه كتابٌ لأبي العباس أحمد بن يحيى ثَعْلَب

---

١ ابن النديم: الفهرست ٢٧٢.
٢ نفسه ٥١، ٢٧١، ٤٠٨.
٣ ياقوت: معجم الأدباء ٣: ٢٦، ٣١، ٤: ٢٦٤.
٤ نفسه ٤: ٩٢.
٥ نفسه ١٧: ٢٣.
٦ نفسه ١٤٨.
٧ ابن النديم: الفهرست ١٤٩.
٨ نفسه ١٥٠.
٩ نفسه ١٤٣.
١٠ نفسه ١٥٠.
١١ نفسه ٨٦.
١٢ نفسه ١٥.

بخط أبي عبدالله بن مُقْلَة الخطاط المشهور[١]؛ وشاهد كذلك كتاب «الحَيَوان» للجاحظ في سبعة أجزاء مضافًا إليه كتابٌ سَمّاه «كتاب النساء» وهو الفرق بين الذكر والأنثى وكتابٌ آخر سمّاه «كتاب البغال»، قال:

«رأيت أنا هذين الكتابين بخط زكريا بن يحيى بن سليمان ويكنى أبا يحيى ورّاق الجاحظ»[٢].

ورأى بخط أبي الحسن أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المُنَجِّم قطعةً من كتب أبي جعفر الطَّبري في الفقه، وكان ابن أبي منصور المُنَجِّم فقيهًا على مذهب أبي جعفر الطَّبري[٣].

ووَقَفَ كذلك على كتاب «القبائل الكبير والأيام» الذي جَمَعَه محمد بن حبيب للفَتْح بن خاقان يقول:

«ورأيت النسخة بعينها عند أبي القاسم بن أبي الخَطّاب بن الفرات في طَلْحي نَيِّف وعشرون جزءًا وكانت تنقص ما يدل على أنها [كانت] من نحو أربعين جزءًا في كل جزء مائتا ورقة وأكثر. ولهذه النسخة فهرست لما تحتوي عليه من القبائل والأيام بخط السِّنْدي بن علي الورّاق في طَلْحي نحو خمسة عشر ورقة بخط نزك»[٤].

وشاهد أيضًا كتاب «النوادر في الغريب لأبي شبل العُقَيْلي رواية عن الحجّاج بن نصير الأنباري، قال:

«رأيته بخط عتيق بإصلاح أبي عمر الزاهد نحو ثلاث مائة ورقة»[٥].

وذكر أيضًا أنه رأى بخط أبي جعفر محمد بن جرير الطَّبري «شيئًا كثيرًا من كتب اللغة والنحو والشعر والقبائل»[٦]. كما رأى بخط السُّكَّري نسخة من كتاب «غريب الحديث» للأصْمَعي في نحو مائتي ورقة[٧]، ونسخة من كتاب «النحل»

[١] ابن النديم: الفهرست ٤٥، ٥٩، ٧٣، ٧٥، ٨٠، ١٠٣، ١٤٠.
[٢] نفسه ٢٠٩.
[٣] نفسه ١٦١.
[٤] نفسه ١١٩؛ ياقوت: معجم الأدباء ١٨: ١١٦.
[٥] نفسه ٥١.
[٦] نفسه ٢٩١.
[٧] نفسه ٦١.

للزبير بن بكار[١]، وبخط ابن الحصامي وإصلاح ابن المعتز نسخة من كتاب «مختصر ما يستعمله الكاتب» لأبي سعيد محمد بن هُبَيْرَة الأسدي[٢].

ونَقَلَ ابن النديم كذلك من خطوط العلماء وكبار الورّاقين بما مثاله:

«قرأت بخط أبي العباس ثَعْلَب»[٣] و«قرأت أنا بخط أبي عبدالله بن مُقْلَة»[٤] و«قرأت بخط أبي الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي»[٥] و«قرأت بخط أبي الطّيِّب»[٦] و«قرأت بخط أحمد بن الحارث الخزاز»[٧] و«قرأت بخط أبي الحسن علي ابن محمد بن عُبَيْد بن الزبير الكوفي الأسدي»[٨] و«قرأت بخط يحيى بن عَديّ»[٩].

وكذلك بما مثاله: «رأيته بخط السُّكَّري»[١٠] والمقالة الأولى من كتاب «السَّماع الطبيعي» لأرسطوطاليس بترجمة إبراهيم بن الصلت: «رأيتها بخط يحيى بن عَديّ»[١١].

وأيضًا «قرأت بخط عتيق يوشك أن يكون كتب في زمان [أبي سليمان] داود ابن علي [بن داود بن خَلَف الأصفهاني] الظّاهري تسمية كتب أبي سليمان داود ابن علي وقد أثبته على ترتيب ما قرأت»[١٢]، و«كتاب المغني المجيد، لأبي جعفر محمد بن علي بن أمية رأيته بخط عتيق»[١٣]، أو «أسماء شراح أرسطو مكتوبة على ظهر جزء بخط عتيق»[١٤] و«نسخت هذه الكتب من جزء عتيق بخط محمد المَرْوَزي»[١٥].

---

١ ابن النديم: الفهرست ١٢٣.
٢ نفسه ٨٠.
٣ نفسه ٥٧.
٤ نفسه ٥٩.
٥ نفسه ٨٢.
٦ نفسه ١٠٤.
٧ نفسه ١٠٦، ١١٧.
٨ نفسه ١٥٨.
٩ نفسه ٣١٢، ٣١٤.
١٠ نفسه ٦٠، ٧٦، ٨٦.
١١ نفسه ٣١١، ٣١٢.
١٢ نفسه ٢٧١.
١٣ نفسه ١٦١.
١٤ نفسه ٤٠٧.
١٥ نفسه ٢٧٢.

***

أما الكتب التي رآها ياقوت الحموي أو اطّلع عليها أو نَقَلَ عنها بخطوط مؤلّفيها، فقد ذكرها بالصِّيَغ التالية.

في ترجمة أبي رشاد أحمد بن محمد بن القاسم بن أحمد الأخْسيكَثي الملقب بذي الفضائل المتوفى سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٤م وكان شاعرًا أديبًا وَقَفَ على ديوان شعره وقال:

«قرأت في ديوان شعره **بخطه**»[١].

وعندما ترجم لأبي العباس أحمد بن محمد الآبي المتوفى سنة ٥٩٨هـ/ ١٢٠٢م، قال:

«صنّف كتابًا في النحو **رأيته بخطه**»[٢].

وذكر كتاب «تاريخ مَرْو» لأبي صالح أحمد بن عبدالملك بن علي بن أحمد ابن عبدالصمد النيسابوري المتوفى سنة ٤٧٠هـ/ ١٠٧٨م وقال:

«ومُسَوَّدته عندنا بخطه»[٣].

وأحيانًا كان يذكر هذه الكتب بما مثاله:

«**قرأت بخط** هلال بن المظفر الريحاني في كتاب ألّفه»[٤].

و«نقلت من خط أبي سعيد عبدالرحمن بن علي اليَزدادي في كتابه المسمى "جلاء المعرفة"»[٥].

و«**قرأت بخط أبي سعيد** عبدالرحمن بن علي اليزدادي اللغوي الكاتب في كتاب "جلاء المعرفة" من تصنيفه»[٦]

و«**قرأت بخط أبي حَيّان** التوحيدي من كتابه الذي ألّفه في تقريظ الجاحظ»[٧].

---

[١] ياقوت: معجم الأدباء ٥: ٥٣.
[٢] نفسه ٥: ٥٦.
[٣] نفسه ٣: ٢٢٤.
[٤] نفسه ١٤: ٨١.
[٥] نفسه ١٤: ٩٨.
[٦] نفسه ١٣: ١٩٤.
[٧] نفسه ١٦: ٧٨، ٩٥.

و«قرأت في كتاب "سرعة الجواب ومداعبة الأحباب" تصنيف الحسن بن جعفر بن عبدالصمد المتوكل **بخطه**»[١].

و«قرأت بخط عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الشاعر في كتاب له أَلَّفه في الصَّرْفَة»[٢].

وكتاب «المُذَيَّل» لأبي سعد السَّمْعاني نقل عنه بقوله :

«قال أبو سعد السمعاني في "المُذَيَّل" **ومن خطه نقلت**»[٣].

و«قرأت بخط أبي سعد السَّمْعاني من "المُذَيَّل" بإسناد»[٤].

و«كتاب "العروض" لعمر بن جعفر بن محمد الزَّعْفراني في خمس مجلدات ضخمة **رأيتها بخطه** في وَقْف جامع حلب»[٥]

و«قال الحاكم أبو عبدالله الحسين بن محمد بن الحسين الكتبي الهَرَوي : ورأيت في كتاب «تاريخ السنين» تصنيف أبي يعقوب إبراهيم بن محمد بن عبدالرحمن بن الفرات الهَرَوي الحافظ **وأصله عندي بخطه** في عشرة أجزاء»[٦].

و«كتاب «الذخائر في النحو» لأبي الحسن علي بن محمد الهَرَوي في نحو أربعة مجلدات رأيته بمصر **بخطه**»[٧].

و«ديوان شعر» أبي منصور ابن المُسَلَّم بن علي بن أبي الخَرْجين الحلبي قال :

«[وله] ديوان شعر وقفت عليه بخطه الرائق»[٨].

ووَقَف ياقوت على نسخة من كتاب «الوشاح» أو «وشاح الدُّمَيْنَة» لأبي الحسن علي بن زَيْد البَيْهَقي بخطه ونقل عنه بما مثاله :

«ما ذكره البيهقي عن نفسه في كتابه الذي نقلت لفظه منه **من خطه**»[٩] أو

«ومن شعره . . . . الذي أورده لنفسه في كتاب الوشاح . . . **ونقلته من خطه**»[١٠].

---

[١] ياقوت : معجم الأدباء ١٥ : ٦٨، ٧٤.
[٢] نفسه ٣ : ١٣٩.
[٣] نفسه ٣ : ٢٢٤.
[٤] نفسه ١٨ : ١٣٩.
[٥] نفسه ١٦ : ٥٩.
[٦] نفسه ١٧ : ١٦٤.
[٧] نفسه ١٤ : ٢٩٤.
[٨] نفسه ١٩ : ١٩٤.
[٩] نفسه ١٣ : ٢٣٢.
[١٠] نفسه ١٣ : ٢٣٣.

وفي ترجمته لأبي الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي البيروني قال :

«وجدت كتاب «تقاسيم الأقاليم» **تصنيفه وخطه** وقد كتبه في هذا العام [٤٢٢][١] .

وعندما ذكر كتاب «شرح القصائد العشر» لأبي زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن موسى بن بسطام الشيباني بن الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢هـ// ١١٠٨م، قال :

«**ملكته بخطه**»[٢] .

كذلك فقد وَقَفَ ياقوت الحموي بخزانة الملك المعظم ابن العادل بن أيوب صاحب دمشق على العديد من المؤلفات بخطوط مؤلفيها مثل كتاب «الصِّحاح» للجَوْهَري، قال :

«وَقَفْت على نسخة من "الصِّحاح" **بخط الجَوْهَري** بدمشق عند الملك المعظم بن العادل بن أيوب صاحب دمشق وقد كتبها في سنة ست وتسعين وثلاثمائة»[٣] .

وكتاب «تنقيح البلاغَة لأبي سعد محمد بن أحمد بن محمد الحميدي المتوفى سنة ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م، قال :

«رأيته بدمشق في خزانة الملك المعظم ـ خَلَّد الله دولته ـ **وعليه خطه** وقد قرئ عليه في شعبان سنة إحدى ثلاثين وأربعمائة»[٤] .

أما الكتب التي وَقَفَ عليها ياقوت أو اعتمد عليها وعليها خطوط مؤلفيها أو كتبت بخطوط العلماء والورّاقين، فأكثر من أن تُحْصى .

---

[١] ياقوت : معجم الأدباء ١٧ : ١٨٠ .
[٢] نفسه ٢٠ : ٢٧ .
[٣] نفسه ٦ : ١٥٩، ١٨ : ٣٥ .
[٤] نفسه ١٧ : ٢١٢ .

فقد كان معه نسخة من كتاب «نَظْم الجُمان» لأبي الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري الهَرَوي بخط تلميذه أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، وهو كتاب في أخبار اللغويين والنحويين، يقول في أكثر من موضع :

قرأت بخط الأزهري من كتاب «نَظْم الجُمان» للأزهري»[١] .

ونسخة من كتاب «شَرْح الحماسة» للمَرْزوقي وعليها خطه، يقول :

«**وجدت خطه** على كتاب "شَرْح الحماسة" من تصنيفه [أجاد فيه جداً] وقد قرئ عليه في شعبان من سنة سبع عشرة وأربعمائة»[٢] .

ونسخة من «ديوان الأدب» للفارابي بخط الجَوْهَري يقول :

«وجدت نسخة من «ديوان الأدب» [للفارابي] **بخط الجَوْهَري** بتبريز وقد كتبها سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة»[٣] .

ونقل من خط الجوهري بلفظ

«**قرأت بخط** الشيخ أبي نصر إسماعيل بن حَمّاد **الجَوْهَري**»[٤] .

كما وَقَفَ كذلك على خط أبي أحمد عبدالسلام بن الحسين بن محمد البَصْري خازن دار الكتب التي أنشأها الوزير سابور ببغداد، يقول :

«قرأت بخط عبدالسلام البصري في كتاب " عقلاء المجانين " لأبي بكر بن محمد الأزهري»[٥] .

ونقلت من خط أبي سعد السمعاني واختياره لتاريخه يحيى بن مَنْدة»[٦]

---

[١] ياقوت : معجم الأدباء ٣ : ٢٤ و ٧ : ١٢٢ - ١٢٣ و ١٢ : ١٦٩ و ١٣ : ٢٠٣ و ١٧ : ٤٨ .
[٢] نفسه ٥ : ٣٤.
[٣] نفسه ٦ : ١٥٩ .
[٤] نفسه ٦ : ٦٣ .
[٥] نفسه ٧ : ١٣٢ .
[٦] نفسه ٥ : ٧٠.

و«نقلت من خط أبي سعد السمعاني»[١].

و«ذكره أبو سعد ونقلت من خطه»[٢].

و«قرأت بخط أبي سعد بإسناد له»[٣].

و«نقلت من خط أبي سعد السَّمْعاني مما انتخبه من طبقات أهل فارس وشيراز تأليف الحافظ أبي عبدالله بن عبدالعزيز الشيرازي القصار»[٤].

وكان يشير إلى خطوط العلماء بما مثاله:

«قرأت بخط أبي علي المُحَسِّن بن إبراهيم بن هلال»[٥].

و«قرأت بخط أبي الفضل العباس بن علي بن برد الخباز»[٦].

و«قرأت بخط الشيخ أبي منصور موهوب بن الخضر الجواليقي»[٧].

و«نقلت من خط الإمام الحافظ حقًا صديقنا ومفيدنا أبي نصر عبدالرحيم بن النفيس بن وهْبان من كتاب "الإرشاد في معرفة علماء الحديث" تصنيف الخليل بن عبدالله بن محمد الحافظ القاضي»[٨].

***

وكان الوزير علي بن يوسف بن إبراهيم القِفْطي المتوفى سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م حريصًا على ذكر الكتب التي بخطوط مؤلفيها سواء ملكها أو اطّلع عليها، مثل كتاب «تهذيب اشتقاق المُبَرّد» لأبي محمد عبدالله بن محمد بن عبدالله بن علي الأشيري المتوفى سنة ٥٦١هـ/ ١١٦٦م، قال:

---

١ ياقوت: معجم الأدباء ٤: ٢٩، ٢٥٠، ٢٥٥؛ ١٢: ٧٩؛ ١٦: ١١٦، ٢٠٩، ٢٧٣؛ ١٨: ٢٥.

٢ نفسه ٦: ٩٧.

٣ نفسه ٦: ١٣٧، ١٤: ٧٦.

٤ نفسه ١٦: ١١٦.

٥ نفسه ٢: ٥٨، ٦٨، ٩٠، ٩١؛ ١٢: ٩٢؛ ١٧: ١٦٨..

٦ نفسه ١٢: ٩٦، ١٠٢.

٧ نفسه ١٦: ٢٠٦.

«رأيته فأحسن فيه وهو**عندي بخطه**»[١] .

وكتاب «غريب القرآن» لأبي عبدالرحمن عبدالله بن يحيى بن المبارك بن المغيرة المعروف بابن اليزيدي ، قال :

«رأيته في ستة مجلدات يستشهد على كل كلمة من القرآن بأبيات من الشعر **ملكته بخطه** وقد كتب عليه أبو سيف القزويني المعتزلي شيئًا بخطه أخطأ فيه وذلك أنه نسبه إلى أبي محمد أبيه»[٢] .

وكتاب «الكسوف» لأبي حنيفة أحمد بن داود الدِّينَوَري المتوفى سنة ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م، قال:

«**ملكته بخطه**»[٣] .

وكتاب «النوادر» لأبي علي الحسن بن عُلَيْل بن الحسين بن علي بن حبيش بن سعد العنزي المتوفى سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م، بسُرَّ من رأى، قال:

«فمما رأيته من تصانيفه ـ **وهو بخطه وملكته** ولله الحمد ـ كتاب النوادر»[٤] .

وكتاب "التذكرة" لأبي عبدالله الحسين بن محمد بن خالويه النحوي المتوفى سنة ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م ، قال :

«وهو مجموع **ملكته بخطه**»[٥]

وكتاب «التذكرة» لأبي محمد سعيد بن المبارك بن علي بن الدهان البغدادي المتوفى سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م، قال:

«وسمّاه «زهر الرياض» سبعة مجلدات **رأيتها وملكتها بخطه**»[٦] .

---

[١] القفطي : إنباه الرواه ٢ : ١٤٠

[٢] نفسه ٢ : ١٥١ .

[٣] نفسه ١ : ٤٢ .

[٤] نفسه ١ : ٣١٨

[٥] نفسه ٢ : ١٣٢ .

[٦] نفسه ٥ : ٥٠ .

وكانت عند القفطي مجموعة من مؤلّفات علي بن الحسن الهنائي الأزدي المعروف بكُراع النمل يقول:

«فمن تصنيفه كتاب «المُنَضَّد» في اللغة كبير على الحروف **ملكته**، و"المُجَرَّد بغير استشهاد" **ملكته**، و"المُنَجَّد" فيما اتّفق لقطه واختلف معناه **ملكته**، وكتاب و"الأوزان" أتى فيه باللغة على وزن الأفعال **ملكته**»[1].

وكذلك «شرح الجُمَل للزجاجي» لعلي بن القاسم بن يونس الإشبيلي المقرئ المعروف بابن الزّقّاق المتوفى في حدود سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م وهو أربع مجلدات كبار، قال:

«**ملكته بخطه**»[2].

وكتاب الانتصار «لابن الشَّجَري، قال القفطي:

«ولما أملى [أبو السعادات ابن الشَّجَري] أماليه في النحو، أراد ابن الخَشّاب النحوي أن يسمعها عليه فامتنع من ذلك، فعاد أبو السعادات على شيء من الرد فَرَدَّ عليه فيه وبَيَّن موضع غلطه في كتاب سمّاه "الانتصار"، وهو كتاب على صغَر جَرْمه في غاية الإفادة **وملكته** والحمد لله **بخطه** رحمه الله، وقد قرأه عليه الناس»[3].

وكتاب «الأزْهيَة» لعلي بن محمد الهَرَوي النحوي وهو في معاني العوامل، قال:

«**رأيته بخط** ولده أبي سَهْل **وملكته** والحمدلله، وله مختصر في النحو سَمّاه "المُرْشد" **رأيته** و**ملكته** و**عليه خطه**»[4].

وعند ذكره لأبي منصور بن المسلم بن علي بن محمد بن أحمد التميمي

---

[1] القفطي: إنباه الرواه ٢: ٢٤٠
[2] نفسه ٢: ٣٠٤.
[3] نفسه ٣: ٣٥٧.
[4] نفسه ٢: ٣١١

المعروف بالدميك، قال إنه:

«صنَّف كتابًا في الرد على أبي الفتح بن جنّي في إعراب الحماسة، وهو كتاب حسن جيّد يدل على تَضلُّع في العربية وجودة عرض **ملكته بخطه**»[١].

وذكر كذلك عن أبي الحسن علي بن عبدالله بن محمد بن عبدالباقي بن أبي جَرَادَة العُقَيْلي أنه:

«تَعَرّض إلى "غريب الحديث" لأبي عبيد القاسم بن سلام فقفّاه على حروف فشارك بهذا التصنيف أهل اللغة... **وملكت هذا التصنيف** وفيه ما فيه»[٢].

وعند ذكر «مختصر كتاب العُمْدَة لابن رشيق» لعثمان بن علي بن عمر السَّرَقوسي الصقلي النحوي، قال:

«وشاهدت هذا المختصر بحلب **بخطه** عند ابن القَيْسَراني وقد زاد فيه أبوابًا أخَلَّ بها ابن رشيق»[٣].

كما ذكر أنه شاهد بخط السَّلالي النحوي القُرَشي الكوفي الورّاق

«أن الجاحظ لما قدم من البصرة في بعض قدماته أهدى إلى محمد بن عبدالملك الزّيّات في وزارته نسخة من «كتاب» سيبويه وأعلم بإحضارها صحبته قبل أن يُحضرها مجلسه، فقال له ابن الزّيّات: أوَ ظَنَنْت أن خزائننا خالية من هذا الكتاب؟ فقال ما ظننت ذاك؛ ولكنها **بخط الفرّاء ومقابلة الكسائي وتهذيب عمرو بن بحر الجاحظ**. فقال له ابن الزّيّات: هذه أجَلُّ نُسْخَة توجد وأغربها. فأحضرها إليه فَسُرَّ بها ووقعت منه أجمل موقع»[٤].

---

[١] القفطي: إنباه الرواه ٢: ٣٤٦

[٢] نفسه ٢: ٢٨٦.

[٣] نفسه ٢: ٣٤٣.

[٤] نفسه ٢: ٣٥١.

وأضاف أنه رأى في تركة هاشم بن أحمد بن عبد الواحد بن هاشم أبو طاهر خطيب حلب المخلفة عنه كتاب سيبويه يشبه أن يكون بخط أحد ولدي عثمان بن جنِّي وعليه خط أبي علي الفارسي في عدة مجلدات قد عُدمَ أحَدُها[١] .

كما رأى بخط أبي الفتح بن الأشْرَس النحوي النيسابوري نسخة من كتاب سيبويه قال :

«من ملكها من العلماء ضاهي بملكهاملك آل بويه»[٢] .

وكانت مع القفطي أيضًا نسخة من «كتاب» سيبويه استدلَّ بها على دخول أبي بكر يحيى بن سعدون الأزدي القرطبي إلى بغداد ، يقول في ترجمته :

«دَخَلَ بغداد وقرأ القرآن على ابن بنت الشيخ أبي منصور وسمع عليه كتبًا كثيرة منها كتاب سيبويه **والنسخة بذلك عندي**»[٣] .

ولما هَجَمَ العرب على إفريقية اضطر ابن رشيق إلى الانتقال إلى مدينة مازر بصقلية فأكرمه أميرها وقرأ عليه بعض كتبه ، يقول القفطي :

«ومن جملة ما رأيت من قراءاته عليه كتاب «العُمْدَة» في صنعة الشِّعْر وهو أجَلُّ كتبه وأكبرها . **ورأيت خط ابن رشيق على نسخة منها**»[٤] .

وذكر في ترجمة أبي عبدالله محمد بن جعفر التميمي القزّاز القيرواني :

«له من التصانيف : كتاب «الجامع في اللغة» وهو أكبر كتاب صُنِّف في هذا النوع **ومنه نسخة في وَقْف الفاضل** عبدالرحيم بن علي **بالقاهرة المعزية**»[٥] .

كما كانت بحوزته كذلك نسخة قديمة من «شَمْس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم»لنَشْوان الحِمْيَري ، يقول :

---

[١] القفطي : إنباه الرواه ٣ : ٣٥٥

[٢] نفسه ٤ : ١٤٩ .

[٣] نفسه ٤ : ٣٧ .

[٤] نفسه ١ : ٣٠٣ .

[٥] نفسه ٣ : ٨٦؛ الصفدي: الوافي ٢ : ٣٠٤ – ٣٠٥ . .

«وهو كتابٌ جيد في نوعه رأيت منه ست مجلدات من ثمانية **وملكته ولله الحمد** فإنه وَصَلَ إليّ في الكتب الواصلة من اليمن من كتب الوالد تغمده الله بعفوه ورحمته وغفرانه، وكانت عنده نسخة كاملة نَبَّه عليها بعض أهل اليمن»[1]

وكان أبو بكر القاري الرازي النحوي اللغوي المتوفى بالرَّيّ قبل سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م، من أئمة وعلماء الرَّيّ ينسب إلى قرية من قراها يقال لها قار،

«وكان يكتب خطًا جميلا صحيحًا يتنافس العلماء في تحصيله بأغلى الأثمان»[2].

وكان العلماء يستفتون بعضهم البعض في التحقق من خطوط النسخ ومتملكيها، فمن ذلك ما ذكره القفطي قال:

ورأيت أنا نسخة من «غريب المُصَنَّف» بخط أبي بكر القاري هذا، وقد كَتَبَ في آخرها ما أنا ذاكره، وهو ما مثاله:

«الشيخ أطال الله بقاءه يتأمل هذه النسخة ويعرّفنا ما عنده في نسبتها إلى كاتبها ومستملكها إن شاء الله».

وبعده بخط الشيخ المسئول:

«أما النسخة ـ أطال الله بقاء الشيخ الجليل وأدام عُلُوَّه ـ فحُجَّة يُرْجَع إليها ويُعْتَمد في التصحيح عليها، فإنه خط أبي بكر القاري رحمه الله، وكانت لأبي علي المعلم الأراطي، اشتراها منه أبو محمد الشعراني رحمه الله لخزانة أبي الفَضل ابن العميد رحمه الله بستة عشر ديناراً مصرية.
وكان يضن بها كل من مَلَكَ من هؤلاء غاية الضَّنّ وأهلٌ لذلك النسخة.
وكَتَبَ محمد بن الحسن الوَزّان الرازي».

وتحت خطه ما مثاله:

«الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن أَيَّدَه الله الثقة الأمين، لكني سمعت

---

[1] القفطي: إنباه الرواه ٢: ٣٤٢
[2] نفسه ٤: ٩٤.

الشريف أبا طاهر محمد بن حمزة العلوي رحمه الله بقزوين يقول: اشتريت هذه النسخة من كتب الأراطي بثلاثين ديناراً مصرية، **وكتب أحمد بن فارس بخطه**»[١].

ونَقَلَ القفْطي من خط أبي الخير سلامة بن غَيّاض النحوي الكفرطابي ما مثاله:

«رأيت نسخة من "النَّقائض" رواية أبي بكر القاري عن أبي سعيد أحمد بن خالد العزيز، في مجلدين»[٢].

وذكر القفطي أن محمد بن منصور بن محمد بن عبدالجبار التميمي المَرْوزي المتوفى سنة ٥١٠هـ/ ١١١٦م.

«كان معتنيا باللغة وحصل له كتاب "التهذيب" للأزهري في اللغة **وعليه خطه**. وبقى عند مخلفيه إلى أن وَقَعَت فتنة الترك بخراسان في سنة ست عشرة وستمائة فغاب خبره فيما ذهب من أمثاله من تلك الخطة»[٣].

ورأى القفطي أيضًا نسخة من كتاب "التنبيه في النحو" لأبي الفتح محمد بن محمد بن أحمد بن الأشرس النحوي النيسابوري بخط السَّمْسَمي اللغوي قال:

«**وملكتها ولله المنة** وعليها [قراءة] بخط ابن فاخر النحوى البغدادى»[٤].

كما رأى نسخة من كتاب «المعارف» لابن قتيبة بخط أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن موسى الكرمانى اللغوي، قال:

«**رأيت بخطه** كتاب "المعارف" لابن قتيبة **وملكته** وهو في غاية الحسن والصحة»[٥].

[١] القفطي: إنباه الرواه ٤: ٩٤ – ٢٥.
[٢] نفسه ٤: ٩٤.
[٣] نفسه ٣: ٢١٧.
[٤] نفسه ٣: ١٥٠.
[٥] نفسه ٣: ١٥٥.

ووَصَفَ القفطي أبي الرجاء بن حرب الحلبي النحوي المتوفى بدمشق في حدود سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م، من أوراق رآها بخطه بقلة العلم وأضاف :

«ورأيت بخطه أجزاء من "الكَشّاف" للزمخشري في تفسير القرآن وفيها سقَم ظاهر»[٢].

وكان ياقوت الحموي قد شاهد بمدينة مَرْو نسخة من «تهذيب اللغة» للأزهري بخطه عند بني السَّمْعاني، وكَتَب منها نسخة وأحضرها في صحبته من خراسان [٣]. وذكر القفْطي أن هذه النسخة ذَهَب خبرها في وَقْعة الترك سنة سبع عشرة وستمائة ووُجدَ على المجلد العشرين منها بخط الإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزَّمَخْشَري ما صورته :

«ظفرتُ من هذه النسخة التي هي نسيج وحدها ـ لكونها **بخط المصنّف**، وسلامة لفظها من التحريف والزَّلل، الذي لا تكاد تبرأ منه يد كاتب في كتاب خفيف الحجم، وإن أحضر ذهنه، وأمده إتقان، وساعده حفظ ودراية، فضلا عن عشرين مجلدة ـ بضالّتي المنشودة، فأكببتُ عليها إكباب الحريص، وقلّبتها بالمطالعة، وعلّقت عندي ما فيها من الأحاديث التي خَلَتْ عنها مصنّفات أبي عُبَيْد والقُتَبيّ والخطّابي، والأمثال التي لم تكن في كتابي الذي سميته بـ"المستقصي في أمثال العرب"، وكلمات كثيرة من الغريب المشكل، وسألت الله تنوير حفرة المصنّف، وإنزاله في ظلال الفردوس بفضله ورأفته. **وكتب محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي بمدينة مَرْو بخطّ يده**، حامدا الله ومصلّيًا على خير خلقه محمد وآله، بتاريخ رجب الواقع سنة ثلاث وخمسمائة».

وكان عليه بخط المؤلف ما مثاله :

«**وكتب محمد بن أحمد بن الأزهر بيده**».

ثم بعد ذلك :

---

[١] القفطي : إنباه الرواه ٤ : ١٢١.

[٢] ياقوت : معجم الأدباء ١ : ٢٢٦.

«يقول محمد بن أحمد بن الأزهر: قرأ عليّ سيّدي أبو يعلي أدام الله له العزّ والتأييد هذا الكتاب من أوله إلى آخره وصحّحه فأتقنه، وأسأل الله ذا المَنّ والطَّوْل أن يبارك له فيه، وأن يقيَه كلّ محذور بمنّه ورأفته، **وكتبه بيده**».

«وكان سيدي أبو القاسم النّحوي أدام الله سعادته حاضراً في جميع ما قُرِئ عليّ أو قرأه هو. وكذلك أبويزيد القرشي، **وكتبهاالأزهري بيده**».

وعليه أيضًا:

«بلغ أبو سعيد الشاذكوني، وأبو عليّ النصروىّ، وأبو الحسن القاري».

وكان عليه بخط المطَرِّزي عبيد الله الفقير إليه ناصر بن المطرّزي:

«قام بمطالعة هذه النسخة بخوارزم وعارض بها نسخته عرضَ تصحيح وتنقيح، وذلك في شهور سنة خمس وستمائة»[١].

***

وكان مع الطبيب المؤرخ موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة المعروف بابن أبي أُصَيْبِعَة المتوفى سنة ٦٦٨هـ/ ١٥٧٠م العديد من الكتب الأصول التي ذكرها في كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» الذي صَنَّفَه سنة ٦٤٣هـ، منها كتاب الحُمِّيات» لإسحاق بن سليمان الإسرائيلي خمس مقالات، قال:

«ولم يوجد في هذا المعنى كتابٌ أجْوَد منه ونَقَلَت من خط أبي الحسن علي بن رضوان عليه ما قاله:

«أقول أنا علي بن رضوان الطبيب إن هذا الكتاب نافعٌ وجَمَعَه رجل فاضل وقد عملت بكثير مما فيه فوجدته لا مزيد عليه وبالله التوفيق والمعونة»[٢].

وكتاب «منافع الأعضاء لجالينوس» لابن أبي صادق النيسابوري، قال:

---

[١] القفطي: إنباه الرواه ٤: ١٧٤ – ١٧٥.

[٢] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ٢: ٣٧.

«وجدت الأصل من هذا الكتاب تاريخ الفراغ منه في سنة تسع وخمسين وأربعمائة مُوَقَّعًا عليه بخط ابن أبي صادق ما هذا مثاله :
بَلَغَت المقابلة وصَحَّ إنشاء الله تعالى وكتب أبو القاسم **بخطه**»[١] .

ورأى ابن خَلِّكان معاصر ابن أبي أُصَيْبِعَة نسخة من كتاب «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي، يقول في ترجمته :

«وصَنَّف تاريخًا كبيراً **رأيته بخطه** في أربعين مجلداً سماه "مرآة الزمان"»[٢] .

* * *

وعلى العكس من المؤلّفين السابق ذكرهم فقد وَصَلَ إلينا العديد من النُّسَخ التي أشار صلاح الدين خليل بن أَيْبَك الصَّفَدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م في كتابه «الوافي بالوفيات» إلى أنه تَمَلَّكَها أو رآها أو نَقَلَ منها أو اطَّلَع عليها شاهدةً على دقّة علمائنا القدماء في توثيق أخبارهم، فمن ذلك مؤلّفات علي بن سعيد المغربي ومنها :

«كنوز المطالب في آل أبي طالب» قال :

«**ملكته بخطه** في أربع مجلدات»[٣] .

وكتاب «الغراميات» قال :

« **وملكته بخطه**»[٤] .

ونقل منه بقوله :

«**ونقلت من خط** الأديب علي بن سعيد المغربي ما ذكره في كتاب "الغراميات" له»[٥] .

وكتاب «حُلَى الرسائل» قال :

« **رأيته بخطه**»[٦] .

وكتاب «المُشْرِق في أخبار أهل المَشْرِق»، قال :

---

[١] ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء٢ : ٢٢ – ٢٣ .
[٢] ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ : ١٤٢ .
[٣] الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٢ : ٢٥٤ .
[٤] نفسه ٢٢ : ٢٥٣ .
[٥] نفسه ١٣ : ١٠٧، ١٤ : ٢٣٢ .
[٦] نفسه ٢٢ : ٢٥٣ .

«**ملكت** منه ثلاث مجلدات **بخطه**»[١].

وأفاد منه في كتابه بما مثاله:

«نقلت من خط ابن سعيد المغربي في كتاب المُشْرق في أخبار المَشْرق، قال: . . . . . .»[٢].

وكتاب «المُغْرِب في حُلَى المَغْرِب» له أيضًا وقال:

«**وملكته بخطه**»[٣].

وقد وصلت إلينا هذه النسخة عينها[٤]، وهي التي كتبها علي بن سعيد المغربي برَسْم خزانة صديقه الصاحب كمال الدين أبي القاسم عمر بن أبي جَرادَة المشهور بابن العديم بحلب بين سنتي ٦٤٥ و٦٤٧هـ. ويبدو أن هذه النسخة خرجت من حوزة بني العديم بعد كتابتها بنحو قرن على الأكثر وامتلكها الصَّفَدي كما ذكر في ترجمته لابن سعيد. ونحن نجد على غلاف السفر الرابع منها بخط الصَّفَدي:

«طالعه وانتقى منه **مالكه** خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي عفا الله عنه».

وعلى غلاف السفر السادس منها بخط الصَّفَدي أيضًا:

«طالعه وعَلَّق منه ما اختاره **مالكه** خليل بن أيبك عفا الله عنه». [انظر لوحة رقم]

كما كان معه «مُعْجَم» شهاب الدين أبي إسحاق إسماعيل بن كامل بن عبدالرحمن القوصى المُرَجَّى المتوفى سنة ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م، وهو مُعْجَمٌ هائلٌ خَرَّجَه لنفسه في أربع مجلدات ضخمة صنَّفه وهو في سجن بعلبك في القلعة بعد أن غضب عليه الملك الصالح إسماعيل وسجنه هناك، لذلك فإن «فيه غَلَطٌ كثيرٌ وأوهامٌ وعجائب»، كما يقول الصفدي[٥]، ونقل عنه بما صيغته:

«**نقلت من خط** شهاب الدين القوصي في "معجمه"»[٦].

---

[١] الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٢ : ٢٥٢.
[٢] نفسه ١٨ : ٥٤٤.
[٣] نفسه ٢٢ : ٢٥٣.
[٤] انظر عن تاريخ هذه النسخة فيما يلي ص ٣٥٢ – ٣٥٤.
[٥] الصفدي: الوافي بالوفيات ٩ : ١٠٥.
[٦] نفسه ١٨ : ١٤٢، ٢١٦، ٢٢٠، ٣٠٦، ٣٨٥، ٥٤٣؛ ٢٢ : ٣٠٩، ٤٣٢.

ونسخة من كتاب «شَرْح اللُّمَع» لأبي القاسم عمر بن ثابت الثمانيني النحوي الضرير المتوفى سنة ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م، قال في ترجمة إسماعيل بن موهوب الجواليقي:

«كان . . . مليح الخط ملكت «شَرْح اللُّمَع» للثمانيني **بخط هذا إسماعيل** وهو في مجلدة واحدة في غاية الحُسْن وصحَّة الضَّبْط قَلَّ أن رأيت مثلها»[١].

ونسخة من «العُباب الزاخر في اللغة» للصاغاني وهو في عشرين مجلداً لم يتم، قال:

«**رأيته بخطه** في دمشق ورأيت بخطه تعزيز بيتي الحريري من نظمه في بعض أبياته كسراً وزحافًا غير جائز، ولكنه خَطٌّ جيد محرر الضَّبْط»[٢].

ونسخة من «ديوان ابن بابك» بخط ابن خَروف النحوي المتوفى سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م، قال في ترجمته:

ملكت ديوان ابن بابك بخطه في مجلدة واحدة»[٣].

وكتاب «المغازي» لأبي القاسم عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن حُبَيْش الأنصاري المتوفى سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م، قال:

«عدة مجلدات **وملكته بخطه** وهو في مجلدين، وخطه جيد في المغربي طبقة»[٤].

و«ديوان أسامة بن مُنْقذ»، قال:

«**ملكت نسختين بديوانه وهما بخط يده**»[٥].

وكذلك نسخة من «خطط» محيى الدين بن عبدالظاهر نَقَلَ عنها بما مثاله:

«قال القاضي محيى الدين عبدالله بن عبدالظاهر**ونقلت ذلك من خطه**»[٦].

---

[١] الصفدي: الوافي بالوفيات ٩ : ٢٣٠.
[٢] نفسه ١٢ : ٢٤٢.
[٣] نفسه ٢٢ : ٩٠.
[٤] نفسه ١٨ : ٢٥٩.
[٥] نفسه ٨ : ٣٧٨.
[٦] نفسه ٥ : ٩٢؛ ١٣ : ٤٠٤؛ ١٨ : ٣٤٣، ٣٤٦.

وعندما ترجم الصَّفَدي لشيخ الإسلام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان الذَّهَبي المتوفي سنة ٧٤٨/ ١٣٤٩م، قال:

«اجتمعت به وأخذت عنه وقرأت عليه كثيراً من تصانيفه، ولم أجد عنده جمود المُحَدّثين ولا كَوْدَنَة النقلة بل هو فقيه النظر... ومن مصنفاته.. "تاريخ الإسلام" وقد قرأت عليه من المغازي والسيرة النبوية إلى آخر أيام الحسن وجميع الحوادث إلى آخر سنة سبع مائة ... و"طبقات القرّاء" وسمّاه "معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار" **تناولته منه وأجازني روايته**»[١].

وقد وصَلَت إلينا نسخة «تاريخ الإسلام» التي كتبها الذَّهَبي بخطه سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م، وكانت من الكتب الموقوفة بالمدرسة المحمودية بالقاهرة وشاهدها بها السخاوي في نهاية القرن التاسع[٢]، ثم آلت إلى مكتبة آيا صوفيا باستانبول وهي محفوظة بها تحت رقم ٣٠٠٥، وقد كتب الصَّفَدي بخطه على غلاف المجلد الحادي عشر منها ما يُؤكِّد ما ذكره في ترجمة الذَّهَبي في «الوافي» وهو:

«قرأت حوادث السنين من هذا المجلد وهي من أول سنة إحدى وسبعين وستمائة إلى آخر سنة سبع ومائة **على مؤلفه** وكاتبه الشيخ الإمام الحافظ العلامة شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذَّهبي، وكذلك قرأت عليه من أول الترجمة النبوية إلى آخر أيام الحسن بن علي رضي الله عنهما، ثم قرأت الحوادث من هذا التاريخ سنةً فسنة حتى أكملت الجميع، وسمع ذلك أجمع فتاي طيار بن عبدالله الرومي وفاته من ذلك شيئًا يسير مذكور في بعض المجلدات من هذا التاريخ، وأجازنا الشيخ رواية هذا الكتاب ورواية ما يجوز له تسميعه في مدة آخرها خامس عشر شعبان سنة خمس وثلاثين وسبعمائة.

---

[١] الصفدي: الوافي بالوفيات ٢ : ١٦٣.

[٢] السخاوي: الإعلان بالتوبيخ ٥٢٢، ٦٧٤.

وكتب خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي حامداً ومصلياً» .

[انظر لوحة رقم]

وكان مع الصَّفَدي كذلك نسخة من كتاب «فَلَك المعاني» لابن الهَبّارية بخط محمد بن أحمد بن عبدالله السُّلَمي الكاتب المصور، قال:

«**ملكت بخطه وتصويره** كتاب "فلك المعاني" وذكر في آخره أنه كتبه وصَوَّرَه في المحرم سنة ثمان وعشرين وست مائة»[1] .

وعندما ترجم الصَّفَدي لشمس الدين محمد بن سليمان بن علي بن العفيف التلمساني المتوفى سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م، قال:

«**رأيت ديوانه بخطه** وهو في غاية القوة والقلم الجاري واخترت ديوانه، **ورأيت خط الشيخ محيي الدين النووي** رحمه الله تعالى على كتاب "المنهاج" له وقد قرأه عفيف الدين التلمساني وولده شمس الدين محمد المذكور وقد أجازهما روايته عنه سنة سبعين وست مائة وفي أول هذه النسخة بخط شمس الدين المذكور "**ملكه فلان وحفظه**"»[2] .

وعند ذكره لجمال الدين أبي عبدالله محمد بن سليمان بن الحسن البَلْخي المقدسي الحنفي المعروف بابن النقيب المتوفى سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م، قال:

«وصنَّفَ تفسيراً حافلا جَمَعَ فيه خمسين مصنفًا وذكر فيه أسباب النزول والقراءات والإعراب واللغة والحقائق وعلم الباطن، قيل إنه في خمسين مجلدة. . . **وبالتفسير نسخة بجامع الحاكم بالقاهرة** أظنها في ثمانين مجلدة»[3] .

***

وأشار شيخ مؤرخي مصر الإسلامية تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المَقْريزي المتوفى سنة ٨٤٥هـ/ ١١٤٢م إلى بعض المؤلَّفات التي وَقَفَ عليها

[1] الصفدي: الوافي بالوفيات ٢ : ١١٣ .
[2] نفسه ٣ : ١٣٠ .
[3] نفسه ٣ : ١٣٧ .

بخطوط مؤلّفيها واعتمد عليها في مؤلّفاته وخاصة كتابه الرئيسي «المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار»، مثل: «سيرة المعز لدين الله» لابن زولاق التي نَقَلَ عنها بما مثاله:

«ومن خطه كتبت».

أو «ومن خطه نقلت»[١].

وكذلك كتاب «تعليق المتجددات» للقاضي الفاضل عبدالرحيم بن علي البَيْساني الذي نقل منه ما مثاله:

«ومن خطه نقلت»[٢].

وأيضًا «السيرة الناصرية» لعماد الدين موسى محمد بن يحيى اليوسفي التي وَقَفَ عليها المقريزي بخط مؤلّفها[٣].

وقد وَصَلَت إلينا نُسَخٌ لبعض المؤلّفات القديمة التي وَقَفَ عليها المقريزي واطّلَع عليها واستفاد منها في مؤلّفاته وسَجّلَ عليها بخطه ما يفيد ذلك، مثل ما ورد على غلاف الجزء الأربعين من «أخبار مصر» للمُسَبِّحي المحفوظ في مكتبة الإسكوريال بمدريد برقم 534₂ فقد كتب عليها:

«استفاد منه داعيًا له

أحمد بن علي المقريزي».

وعلى غلاف نفس النسخة نجد توقيعًا آخر لمعاصر المقريزي المؤرخ أحمد بن عبدالله الأَوْحَدي صيغته:

«طالعه أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدي

بالقاهرة سنة ٨٠٣»

---

١ المقريزي: مسودة الخطط ٨٤، ١٨٤.

٢ نفسه ٤٤، ١٢٨، ٣١٩.

٣ نفسه ١٤٥ – ١٤٦.

وما وَرَدَ على غلاف السفرين الرابع والسادس من كتاب «المُغْرب في حُلَى المَغْرب» لعلي بن سعيد المغربي المحفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٣ تاريخ م ومثاله:

«استفاد منه داعيًا لمالكه

أحمد بن علي المقريزي سنة ٨٠٣».

وعلى نفس النسخة توقيعات لعلماء آخرين هم الصَّفَدي وابن دُقْماق والأَوْحَدي والأسْعَرْدي نصها:

«طالعه وانتقى منه مالكه

خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي عفا الله عنه».

و«استفاد منه داعيًا لمالكه

إبراهيم بن دقماق عفا الله عنه

ورحمه آمين»

و«طالعه أحمد بن عبدالله

بن الأوحدي سنة ....»

و«طالعه وترحم على مصنفه

خليل بن عمر بن المحتاج الأسعردي عفا الله عنه»

وما ورد كذلك في ذيل الورقة ٩٥ ظ من الجزء السابع من «تاريخ الدول والملوك» لابن الفرات نسخة مكتبة ڤيينا رقم ٨١٤، ومثاله:

«انتقاه داعيًا لمالكه أحمد بن علي المقريزي

في صفر سنة ٨١٩».

***

ونستطيع أن نُقَدِّر مدى اهتمام العلماء باقتناء الكتب التي بخطوط مُصَنِّفيها مما رواه ابن حَجَر العَسْقَلاني عن قاضي القضاة بُرْهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن عبدالرحيم بن محمد بن جَمَاعَة التوفى سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م من أنه:

«خَلَّف من الكتب النفيسة ما يعزّ اجتماع مثله لأنه كان مغرمًا بها، فكان يشتري النسخة من الكتاب التي إليها المنتهى في الحُسْن ثم يقع له ذلك الكتاب بخط مصنِّفه فيشتريه فلا يترك الأولى إلى أن **اقتنى بخطوط المُصَنِّفين ما لا يُعَبَّر عنه كثرة**»[١].

***

وعاش المُحَدِّث والمُؤَرِّخ الناقد شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن محمد السَّخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م، في فترة كانت القاهرة غنية فيها بمكتبات المدارس[٢]، التي رأى فيها أو اطَّلَع على العديد من النُّسَخ الأصلية والمعتبرة أو ملكها هو بنفسه. فمن ذلك «تاريخ مصر» لقطب الدين عبدالكريم بن عبدالنور الحلبي المتوفى سنة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م، قال:

«وجَمَعَ القُطب الحلبي للمصريين تاريخًا حافلاً **عندي من مُسَوَّدَته بخطه مجلدات تزيد على العشرة** وهو على الحروف ما أكمله، بَيَّض منه من اسمه محمد»[٣].

و«الثقات» لابن حبّان، قال:

«وأصل الثِّقات عندي **بخط الحافظ أبي بكر علي البكري**»[٤].

---

[١] ابن حجر: إنباء الغمر ١ : ٣٥٥؛ ابن العماد: شذرات الذهب ٦ : ٣١٢.

[٢] انظر فيما يلي ص ٢٤٩ – ٢٥٣.

[٣] السخاوي: الإعلان بالتوبيخ ٦٤٦.

[٤] نفسه ٥٩٠

و«ذيل تاريخ بغداد» لتقي الدين محمد بن رافع المتوفى سنة ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م، قال:

«واستوفيت عليه مطالعة مُسَوَّدَة الذيل الذي للتقي بن رافع على ابن النجّار من خطه وهي في مجلد، ولكن حصل فيها محو لكثير من تراجمه. . [و] كتب عليها ما نصه «فيه نقص كثير عن المُبَيَّضَة وفيه زيادات قليلة»[1].

و«معجم السَّفَر» للحافظ أبي الطاهر أحمد بن محمد السِّلَفي المتوفى سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م، قال:

«وهو في مجلد كثير الفوائد **بخط محمد بن المُنْذري**، قال عن أبيه الزَّكيّ أنه وَقَعَ له **بخط السِّلَفي** في جزازت كل ترجمة في جزازة فبَيَّضَها ورتَّبَها كما تجيء لا كما يجب. وكذا لم يكن ترتيبه كما ينبغي، ولم يكتب فيه من الأصبهانيين أحداً»[2].

ويبدو أن نسخة مكتبة شيستر بيتي من الكتاب رقم 3880 والتي تمتلك دار الكتب المصرية صورة منها تحت رقم ٣٩٣٢ تاريخ قد نقلت عن هذه النسخة، فكثيراً ما نصادف فيها الملاحظة التالية: «وقد قال في ورقة أخرى» (ص٥٧، ١١٠، ١١٨، ٣٧٢).

و«معجم الدمياطي» شرف الدين عبدالمؤمن بن خَلَف الدمياطي المتوفى بعد سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م، قال:

«وهو في أربعة وأربعين جزءاً حديثية، فنصفه الثاني من نسخة **بخط التاج بن مكتوم** [أحمد بن عبدالقادر بن أحمد المتوفى سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م] بالصَّرْغَتْمَشيّة وباقيه من غيرها»[3].

---

[1] السخاوي: الإعلان بالتوبيخ ٥٩١
[2] نفسه ٥٩٢
[3] نفسه ٥٩٣.

و«معجم أبي المعالي [أحمد بن إسحاق] الأبرقوهي تخريج سعد الدين مسعود الحارثي من نسخة **بخط ابن الظاهري**»[١].

و«المعجم الكبير» للذهبي من **خطه** بالمحمودية [٢].

و«النصف الأول من «تاريخ اليمن» للخَزْرَجي، مُوَفَّق الدين أحمد أبي الحسن علي بن أبي بكر بن الحسن المتوفى سنة ٨١٢هـ/ ١٤١٠م. من نسخة **بخطه**»[٣].

وعدّة مجلدات من تاريخ حلب» لكمال الدين أبي حَفْص عمر بن أحمد بن العديم المسمى «بُغْيَة الطَّلَب في تاريخ حلب»، قال:

«كانت عند صاحبنا الجمال بن السابق الحموي [محمد بن محمد المتوفى سنة ٨٧٧هـ/ ١٤٧٣م] **بخط مؤلفه** ونقلها منه صاحبنا ابن فَهْد [وهي في عشرة مجلدات]»[٤].

وعند ذكره المجلد التاسع من الكتاب قال:

«وَقَفْت على المُسَوَّدَة التي **بخط المؤلف** من هذا الجزء بخصوصه عند ابن فهد وعليها **بخط المؤلف** تلقيبه بالرابع عشر»[٥].

ثم أضاف:

«ورأيت مجلداً آخر منه فيه بعض البلدان وكان عند المُحبّ بن الشِّحْنَة منه **بخط المؤلف** بعض الأجزاء مما لم أطالعه»[٦].

وقد وَقَف الحافظ جلال الدين السيوطي على هذه النسخة ونَقَلَ عنها في كتابه «بُغْيَة الوعاة» بقوله:

---

[١] السخاوي: الإعلان بالتوبيخ ٥٩٤
[٢] نفسه ٥٩٤
[٣] نفسه ٥٩٥
[٤] نفسه ٥٩٦
[٥] نفسه ٥٩٧
[٦] نفسه ٥٩٧

«رأيت في تاريخ حلب لابن العديم **بخطه**»[١] .

وقد وَصَلَت إلينا إلينا هذه النسخة عينها وعليها خط السيوطي وتقع في ثمانية مجلدات وهي محفوظة الآن في مكتبة أحمد الثالث باستانبول تحت رقم ٢٩٢٥ (ومنها مصورة على الميكروفلم بمعهد المخطوطات العربية برقم ٩٠ تاريخ)» .

وذكر أيضًا «مُعْجَم» ابن حبيب وقال :

«وهو **بخط الذَّهَبي** في المؤيدية»[٢] .

و«تاريخ إرْبل» لأبي البركات المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللَّخْمي الإرْبلي المعروف بـ ابن المُسْتَوْفي المتوفى سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م ، وقال :

«وهو **بخطه** في خمس مجلدات»[٣] .

ووَصَلَ إلينا نموذج من خط ابن المُسْتَوْفي الإرْبلي حيث كتب بخطه نسخة «ديوان شعر القطامي» المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤٦ أدب [انظر لوحة رقم].

أما «تاريخ مدينة دمشق» للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م ، فذكر أن أصله في ثمانين مجلدًا وشاهد منه

«نسخة [في] المحمودية في سبعة وخمسين [مجلدًا]»[٤] .

ورأى ذيله الذي ألّفه الحافظ شمس الدين الذهبي وقال :

«وهو **بخطه** في عشرة أجزاء»[٥] .

---

[١] السيوطي : بغية الوعاة ٢٢٢ .
[٢] السخاوي : الإعلان بالتوبيخ ٦٠٦ .
[٣] نفسه ٦١٤ .
[٤] نفسه ٦٣٨ .
[٥] نفسه ٦٣٨ .

وكذلك نسخة من "تاريخ مكة" لأبي زيد عمر بن شبَّة النميري، قال:

«كتبه صاحبنا ابن فَهْد**بخطه** في مجلد»[١].

وعند حديث السّخاوي عن «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي قال:

«والمجلد الثاني والثالث من الذيل عليه لابن النجار وأولهما محمد بن حمزة بن علي بن طلحة بن علي وآخرهما انتهاء المحمدين، والكتاب كله في خمسة عشر مجلداً من **الموقوف بجامع الحاكم**.

.... فالحاصل أن المفقود الخامس وبعض السادس وجميع العاشر وبعض الحادي عشر، **وكنت لمحت منه أجزاء في أوقاف الجمالية ثم لم أرها**»[٢].

ومن الكتب التي وَقَفَ عليها السخاوي كذلك بخطوط مؤلفيها «تاريخ ابن الجَزَري»، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن إبراهيم الدمشقي المتوفى سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م، قال:

«تاريخ كبير**بخطه** في المحمودية»[٣].

وكتاب «شذور العقود في تاريخ العقود» لابن الجَوْزي وهو اختصار لتاريخه الكبير «المنتظم» قال:

«وقفت عليه **بخطه**»[٤].

وذكر كذلك الذّيّل الذي ألّفه قطب الدين موسى بن أحمد بن محمد بن عبدالله اليونيني المتوفى سنة ٧٢٦هـ/ ١٢٣٦م على كتاب «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» لسبْط بن الجَوْزي، قال:

«وهو بالمحمودية في أربع مجلدات»[٥].

---

[١] السخاوي: الإعلان بالتوبيخ ٦٤٨.
[٢] نفسه ٥٩٠.
[٣] نفسه ٦٧٥.
[٤] نفسه ٦٧٢.
[٥] نفسه ٦٧٢.

كما شاهد كذلك نسخة من كتاب «زُبْدَة الفكرة في تاريخ الهجرة» لبيبرس المنصوري، قال:

«في خمس وعشرين مجلداً بالمؤيدية»[١].

* * *

أما الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السّيوطي، معاصر السّخاوي، المتوفى سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م فقد كان بين مصادره العديد من المصنفات بخطوط مؤلفيها، مثل كتاب «الوافي بالوفيات» لخليل بن أيْبَك الصَّفَدي، قال عنه:

«التاريخ الكبير للصلاح الصفدي وهو **بخطه** في أكثر من خمسين مجلداً»[٢].

وكتاب «التذكرة» لجمال الدين يوسف بن أحمد بن محمد بن محمود الأسدي المعروف باليَغْموري، قال:

«ست مجلدات ثلاثة بمكة وثلاثة بالقاهرة **بخطه**»[٣].

وكتاب بُغْيَة الطَّلَب في تاريخ حلب» لابن العديم، قال:

«رأيت في "تاريخ حلب" لابن العديم **بخطه**»[٤].

وقال في ترجمة أبي المحاسن مُهَلَّب بن حسن بن بركات المُهَلَّب البَهْنَسي:

«رأيت له تأليفًا في الفوائد النحوية نَظْمًا وشرحًا وهو مجلد لطيف عندي **بخطه**»[٥].

كذلك فقد كانْ مع السيوطي نسخة نادرة من «الجَمْهَرَة في اللغة» لابن دُرَيْد، قال:

---

١ السخاوي: الإعلان بالتوبيخ ٦٧٩.
٢ السيوطي: بغية الوعاة ٣.
٣ نفسه ٣ وانظر أعلاه ص ١٢٩.
٤ نفسه ٢٢٢.
٥ نفسه ٣٩٩.

«ظفرْتُ بنسخة منها بخط أبي النمر أحمد بن عبدالرحمن بن قابوس الطرابلسي اللغوي، وقد قرأها على ابن خالَوَيْه بروايته لها عن ابن دُرَيْد وكتب عليها حواشي من استدراك ابن خالَوَيْه على مواضع منها، ونَبَّه على بعض أوهام وتصحيفات»[١].

ويحدثنا السيوطي عن نسخة من الجمهرة بخط مؤلفها، يقول:

«وقال بعضهم: كان لأبي عليّ القالي نسخة من الجمهرة **بخطّ مؤلفها،** وكان قد أُعْطي بها ثلاثمائة مثقال فأبى، فاشتدَّت به الحاجة؛ فباعها بأربعين مثقالا، وكتب عليها هذه الأبيات:

أنِسْتُ بها عشرين حولا وبعتُها ... فقد طال شَوْقي بعدَها وحَنيني
ومَا كان ظنِّي أنني سأبيعُها ... ولو خلَّدَتْني في السجون دُيوني
ولكن لضعف وافتقار وصِبْيَة ... صغار عليهم تستهلّ شئوني
فقلت - ولم أملك سوابِقَ عَبْرتي ... مقالةَ مكويٍّ الفؤاد حَزين
وقد تُخْرِجُ الحاجاتُ - يا أم مالك - ... كرائمَ من ربٍّ بهنَّ ضَنَين

قال: فأرسلها الذي اشتراها، وأرسل معها أربعين ديناراً أخرى، رحمهم الله.

وجدت هذه الحكاية مكتوبة بخط القاضي مجد الدين الفيروز اباذي صاحب القاموس؛ على ظهر نسخة من العُباب للصَّغاني، نقلها من خطّه تلميذُه أبو حامد محمد بن الضياء الحنفي، نقلتُها من خطِّه»[٢].

وكانت مع السيوطي كذلك نسخة من كتاب «الفوائد» في اللغة لأبي إسحاق إبراهم بن عبدالله النَّجَيْرَمي المتوفى بعد سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٨م بخطه نقل منها بقوله:

«وفي فوائد النجيرمي **بخطه**»[٣].

---

[١] السيوطي: المزهر ١: ٩٥.
[٢] نفسه ١: ٩٥.
[٣] نفسه ٢: ٣٠٤، ٣١٩، ٣٣٧.

وذكر أبو العباس المَقَّري التلمساني صاحب كتاب «نفح الطيب» المتوفى سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م أن لسان الدين بن الخطيب أرسل سنة٧٦٨هـ نسخة من كتابه «الإحاطة بتاريخ غرناطة» إلى مصر ووَقَفَها على أهل العلم وجَعَلَ مَقَرَّها بخانقاه سعيد السعداء رأى منها المَقَّري، أثناء وجوده بمصر، المجلد الرابع ويظهر أول ورقة من هذه النسخة خطوط جماعة من العلماء، قال:

«فمن ذلك ما كتبه الحافظ المقريزي المؤرخ ونصه: "انتقى منه داعيًا لمؤلفه أحمد بن على المقريزي في شهر ربيع سنة ثمان وثمانمائة". وما رقمه الحافظ السيوطي ونصه: "الحمد لله وحده، طالعته على طبقات النحاة واللغويين، وكتبه عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي سنة ثمان وستين وثمانمائة"؛ انتهى. وبعد هذين ما صورته: "انتقى منه داعيًا لمؤلفه محمد بن محمد القوصوني سنة أربع وخمسين وتسعمائة". وبعده ما صورته: "أنهاه نظراً وانتقاءاً علي الحموي الحنفي لطف الله به". وبخط مولانا العارف الرباني علامة الزمان وبركة الأوان سيدي الشيخ محمد البكري الصديقي ما نصه: "طالعته مبتهجًا برياضه المونقة، وأزهار معانيه المشرقة، مرتقياً في درج كلماته العذاب سماء الاقتباس، مقتنيًا من لطائفه درراً وجواهر بل أحاشيها بذلك القياس، كتبه محمد الصديقي غفر الله له"، انتهى.

ورأيت بهامش هذه النسخة كتابه جماعة من أهل المشرق والمغرب كابن دُقْماق والحافظ ابن حجر وغيرهما من أهل مصر، فمن المغاربة ابن المؤلف أبي الحسن علي بن الخطيب، والخطيب الكبير سيدي أبي عبدالله ابن مرزوق، والعلامة أبي الفضل ابن الإمام التلمساني، والنحوي الراعي، والشيخ الفهامة الشهير يحيى العجيسي شارح الألفية وصاحب التآليف، وغير هؤلاء ممن يطول تعدادهم، رحم الله تعالى جميعهم»[1].

فهذه النسخة النفيسة لم تصل إلينا وإن كان الأستاذ محمد عبدالله عنان ناشر كتاب «الإحاطة» يرى أن الأوراق المتناثرة من الكتاب (١٧٠ ورقة بخط مغربي قديم) والمحفوظة برواق المغاربة بالأزهر وعلى هوامشها تعليقات واستدراكات بخط المَقَّري وعليها توقيعه مؤرخ سنة ١٠٢٩هـ، هي بقايا النسخة التي وصفها المقري.

---

[1] المقري: نفح الطيب ٧ : ١٠٦.

***

وبالإضافة إلى النُّسَخ التي بخطوط مؤلِّفيها فإن العديد من النُّسَخ التي اعتمد عليها القدماء تستمد نفاستها مما جاء في قيد الفراغ من كتابتها من تواريخ تفيد في تعيين سنة وفاة مؤلفها، أو ما جاء عليها من سماعات أو قراءات أو إجازات بخطوط العلماء، فمن ذلك تحديد وفاة أبي حنيفة الدينوري، قال ياقوت:

«مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وجدت ذلك على ظهر كتاب النبات من تصنيفه.

ووجدت في كتاب عتيق: مات أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري قبل سنة تسعين ومائتين.

ثم وجدت على ظهر النسخة التي بخط ابن المُسَبِّح بكتاب النبات من تصنيف أبي حنيفة: «توفي أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ثمانين ومائتين»[١].

وتحديد سنة وفاة أحمد بن فارس اللغوي، حيث ذكر ابن الجوزي أن وفاته كانت سنة تسع وستين وثلاثمائة، قال ياقوت:

«ووُجِدَ بخط الحميدي أن ابن فارس مات في حدود سنة ستين وثلاثمائة. وكلٌّ منهما لا اعتبار به لأني وجدت خط كَفِّه على كتاب «الفصيح» تصنيفه وقد كتبه في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة»[٢].

[وعن هذه النسخة نقَلَ ياقوت الحموي نسخة بخطه سنة ٦١٦هـ محفوظة الآن في مكتبة تشستربيتي برقم 39992].

وكذلك تحديد سنة وفاة أبي هلال الحسن بن عبدالله بن سَهْل العَسْكري، يقول ياقوت:

---

[١] ياقوت: معجم الأدباء ٣: ٢٦.

[٢] نفسه ٤: ٨٠، ٨٢ ومعجم البلدان ٤: ٤٣٠ - ٤٣١.

«وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء، غير أني وجدت في آخر كتاب "الأوائل" من تصنيفه :

" وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلثمائة "»[١] .

واستدل ياقوت على تأخُّر وفاة الجوهري عن سنة ٣٩٣هـ من نسخة من كتابه الصحاح بخطه فرغ منها في سنة ست وتسعين وثلاث مائة[٢] .

كما وجد ياقوت على نسخة قديمة من كتاب «المُجْمَل» لابن فارس ما صورته :

«تأليف الشيخ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الزّهراوي الأستاذ خَرْزي، واختلفوا في وطنه فقيل كان من رسْتاق الزّهْراء من القرية المعروفة بكُرْسُفَة وجيانا باذ وقد حضرت القريتين مراراً ولا خلاف أنه قروي.

حدَّثني والدي محمد بن أحمد وكان من جملة حاضري مجالسه قال : أتاه آت فسأله عن وطنه فقال : كُرْسُف، قال : فتمثَّل الشيخ :

بلاد بها شُدّت عليّ تمائمي وأول أرض مَسّ جلدي ترابها .

وكتبه مُجَمِّع بن محمد بن أحمد[٢] بخطه في شهر ربيع الأول سنة ست وأربعين وأربعمائة» .

وكان في آخر هذا الكتاب ما صورته أيضًا :

" قضى الشيخ أبو الحسين أحمد بن فارس رحمه الله في صفر سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بالريّ ودُفن بها مقابل مشهد قاضي القضاة أبي الحسين علي بن عبدالعزيز " يعني الجرجاني»[٣].

وقرأ ياقوت كذلك على ظهر نسخة من كتاب «معاني القرآن» للزجاج :

---

[١] ياقوت : معجم الأدباء ٨ : ٢٦٤ .
[٢] نفسه ١٨ : ٣٥،
[٣] مُجَمِّع بن محمد بن أحمد المسكني النحوي (أغا بُزرك : الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١٣ : ٣٨٦).
[٤] ياقوت : معجم الأدباء ٤ : ٩٢ - ٩٣ .

«ابتدأ أبو إسحاق إملاء كتابه الموسوم بـ «معاني القرآن» في صفر سنة خمس وثمانين ومائتين وأتمه في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلثمائة»[1] .

[وذكر فيليب دي طرازي أن من الكتاب نسخة بخط الزجّاج في مكتبة الشيخ محمد النجار المفتي المالكي في تونس آلت بعد وفاته إلى ابنه بلحسن النجار الذي تولى مثل أبيه منصب الإفتاء المالكي][2] .

ومن الفوائد التي وجدت على ظهور النسخ ما نقله ياقوت والقفطي من خط سلامة ابن غيّاض النحوي ، يقول ياقوت : «قرأت بخط سلامة بن غياض ما صورته :

«وقفت على نسخة من كتاب «الحُجَّة» لأبي علي الفارسي في صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة بالرَّيّ في دار كتبها التي وقفها الصاحب بن عبّاد رحمه الله وعلى ظهرها بخط أبي علي [الفارسي] ما حكايته هذه :

«أطال الله بقاء سيدنا الصاحب الجليل أدام الله عزه ونصره وتأييده وتمكينه كتابي في قُرّاء الأمصار الذي بيَّنت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى المعروف بكتاب السبعة ، مما تَضَمَّنت من أثر وقراءة ولغة فهو عن المشايخ/ الذين أخذت ذلك عنهم وأسندتهم إليهم ، فمتى أثر سيدنا الصاحب الجليل أدام الله عزه ونصره وتأييده وتمكينه حكاية شيء منه عنهم أو عني لهذه المكاتبه فعل . **وكتب الحسن بن أحمد الفارسي بخطه»**[3] .

ويقول القفطي : كتبت من خط أبي الخير سلامة بن غيّاض النحوي ما مثاله :

«كان على ظهر الجزء الأول من التذكرة [لأبي علي الفارسي] : قال أبو الحسن أحمد بن رضوان : هذه النسخة كتبتها من خط منصور بن محمد الأُشْرُسني ؛ فكان في آخر الجزء الأول منها هذا الذي ذكرته :

---

[1] ياقوت : معجم الأدباء ١ : ١٥١ .
[2] فيليب دي طرازي : خزائن الكتب العربية في الخافقين ١ : ٣٥٦ .
[3] معجم الأدباء ٧ : ٢٣٩ - ٢٤٠ .

كان الشيخ أبو علي سمَّى هذا الكتاب روزنامة بالفارسي . وقال : كان محمد بن طوسي المعروف بالقصري نَسَخَ إلى آخر الكراسة السابعة من هذه الكراريس فنسخت وشاعت تسميته ، وجعل كل عشر كراريس من هذا الكتاب جزءاً منه . وبَلَغَ الكل إلى آخر سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، مائة وخمسًا وعشرين كراسة . وابتدأ في السادسة في سنة ست وسبعين وهذه الأجزاء التي سماها «القصريات» هذا الجزء أولها والسابع آخرها . وقد كان القصري قرأها على الشيخ أبي علي واستفسر فيها مواضع وترك مواضع ، فهي على خلاف هذا الترتيب في أيدي الناس»[1] .

وكانت مع ياقوت الحموي نسخةٌ نفسية من كتاب «ديوان الأدب» للفارابي هي نسخة الحاكم أبي سعيد ابن دوست ، قال :

جاء في آخر الثلث الأخير من نسخة الحاكم أبي سعيد بن دوست من كتاب «ديوان الأدب» للفارابي :

«قرأ عليّ أبو سعيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن عزيز هذا الكتاب من أوله إلى آخره وصححته له **وكتبه إسماعيل بن حمّاد الجوهري**» .

وعلى النسخة أيضًا في موضع آخر :

«سمعه مني وَلَدَيّ علي والحسن من أوله إلى آخره بقراءتي إيّاه إلا أوراقًا قرأها الحسن بنفسه عليّ وصح سماعهما والله تعالى يبارك لهما فيه ويوفقهما لصالح الأعمال . وكتب أبوهما يعقوب بن أحمد غرة المحرم سنة خمس وخمسين وأربعمائة .

ثم قرأه عليّ ولدي الحسن قراءة بحث واستقصاء من أوله إلى آخره ، بما على حواشيه من الفوائد وشرح الأبيات في شهور سنة ثلاث وستين وأربعمائة» .

---

[1] القفطي : إنباه الرواه ٣ : ٥٤ وانظر السيوطي : بغية الوعاة ٢٥٩ .

وعلى النسخة أيضًا قبل هذا ما صورته :

«سمعه مني بلفظي وصَحَّحَه عرضًا بنسختي صاحبه أبو يوسف يعقوب بن أحمد وفرغ منه في ذي القعدة سنة تسع وعشرين وأربعمائة . وكتب عبدالرحمن بن محمد بن دوست **بخطه**» .

قال ياقوت :

« . . . ومعرفتي بالخطوط الموجودة على النسخة كمعرفتي بما لا أشك فيه . . »[١] .

ورأى ياقوت كذلك نسخةً من كتاب «القوافي» للـمُبَرِّد وعليها سماع لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، قال :

«رأيت سماعه [أي أبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي النحوي الكاتب] علي كتاب «القوافي» لأبي العباس الـمُبَرِّد وقد سمعه على نِفْطَوَيْه[٢] سنة ثلاث عشرة وثلثمائة .

ثم وجدت خطه على كتاب تبيين قُدامَة بن جعفر وفي نَقْد الشعر وقد أَلَّفَه لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد وقد قرأه عليه وكتب خطه في سنة خمس وستين وثلثمائة .

ثم وجدت كتاب «القوافي» للمُبَرِّد بخط أبي منصور الجواليقي ذكر في إسناده عبدالصمد بن حَنَيْش النحوي قرأه على أبي القاسم الآمدي في سنة إحدى وسبعين وثلثمائة»[٣] .

كذلك فقد أشار ياقوت الحموي والقفطي إلى إجازة بقراءة نقلاها من خط سلامة بن غَيّاض الكفرطابي نصها :

---

[١] ياقوت : معجم الأدباء ٦ : ٦٤ – ٦٥ .

[٢] هو أبو عبدالله إبراهيم بن محمد بن عرفه بن سليمان نفطوية النحوى المتوفى سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م (الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٦ : ١٥٩ – ١٦٢ ؛ الأنباري : نزهة الألباء ٢٦٠ – ٢٦٢ ؛ ياقوت : معجم الأدباء ١ : ٢٥٤ – ٢٧٢ ؛ ابن خلكان : وفيات ١ : ٤٧ – ٤٩ ؛ القفطي : إنباه الرواه ١ : ١٧٦ – ١٨٢ .

[٣] ياقوت : معجم الأدباء ٨ : ٧٦ ، ٧٧ – ٧٨ .

«وجدت في آخر نسخة «المقتصد» لعبد القاهر الجُرْجاني بالرَّي مكتوبًا ماحكايته:

" قرأ عليّ الأخ الفقيه أبو نصر أحمد بن إبراهيم بن محمد الشجري أيّدَه الله، هذا الكتاب من أوله إلى آخره قراءة ضبط وتحصيل. وكتبه عبدالقاهر ابن عبدالرحمن بخطه في شهر الله المبارك من شهور سنة أربع وخمسين وأربعمائة حامدًا لربه ومصليًا على محمد رسوله وآله" »[١].

وملك القفطي نسخة من كتاب «التنبيه في النحو» لأبي الفَتْح محمد بن محمد بن أحمد بن الأشْرَس النحوي النيسابوري بخط السَّمْسَمي، وعليها بخط ابن فاخر النحوي البغدادي ما صورته:

«قرأت كتاب التنبيه في النحو لأبي الفَتْح النيسابوري قراءة تَفَهُّم وتفقُّه من أصل السمسمي وبخطه، على شيخيّ أبوي القاسم بن عبدالله وعبدالواحد ابني العلمين: الرَّقي وابن برهان الأسدي رحمهما الله في سنة سبع وأربعين وأربعمائه، وقالا لي: قرأناه من أوله إلى آخره على مصنفه أبي الفَتْح محمد بن محمد بن أحمد بن أشْرَس النيسابوري رحمه الله في سنة أربعمائة، وقال لنا: صَنَّفت هذا الكتاب لابن الأجلّ أبي الخطّاب صاحب بهاء الدولة وأنفذته إليه، فوقف أباه عليه، فحمل إليّ ما قدره خمسمائة دينارًا من عَيْن وورق وثَوْب وطيب، ثم شرع في قراءته عليّ فلقَّنْته سطرًا منه، فعرضه على أبيه فحمل إليّ مثل ما حمل إليّ عند انفاذي وأتى إليّ فكمَّل العطية ألفًا. قالا: وعاتبه بعض من يقع عتبه موقعًا في ما أورده شيخه أبو الفتح عثمان بن جنّي في التسمية بالتنبيه، فاعتذر عن ذلك بأن قال والله ما سمّيتُه بذلك، وإنما سمّاه الأجلُّ أبو الخطاب به، كما وقف عليه بقول أمر به، فسُمع منه، وتوقيع خَطِّه عليه، فأثر عنه، فأقررته عليه لما في الوفاق من القربة إليه، والحظوة لديه. قال لي شيخنا أبو القاسم بن برهان رحمه الله: والذّيَ دعاني إلى قراءة هذا الكتاب علي أبي الفتح رحمه الله، وحَدَاني

---

[١] ياقوت: معجم الأدباء ٢ : ١٣٥؛ القفطي: إنباه الرواه ٢ : ١٩٠.

عليها على اشتغالي في الوقت بما هو أهم منها، أنّ شيخنا أبا الحسن علي بن عُبيد الله السِّمسميّ رحمه الله بلّغه أن أستاذ الأستاذين أبا العباس بن الثلاج ركب إلي أبي الفتح متعهّدًا، فأكرم مورده، وأهدى إليه هذا الكتاب بخطّه، تحفة ولطفا في أثمان المنصوري، فاستعاره منه على يدي وأعجب به، وعظم عنده، فَنَسَخ منه هذه النسخة عنها لنفسه، وقابلني يقرؤها وأنا أنظر في الأصل، قال لي عند إنهائها: انسخْهُ بخطّك، وأقرَأه عليك، وأستبينُ غوامضَه منه، فامتثلتُ أمره.

وقال لي شيخنا أبو القاسم الرَّقيّ: والذي دعاني إلى قراءة هذا الكتاب على أبي الفتح رحمه الله وحداني عليها، أن محبة أبي القاسم بن برهان لهذا الكتاب وقراءته أعدتاني، فأحببته حُبَّه، وقرأته قراءة أبي القاسم نفاسة أن ينفرد بنسخه»[1].

كما شاهد القفطي نسخةً من كتاب «المَقْصور والمَمْدود» لأبي علي القالي وعليها بخطه

«قرأ جميع الممدود والمقصور محمد بن إبراهيم بن معاوية القرشي، ومحمد بن أبان بن سيِّد[2]، وعبدالوهاب بن أصبَغ، ومحمد بن حسن الزُّبيدي - أعزهم الله - وأعانوا بانتساخه ونَقْله من طوامير تخريجي له، وقابلوا به كتبهم. وكثير من تعاليق هذا الكتاب مخرّج بخط القرشي منهم، ومَتْن هذا الديوان بخط عبدالوهاب بن أصبَغ منهم. وسمعه سائر أصحابهم بقراءة القرشي له عليّ، وسمعوه خاصة بقراءتي لهم، جعله الله علمًا نافعًا مقربًا منه»[3].

ونقل القفطي أيضًا من خط ياقوت الموصلي ما جاء على نسخة نفيسة من كتاب «النبات» لأبي حنيفة الدينوري، وهو ما مثاله:

---

[1] القفطي: إنباه الرواه ٤ : ١٥٠ - ١٥١.

[2] أبو عبدالله محمد بن أبان بن سيد بن أبان اللخمي القرطبي أحد تلاميذ أبي علي القالي (Sezgin, F., *GAS* VIII, 256-57).

[3] القفطي: إنباه الرواه ٣ : ٦٤.

• «وجدت على ظهر الجزء الأول من كتاب «النبات» لأبي حنيفة الدينوريّ بخط أبي محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن الخَشّاب ما هذه حكايته فنقلته: وجدت بخط أبي عبدالله الحسين بن محمد بن جعفر الخالع الشاعر - رحمه الله - ما هذه حكايته، فنقلته: قرأت هذا الكتاب على القاضي أبي سعيد السِّيرافيّ ورواه لي عن مُسَبِّح بن الحسين بن أخت أبي حنيفة الدينوريّ، وذكر أنه قرأه على خاله أبي حنيفة، وقرأ عليه بهذه الرواية كتاب «الأنواء» وسمعته قراءةً عليه. وقرأناه على أبي عبدالله الحسين بن هارون القاضي الضبيّ بهذه الرواية أيضًا، وبقراءة أبي أحمد عبدالسلام بن الحسين البصريّ، وسَمِع أبو الحسين السِّمسميّ، وسَمِع الشريفُ المرتضى أبو القاسم. نقله أحمد بن أحمد[1] في جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وخمسمائة».

وبخطه أيضًا على ظهر النسخة المذكورة:

«قرأ جميع هذه المجلدة - وعددها سبع عشرة كراسة على الشيخ يحيى ابن الحسين بن أحمد بن البنا من أوّلها إلى البلاغ المقابل لنسخة الخالع بروايته عن أبي القاسم علي بن أحمد السِّري، إجازة عن أبي عبدالله الضَّبّي، وإجازة عن مُسَبِّح بن الحسين عن أبي حنيفة - عبدُالله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب في مجالس آخرها يوم الأحد سابع رجب من سنة سبع وعشرين وخمسمائة، والباقي وجادَة؛ لأنه لم يقابل المسموع من الضَّبّي. وأثبت بحمد الله نقلَ المذكور جَميعه ياقوتُ بن عبدالله في سابع رجب من سنة ست وستمائة بمدينة الموصل»[٢].

أما الإجازات الموجودة على ظهور النسخ فتفيد في التعرف على مؤلفات بعض المؤلفين أو برواية مؤلفات المجيز؛ ومن ذلك ما وجده ياقوت الحموي على

---

[١] هو أحمد بن أحمد الورّاق المعروف بابن أخي الشافعي. قال ياقوت: «رأيت جماعة من أعيان العلماء يفتخرون بالنقل من خطه، ورأيت خطه وليس بالجيد، ولكنه متقن الضّبط، ولم أر أحدًا ذكر شيئًا من خبره». (ياقوت: معجم الأدباء ٢ : ١٣٧).

[٢] لقفطي: انباه الرواه ١ : ٤٢ - ٤٣.

جزء من كتاب «التفسير» لابن جرير الطَّبَري بخط الفَرْغاني ذكر فيه قطعة من تصانيف ابن جرير قال: فنقلته على صورته لذلك وهو:

«قد أجزت لك يا علي بن عمران، وإبراهيم بن محمد ما سمعته من أبي جعفر الطَّبري رحمه الله من كتاب التفسير المُسَمَّى بـ «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» وكتاب «تاريخ الرُّسُل والأنبياء والملوك والخلفاء» والقطعين من الكتاب ولم أسمعه وإنما أخذته إجازة، وكتاب تاريخ الرجال المُسَمَّى بـ «ذَيْل المُذَيَّل» وكتاب «القراءات وتنزيل القرآن»، وكتابُ «لطيف القول وحقيقه في شرائع الإسلام»، وما سمعته من كتاب «التهذيب» من مُسْنَد العشرة ومُسْنَد ابن عبّاس إلى حديث المعراج، وكتاب «آداب القضاة والمحاضر والسجلات»، وكتاب «اختلاف علماء الأمصار»، فليرويا ذلك عني. وكَتَبَ عبدالله بن أحمد الفَرْغاني بخطه في شعبان سنة ست وثلاثين وثلاثمائة»[1].

وكذلك الإجازة التي كتبها ابن جنِّي للشيخ أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن نصر أن يروي عنه مصنفاته وهي مؤرخة سنة ٣٨٤هـ أورد ياقوت صورتها كتالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم قد أجَزْتُ للشيخ أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن نصر ـ أدام الله عزَّه ـ أن يروي عنِّي مصنفاتي وكُتُبي مما صحَّحه وضبطه عليه أبو أحمد عبدالسلام بن الحسين البصري ـ أيَّد الله عزه ـ: عنده منها كتابي الموسوم بـ«الخصائص» وحجمه ألف ورقة، وكتابي «التمام في تفسير أشعار هُذَيْل» مما أغفله أبو سعيد الحسن بن الحسين السُّكَّريُّ ـ رحمه الله ـ وحجمه خمسمائة ورقة بل يزيد على ذلك، وكتابي في «سرّ الصناعة» وهو ستمائة ورقة، وكتابي في «تفسير تصريف أبي عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني» وحجمه خمسمائة ورقة، وكتابي في «شرح مُسْتَغْلَق أبيات الحماسة واشتقاق أسماء شُعرائها» ومقداره خمسمائة ورقة، وكتابي في «شرح المقصور والممدود» عن يعقوب بن إسحاق السكّيت وحجمه أربعمائة ورقة، وكتابي في «تعاقب العربية» وأطرف به وحجمه مائتا ورقة، وكتابي في

[1] ياقوت: معجم الأدباء ١٨ : ٤٤ – ٤٥.

«تفسير ديوان المُتَنَبِّي الكبير» وهو ألف ورقة ونَيِّفٌ، وكتابي في «تفسير معاني هذا الدِّيوان» وحجمه مائة ورقة وخمسون ورقة، وكتابي «اللُّمَعُ في العربية» وإن كان لطيفا، وكذلك كتابي «مُخْتَصَرُ التَّصْريف على إجماعه»، وكتابي «مُخْتصر العروض والقوافي»، وكتاب «الألفاظ المَهْموزَة»، وكتابي في «اسم المفعول المُعْتَلِّ العين من الثُّلاثِّي على إعرابه في معناه» وهو المُقْتَصَبُ، وما بدأت بعمله من كتاب «تفسير المُذكَّر والمُؤنَّث ليعقوب» أيضًا ـ أعان الله ـ على إتمامه، وكتاب «ما خرج عنِّي من تأييد المُذكَّرة عن الشَّيخ أبي عليٍّ» ـ أدام الله عزه ـ، وكتابي في «المحاسن في العربية» وإن كان ما جرى أزال يدي عنه حتَّى شذَّ عنها ومقداره ستمائة ورقة، وكتابي «النَّوادر المُمْتعة في العربية» وحجمه ألف ورقة وقد شذَّ أيضًا أصله عنِّي، فإن وقعا كلاهما أو شيءٌ فهو لا حقٌّ بما أجزت روايته هنا، وكتاب «ما أحضرنيه الخاطر من المسائل المنثورة مما أمللته أو حَصَل في آخر تعاليقي عن نفسي» وغير ذلك مما هذه حاله وصورته، فليرو ـ أدام الله عزه ـ ذلك عنِّي أجمع إذا أصبح عنده وأنسَ بتثقيفه وتسديده، وما صحَّ عنده ـ أيَّده الله ـ من جميع رواياتي مما سمعته من شيوخي ـ رحمهم الله ـ وقرأته عليهم بالعراق والموصل والشام وغير هذه البلاد التي أتيتها وأقمت بها مباركًا له فيه منْفُوعًا به بإذن الله.
وكتب عثمان بن جنِّي بيده حامدًا لله سبحانه في آخر جُمادى الآخرة من سنة أربع وثمانين وثلثمائة»[١].

ووقف القفطي على إجازة أملاها أبو العلاء المَعَرِّي على ظهر كتاب «ذكرى الحبيب» يقول القفطي:

«قَصَد أبا العلاء المَعَرِّي من الطلبة رجلٌ أعجمي يعرف بالكرداني، وكتب عنه فيما كتب "ذكرى حبيب". فتقدم أبو العلاء إلى بعض نُسبائه بما كتبه له على الكتاب المذكور وهو:

«قال أحمد بن عبدالله بن سليمان التَّنُوخيّ، من أهل معرة النعمان: قرأ عليّ هذا الجزء، وهو الجزء الثانى من الكتاب المعروف «بذكرى حبيب» الشيخُ

[١] ياقوت: معجم الأدباء ١٢: ١٠٩ – ١١١.

الفاضل أبو الحسن يحيى بن محمد الرازيّ، أدام الله عزّه، من أول الجزء إلى آخره، ووقع الاجتهادُ مني في تصحيح النسخة، وكان ابتداؤه بقراءته لسبع بَقين من شعبان سنة ست وأربعين وأربعمائة، وفرغ من قراءته لثلاث بَقين من شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين وأربعمائة، وأجزت له أن يرويَه عنيَ على حسب ما قرأها. ويشهد الله أني معتذر إلى هذا القارئ من تقصيري فيما هو عليّ مفتَرض من حقوقه والاعتراف بالمعجزة تمنع من اللائمة المنجزة. وكتب جابر بن زيد بن عبدالواحد بن عبدالله بن سليمان، بإذن أحمد بن عبدالله بن سليمان المعريّ، في المحرم سنة ثمان وأربعين وأربعمائة»[١].

وشاهد حاجي خليفة نص قراءة ورواية على أحد نُسَخ «الصحاح» التي كتبها بخطه ياقوت الموصلي كاتب نُسَخ الصحاح، هذه صورته:

«يقول ياقوت: نقلت هذا الكتاب من خط الشيخ أبي سهل محمد بن علي الهَرَوي النحوي رحمه الله تعالى، وذكر أنه نَقَلَه من خط المصنف ورواه عن إسماعيل بن محمد بن عَبْدوس عن المصنف. وشاهدت خط ابن عَبْدوس على النسخة التي نقلت منها ما هذا حكايته:

قرأ عليّ الشيخ أبو سهل محمد بن علي بن محمد الهَرَوي أكثر هذا الكتاب وسمع ما فيه من لفظي بقراءتي عليه فصَحّ له سماع جميعه منّي وروايته عنّي وذلك في شهور سنة ٤٣٩ وكتب إسماعيل بن محمد بن عَبْدوس الدهّان النَّيْسابوري.

ويقول ياقوت: «هذا الكتاب أرويه متّصلا إلى ابن عَبْدوس عن المصنف فما صَحّ في هذه النسخة فهو الرواية عن خطأ أو صواب، وما خالفها من زيادة أو تغيير، فهو من كلام غير المصنف، وقد استدرك أبو سهل وبيّن بعض ما صَحّفه المصنف.

قال ياقوت: وقد أثبت ذلك في موضعه ولي أيضًا مواضع فذهبت من سهو المصنف ومن سهو وقع في خط أبي سهل على أن الكتب الكبار لا تخلوا من ذلك. انتهى»[٢].

---

[١] القفطي: إنباه الرواه ١: ٥٥ – ٥٦.
[٢] حاجي خليفة: كشف الظنون ٤: ٩٧.

وعن اهتمام القدماء باستخراج نسخة جيدة عن طريق معارضة النسخ الصحيحة بعضها ببعض يقول الأزهري عن كتاب «المعاني في القرآن» لأبي إسحاق إبراهيم بن السَّرِيّ الزَّجّاج النحوي المتوفي سنة ٣١١هـ

«حضرته ببغداد بعد فراغه من إملاء الكتاب فألفيت عنده جماعةً يسمعونه منه».

«وما وقع في كتابي له من تفسير القرآن فهو من كتابه. ولم أتفرغ ببغداد لسماعه منه. ووجدت النسخ التي حُمِلَت إلى خراسان غير صحيحة، فجمعت منها عدة نسخ مختلفة المخارج وصرفت عنايتي إلى معارضة بعضها ببعض حتى حصَّلت منها نسخة جيدة[1].

وكثيراً ما كانت تُقَيَّد على ظهور الكتب معلومات وفوائد لا علاقة لها بموضوع الكتاب استفاد من بعضها قديمًا القفطي وجعلها موضوع كتابه «نُهْزَة الخاطر ونُزْهَة الناظر في أحسن ما نُقل من على ظهور الكتب»[2] ومن ذلك مثلا أن ابن النديم وَجَدَ أسماء شُرّاح أرسطو مكتوبة «على ظهر جزء عتيق»[3]، كما أن ياقوت الحموي ذكر أن كتاب شرح الكافي في القوافي لابن جنّي «وَجدَ على ظهر نسخة ذَكَرَ ناسخها أنه وجده بخط أبي الفتح عثمان بن جنّي - رحمه الله - على ظهر نسخة من كتاب المُحتَسب في علل شواذ القراءات»[4].

[1] الأزهري: تهذيب اللغة ١: ٢٧.
[2] انظر فيما سبق ص ٩٦.
[3] ابن النديم: الفهرست ٣١٣.
[4] ياقوت: معجم الأدباء ١٢: ١١٣.

الوِرَاقَة وَالوَرَّاقون

ظَهَرت صناعة «الوراقة» مع ازدهار حركة التأليف والترجمة، وبعد وجود الورق وانتشار صناعته في بغداد في الربع الأخير من القرن الثاني للهجرة؛ فلفظ «الوراقة» مشتق من الورق. وأطلقت كتب الأدب العربي على الطائفة التي تولّتْ أمر هذه الصناعة اسم «الورَّاقين».

وقد عَرَّفَ ابن خَلْدون في «مقدمته» الوراقة بأنها

«معاناة الانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين، واختصت بالأمصار العظيمة العمران»[1].

ويُعَرِّف السَّمْعاني الورَّاق بأنه

«مَنْ يكْتُب المصحف وكُتُب الحديث وغيرها، وقد يقال لمن يبيع الورق وهو الكاغَد ببغداد الورَّاق أيضًا»[2].

ومارس مهنة الوراقة إلى جانب الورَّاقين المحترفين عددٌ كبير من العلماء والأدباء والمُحَدِّثين والمفسرين وعلماء اللغة. ويمتلئ كتاب «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي وكتاب «معجم الأدباء» لياقوت الحموي بأخبار كثيرة عن الورّاقين وصناعة الوراقة نَتَعَرَّف من خلالها على كيفية ممارسة هذه المهنة والارتزاق منها.

يقول الخطيب البغدادي

«حَدَّث أبو القاسم بن بنت منيع [المتوفى سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م] قال: كنت أورِّق فسألت جدي أحمد بن منيع أن يمضي معي إلى سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي يسأله إن يعطيني الجزء الأول من «المغازي» عن أبيه عن ابن إسحق

---

[1] ابن خلدون: المقدمة ٩٧٤.
[2] السمعاني: الأنساب ورقة ٥٧٩ ظ.

حتى أورِّقه عليه، فجاء معي وسأله فأعطاني الجزء الأول فأخذته وطُفْت به فأوَّل ما بدأت بأبي عبدالله بن مُغَلّس وأريته الكتاب وأعلمته أني أريد أن أقرأ «المغازي» على سعيد الأموي، فَدَفَعَ إليَّ عشرين ديناراً وقال: اكتب لي منه نسخة. ثم طُفْت به بقية يومي فلم أزل آخذ من عشرين ديناراً إلى عشرة دنانير فأكثر وأقل إلى أن حصل معي في ذلك اليوم مائتا دينار فكتبت نُسَخًا لأصحابها بشيء يسير من ذلك وقرأتها لهم واستفضلت الباقي»[١].

ويضيف الخطيب البغدادي كذلك كيف أفاد قومٌ بالتوريق ثروةً طائلةً، يقول:

«حَدَّث عيسى بن أحمد الهَمَذاني قال: قال لي أبو علي بن شهاب [العُكْبَري المتوفى سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م] يومًا: أرني خطك فقد ذُكِرَ لي أنك سريع الكتابة، فنظر فيه فلم يُرْضه ثم قال لي: كسبت في الوراقة خمسة وعشرين ألف درهم راضية وكنت أشتري كاغَدًا بخمسة دراهم فأكتب فيه «ديوان المُتَنَبِّي» في ثلاث ليال وأبِيِّضه بمائتي درهم وأقله بمائة وخمسين درهمًا، وكذلك كتب الأدب كانت مطلوبة. قال الأزْهَري: أخذ السلطان من تركة ابن شهاب ما قدره ألف دينار سوى ما خلفه من الكروم والعقار»[٢].

كذلك فقد كسب أبو علي الحسن بن شهاب العُكْبَري من الوراقة خمسة وعشرين ألف درهم راضية، وكان حسن الخط سريع القلم صحيح النَّقْل[٣].

كما أن القاضي أبا عبيد علي بن الحسين بن حرب البغدادي المتوفى سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م نَدِمَ على ترك الوراقة بعد تكليفه بالقضاء وكان يقول:

«مالي وللقضاء، لو اقتصرت على الوراقة ما كان حَظِّي بالرديء»[٤].

مع أنه كان يتقاضى في الشهر مائة وعشرين ديناراً[٥]. كذلك فقد أثْرَى أبو

---

[١] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٠: ١١٣ - ١١٤؛ حبيب زيات: الوراقة والوراقون في الإسلام ٣٠٦.

[٢] نفسه ٧: ٣٢٩ - ٣٣٠؛ حبيب زيات: المرجع السابق ٣٠٧.

[٣] السمعاني: الأنساب ٣٩٦.

[٤] الكندي: الولاة والقضاة ٥٣١.

[٥] عبدالستار الحلوجي: المرجع السابق ١٢٢.

عبدالله محمد بن محمد العَبْدري الغرناطي النحوي المتوفى سنة ٧٥٣هـ/ ١٣٥٣م من التكَسُّب بالكتب[١].

ومع ذلك فقد تأفَّف واشتكى كثيرٌ من الورّاقين من الوراقة «لكساد سوقها وخُلوّ طريقها»، ودعاها أبو حَيّان التوحيدي، وكان يعمل بالوراقة ونَسْخ الكتب، «حرْفَة الشُّؤْم»[٢] رغم اعترافه بأن سوق الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة ووَصَفَ حالته فقال:

«ولقد استولى عَلَيَّ الحُرْفُ وتَمكَّن مني نَكَدُ الزمان إلى الحد الذي لا أسترزق مع صحَّة نَقْلي وتَقْييد خَطّي وتَزْويق نَسْخي وسلامته من التصحيف والتحريف بمثل ما يسترزق البليد الذي يَنْسَخُ النَّسْخ ويَمْسَخ الأصل والفرع، وقَصَدتُ ابن عَبّاد بأمل فسيح وصَدْر رحيب، فقَدَّم إليّ رسائله في ثلاثين مُجَلَّدَة على أن أنسخها له، فقلت: نَسْخُ مثله يأتي على العمر والبصر - والوراقة كانت موجودة ببغداد - فأخذ في نفسه عليَّ من ذلك، وما فُزْت بطائل من جهته»[٣].

«ثم أني قلت لبعض الناس في الدار مسترسلا إنما توجَّهْت من العراق إلى هذا الباب وزاحمت منتجعي هذا الربيع لأتَخَلَّص من حرْفَة الشُّؤْم، فإن الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة»[٤].

ولنا أن نعتبر موقف أبي حَيّان التوحيدي وشكوته من الوارقة موقفًا خاصًا به وليس دليلا على تدني سوقها، فكما يقول هو فإن البليد الذي ينسخ النسخ ويمسخ الأصل والفرع كان يسترزق منها وكما أن باعترافه هو شخصيًا لم تكن الوراقة ببغداد كاسدة. .

ويشير أبو حَيّان في كتاب «أخلاق الوزيرين» إلى كيفية تحقير بعض ولاة الأمور لمهنة الوراقة بقوله:

---

[١] السيوطي: بغية الوعاة ١٠٠.
[٢] ياقوت الحموي: معجم الأدباء ١٥ : ٢٨ س ٦.
[٣] نفسه ١٥ : ١٣.
[٤] نفسه ١٥ : ٢٨.

«وطَلَعَ عليَّ [أي ابن عبَّاد] يومًا في داره وأنا قاعدٌ في كسْر رواق أكتب له شيئًا قد كادَني به، فلما أبصرته قمت قائمًا، فصاح بحَلْق مشقوق: اُقعُد! فالورّاقون أخسّ من أن يقوموا لنا»[١].

وعلينا أن نلاحظ أن الوراقة كحرفة لم تكن تُغْري الناس، فلم يكن يُقْبل عليها إلا المشتغلون بالعلم أساتذة وطلابًا، لذلك اعتمد كثيرٌ من الفقهاء والمُحَدِّثين على الوراقة في كَسْب عيشهم[٢] مثل أبي سعيد الحسن بن عبدالله المَرْزُباني السِّيرافي النحوي المتوفى سنة ٣٦٨هـ/ ٧٩٨م يقول الخطيب البغْدادي:

«كان رحمه الله زاهدًا ورعًا لم يأخذ على الحُكْم أجرًا، إنما كان يأكل من كَتْب يمينه، فكان لا يخرج إلى مجلس الحكم ولا إلى مجلس التدريس حتى يَنْسَخ عشر ورقات يأخذ أجرتها عشر دراهم تكون بقدر مؤنته ثم يخرج إلى مجلسه»[٣].

ومثل أبي العباس محمد بن يعقوب بن يوسف الأَصَمّ المتوفى سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م أحد كبار علماء خراسان ومحدثيها الذي كان

«يُوَرِّق ويأكل من كسْب يده ويكره أن يأخذ شيئًا على التحديث»[٤].

ومثل أبي زكريا يحيى بن عَديّ بن حميد المنطقي المتوفى سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٥م أحد كبار فلاسفة هذا القرن الذي نَسَخ بخطه نسختين من «تفسير الطَّبري» وحملها إلى ملوك الأطراف وكان يقول:

«قد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يُحْصى ولعهدي بنفسي وأنا أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة وأقل»[٥].

---

[١] أبو حيان: أخلاق الوزيرين ١٤١؛ ياقوت: معجم الأدباء ١٥: ٢٦.
[٢] عبدالستار الحلوجي: المخطوط العربي ١٢٣.
[٣] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٧: ٣٤٢؛ ياقوت: معجم الأدباء ٨: ١٤٦ - ١٤٧؛ القفطي: إنباه الرواه: ٣١٣ - ٣١٤.
[٤] ابن الجوزي: المنتظم ٦: ٣٨٦.
[٥] ابن النديم: الفهرست ٣٢٢.

ووقف ابن النديم على كتب كثيرة بخطه ومن بينها فهرست كتب أرسطوطاليس[١].

ومثل السَّريّ الرَّفاء المَوْصلي الشاعر المشهور المتوفى سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٣م الذي قال عنه ياقوت:

«اشتغل بالوراقة فكان يَنْسَخ ديوان شعر كُشَاجم وكان مُغْرىً به، وكان يَدُسُّ فيما يكتبه منه أحسن شعر الخالديين ليزيد في حجم ما ينسخه ويَنْفُق سوقه ويُشَنِّع بذلك على الخالديين لعداوة كانت بينه وبينهما»[٢].

ثم اضطر إلى الارتزاق من الوراقة عندما أصابه ضَنْك العيش، يقول الخطيب البغدادي:

«عُدِمَ القوت فضلا عن غيره فجلس يُوَرِّق شعره ويبيعه، ثم نَسَخ لغيره بالأجرة وركبه الدَّيْن ومات ببغداد على تلك الحال بُعَيْد سنة ستين وثلاثمائة»[٣].

ومن النُّسّاخ أيضًا المعدمين شيخ الإسكندرية تاج الدين على بن أحمد بن عبدالمحسن الحسيني الغراف المتوفى سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٥م.

«كان يَرْتَزق بالوراقة فإذا حَصَّلَ قوته لا يتجاوزه»[٤].

وككمال الدين أبو على الحسن المعروف بالقمحدوة القرشي الكوفي الناسخ «كَتَب الكثير لنفسه وتوريقًا للناس وقتل سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م». ونظير محمد ابن على أبو الغنائم النَّرْسي ويعرف بابن الكوفي «كان يُوَرِّق للناس بالأجرة» وتوفى سنة ٥١٠هـ/ ١١١٦م[٥].

---

١ ابن النديم: الفهرست ٣١١، ٣١٢، ٣١٣.
٢ ياقوت: معجم الأدباء ١١ : ١٨٤.
٣ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٩ : ١٩٤.
٤ ابن العماد: شذرات الذهب ٦ : ١١.
٥ حبيب زيات: المرجع السابق ٣٠٩ – ٣١٠.

واضطر بعض الأدباء إلى الاشتغال بنسخ الكتب ليعول نفسه وأسرته مثل ما حُكيَ عن أبي بكر محمد بن أحمد بن عبدالباقي بن منصور الدَّقّاق المعروف بابن الخاضبَة المتوفى سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م، قال:

«لما كان سنة الغَرَق [أي سنة ٤٦٦هـ] وَقَعَت داري على قماشي وكتبي، وكان لي عائلة: الوالدة والزوجة والبنت فكنت أُوَرِّق الناس وأُنفق على الأهل، فأعرف أنني كتبت "صحيح مُسْلم" في تلك السنة سبع مرات».

وفيما يشير إليه أبو بكر ابن الدَّقّاق بعد ذلك دليلٌ على مَشَقَّة مهنة النَّسْخ وعنائها يقول:

«فلما كان ليلةٌ من الليالي رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، ومنادي ينادي ابن الخاضبَة فأُحْضِرت فقيل لي ادخُل الجنة، فلما دخلت الباب وصرت بالداخل استلقيت على قفاي ووضعت إحدى رجليَّ على الأخرى وقلت: آه: استرحت والله من النَّسْخ»[١].

وعلى ذلك فقد أشار عدد من الشعراء إلى تأفُّف الورّاقين وشكواهم من الوراقة، فيقول أبي حاتم الورّاق الكَشْمَري نسبة إلى كَشْمَر إحدى قرى نيسابور:

إن الوراقة حرفةٌ مزمومة ... محرومةٌ عيشي بها زَمَنُ
إن عشْتُ، عشْتُ وليس لي أكلٌ ... أو متُّ، متُّ وليس لي كَفَنُ[٢]

كما رَدَّدَ مثل هذا الصَّدى أبو محمد عبدالله بن محمد بن صارة الشَّنْتَريني أحد شعراء الأندلس قال:

أما الوراقة فهي أنْكَدُ حرفة ... أوراقها وثمارها الحرمانُ
شَبَّهْتُ صاحبها بصاحب إبرة ... تكسو العراة وجسمها عريانُ[٣]

---

[١] ياقوت: معجم الأدباء ١٧ : ٢٢٧ - ٢٢٨.
[٢] ياقوت: معجم البلدان ٤ : ٢٧٨.
[٣] ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣ : ٩٣.

***

وكان الكثير من خَزَنَة دور الكتب يشتغلون بالوراقة ونَسْخ الكتب . فكان عَلان الشُّعوبي

«يَنْسَخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة[١] ، كما كان له دُكانٌ يبيع فيه الكتب ويَنْسَخ بباب الشام ، وكان يُوَرِّق عنده فتى يُعرف بالفَيْرَزان»[٢] .

وكان أبو منصور محمد بن أحمد بن طاهر بن حمد خازن دار الكتب القديمة ومن ساكني درب منصور بالكَرْخ

«خطه موجود بأيدي الناس كثير يُرْغَب فيه ويُعْتَمَد غالباً عليه [كما يقول ياقوت]. وكان أبو السعادات ابن الشَّجري النحوي والنقيب حيدرة كثيراً ما يستكتبانه»[٣] .

كما كان أبو أحمد عبدالسلام بن الحسين بن محمد بن عبدالله البَصْري القَرْميسيني الملقب بالواجكا اللغوي المتوفى سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م[٤] يتولّى ببغداد النظر في دار الكتب التي أنشأها الوزير سابور وإليه حفظها والإشراف عليها ، ووَصَفَه الصَّفدي بأنه

«صاحب الخط المليح والضَّبْط الفصيح»[٥]

وقد وَقَفَ ياقوت الحموي على عدد من الكتب بخطه منها كتاب «عقلاء المجانين» لأبي بكر محمد الأزْهَري [ابن أبي الأزْهَر][٦] ، وكتاب «أشعار بني ربيعة الجُوْع» لعلي بن إبراهيم الدُّهكي وقد قرأه عليه[٧] ، وذكر القِفْطي أن أبا عبدالله محمد بن محمد بن عَبّاد النحوي استكتبه كتاب «الوَقْف والأبتداء» له ، قال

---

[١] ابن النديم : الفهرست ١١٨ ؛ ياقوت : معجم الأدباء ١٢ : ١٩١ ؛ الصفدي : الوافي ١٩ : ٥٥٨ .

[٢] ياقوت : معجم الأدباء : ١٢ : ١٩٢ ؛ عبدالستار الحلوجي : المخطوط العربي ١١٧ .

[٣] نفسه ١٧ : ٢٦٧ .

[٤] الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١١ : ٥٧ – ٥٨ ؛ القفطي : إنباه الرواه ١ : ٥٠ و٢ : ١٧٥ – ١٧٦ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٨ : ٤١٩ – ٤٢٠ .

[٥] الصفدي : الوافي : ١٨ : ٤١٩ .

[٦] ياقوت : معجم الأدباء ٣ : ١٨ ، ٥ : ١١٦ ، ٧ : ١٣٢ .

[٧] نفسه ١٢ : ٢١٦ وانظر كذلك ٤ : ١٥٤ .

عبدالسلام البصري «فكتبت له منه نسخة وتركت المواضع المُشْكلَة فلم أُشكِّلَها فشكَّلَها بخطه»[١].

ونسخة «إصلاح المنطق» لابن السكِّيت المحفوظة في مكتبة كوبريلي باستانبول تحت رقم ١٢٠٩ والتي فَرَغَ من نسخها علي بن عبيد الله الشيرازي في يوم الاثنين الثاني عشر من شعبان سنة سبع وأربعين وأربعمائة نُقلَت عن نسخة عليها قراءة لعبدالسلام بن الحسين البصري بخطه هذا نصها:

«قرأت هذه الكراسة وأصلحتها وأبو العباس أحمد بن محمد بن علي الحناط الشيرازي ينظر في أصلى الذي قرأته وصححته وسمعها مع ما قبلها من لفظي فليرو عني عن أبي بكر بن أحمد بن محمد بن الفضل بن الجراح، وقد أجاز له أبوبكر بن الجراح عن أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبيه عن ابن رستم عن يعقوب. [٢]. وأجزته أنا لأخيه أبي نصر عبدالعزيز بن محمد بن علي الحناط الشيرازي الشافعي ولصهره أبي ذُرْعَة عبدالواحد بن عبيد الله الأدمي. وكتب عبدالسلام بن محمد البصري وذلك يوم السبت التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة».

«وبخطه أيضًا:

وقد قرأ أبو العباس هذا الكتاب على القاضي أبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي رحمه الله سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وكان يرويه عن أبي بكر محمد بن مزيد بن أبي الأزهر عن بندار بن لُرَّة عن يعقوب، وسمعته أنا بقراءة أبي علي الحسن بن ينال من أوله إلى آخره على القاضي أبي سعيد، فإن أحبّا أن يرويا عنّا هذه الرواية فليروياها إن شاء الله».

وأضاف القفطي أن المبارك بن الفاخر بن محمد بن يعقوب النحوي

---

[١] القفطي: إنباه الرواه ٣: ٢١٣.

[٢] هو الناسخ نفسه الذي كتب بمدينة تبريز في شهر رمضان سنة ٤٢٤هـ نسخة "ديوان البُحْتري" المحفوظة في مكتبة كوبريلي باستانبول تحت رقم ١٢٥٢ لخزان كتب الأستاذ الجليل أبي المظفر إبراهيم بن أحمد بن اللّيث (ياقوت: معجم الأدباء ١: ١١١؛ الصفدي: الوافي ٥: ٣١٠).

«كانت له طريقةٌ في الخط تشبه طريقة عبدالسلام البصري [هذا] مُخَلَّعَة الحروف كثيرة الضَّبط، وخطه مرغوب فيه له قَدْرٌ عند العلماء بهذا الشأن»[١]

أما أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن عبدالباقي المتوفى سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م خازن دار الكتب بالنظامية[٢] فيقول عنه القِفْطي:

«كان يكتب خطًا جيدًا، تولّى الخَزْن سنين كثيرة، ورأيت بخطه أجزاء متعددة من كتاب [تهذيب اللغة] للأزهري وفيها وَهْمٌ وغَلَطٌ ولا شك في موته قبل إتمامه ومقابلته»[٣].

وكان لكبار المؤلّفين في القرون الأولى للإسلام وَرّاقون يَتَولَّوْن نَسْخ مؤلّفاتهم وتوزيعها وهو ما يعادل مهمة الناشرين في العصر الحديث، ويتولَّوْن كذلك تحصيل ما يريدونه من كتب وأجزاء وتجليدها. فكان أبو محمد ثابت بن أبي ثابت سعيد اللغوي يُوَرِّق لأبي عُبَيْد القاسم بن سَلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٩م ويعرف بـ «وَرّاق أبي عُبَيْد»[٤]. كما كان أبو يحيى زكريا بن يحيى ابن سليمان ورّاقًا للجاحظ، يقول ابن النديم في ترجمة الجاحظ:

«ورأيت أنا هذين الكتابين [يعني كتاب النساء وكتاب البغال للجاحظ] بخط زكريا بن يحيى بن سليمان ويكنى أبا يحيى وَرّاق الجاحظ»[٥].

وذكر السَّمْعاني والخطيب البغدادي ورّاقًا آخر للجاحظ هو أبو القاسم عبدالوهاب بن عيسى بن عبدالوهاب بن أبي حيدة المتوفى سنة ٣١٤هـ/ ٩٢٦م[٦]. كما لزم أبو الحسن علي بن عبدالله بن أبي هاشم أبا العلاء المعرّي ونَسَخَ له كتبه بأسرها بدون أجر[٧].

---

[١] القفطي: إنباه الرواه ٣ : ٢٥٧.
[٢] ياقوت: معجم الأدباد: ١٢ : ٢٧٤.
[٣] القفطي: إنباه الرواه ٢ : ١٧٥.
[٤] نفسه ١ : ٢٦١؛ ياقوت: معجم الأدباء ٧ : ١٤٠ - ١٤١؛ الصفدي: الوافي ١٠ : ٤٦٧ - ٤٦٨.
[٥] ابن النديم: الفهرست ٢٠٩؛ ياقوت: معجم الأدباء ١٦ : ١٠٦ وقارن أبا علي القالي: الأمالي ١ : ٢٨٤.
[٦] السمعاني: الأنساب ورقة ٥٨٠ ظ؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١١ : ٢٨.
[٧] تعريف القدماء بأبي العلاء ٣٢، ٣٨، ١٠١، ٢٠١.

وكان أبو العباس محمد بن الحسن بن دينار الأحْوَل يُوَرِّق لحُنَيْن بن إسحاق المتُطَبِّب في منقولاته لعلوم الأوائل، وكان ناسخًا [١]؛ حَدَّث المَرْزُباني عن أبي عبدالله اليزيدي قال:

«كان أبو العباس الأحْوَل يكتب لي مائة ورقة بعشرين درهمًا» [٢].

وذكر ابن النديم من بين وَرّاقي محمد بن يزيد المُبَرِّد المتوفى سنة ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م إسماعيل بن أحمد بن الزجّاجي وإبراهيم بن محمد الشّاشي [٣]. كذلك فقد كان الحسين بن عبدالله بن شاكر السَّمَرْقَنْدي المتوفى سنة ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م يُوَرِّق لداود الأصبهاني الظاهري [٤]، كما كان أحمد بن أُخَيّ الشافعي وَرّاقًا لابن عَبْدوس الجَهْشياري صاحب كتاب «الوزراء والكتاب» [٥]، ومحمد بن أبي حاتم النحوي وَرّاقًا للإمام البُخاري [٦]، وسَلَمَة بن عاصم وأبو نصر بن الجَهْم وَرّاقين للفَرّاء [٧].

وذكر القفْطي أن إسحاق بن الجُنَيْد البَزّاز البصري الوَرّاق اللغوي كان يُوَرِّق لابن دُرَيْد ويأخذ عنه ويعرف بـ«وَرّاق ابن دُرَيْد» [٨]، كما كان له أيضًا وَرّاقٌ يدعى علي بن أحمد الدُّرَيْدي صارت إليه كتب ابن دُرَيْد بعد موته [٩].

وكان الوَرّاقون يختزنون أحيانًا مؤلفات كبار العلماء ويحتكرونها حُبًّا بالرِّبح كما يُبيِّنه النص التالي الذي أورده الخطيب البغدادي عن الفَرّاء قال:

«إن الفَرّاء لما اتصل بالمأمون أمره أن يُؤلِّف ما يجمع به أصول النحو وما

---

[١] ابن النديم: الفهرست ٨٧؛ ياقوت: معجم الأدباء ١٨: ١٢٥ و ١٢٦.
[٢] ياقوت: معجم الأدباء: ١٨: ١٢٦.
[٣] ابن النديم: الفهرست: ٦٥.
[٤] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٨: ٥٩.
[٥] ياقوت: معجم الأدباء ٢: ١٣٧؛ الصفدي: الوافي ٦: ٢٢٩
[٦] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢: ٧، ١٤.
[٧] نفسه ١٤: ١٥٠.
[٨] القفْطي: إنباه الرواه ١: ٢٢٠؛ الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ١٨٥.
[٩] الزَبيدي: طبقات النحويين ١٨٥؛ ياقوت: معجم الأدباء ١٢: ٢٢٣.

سمع من العربية وأمر أن يُفْرَد بحجرة من حُجَر الدار ووكَّل به جواري وخَدَمًا يقمن بما يحتاج إليه حتى لا يتعلّق قلبه ولا تَتَشَوَّق نفسه إلى شيء، حتى أنهم كانوا يؤذّنونه بأوقات الصلاة، وسَيَّر إليه الورّاقين وألزمه الأمناء والمنفقين فكان يملي والوراقون يكتبون حتى صَنَّف «الحدود» في سنتين، وأمر المأمون بكتبه بالخزائن.

فبعد أن فَرَغَ من ذلك خرج إلى الناس وابتدأ بكتاب «المعاني» [يعنى معاني القرآن] قال الراوي: وأردنا أن نَعُدَّ الناس الذين اجتمعوا لإملاء كتاب «المعاني» فلم نضبطهم فَعَدَدْنا القضاة فكانوا ثمانين قاضيًا. فلم يزل عليه حتى أتمه. ولما فرغ من كتاب «المعاني» خَزَنَه الوَرّاقون عن الناس ليكسبوا به وقالوا لا نُخْرجه إلا لمن أراد أن نَنْسَخه له على خمس أوراق بدرهم، فشكا الناس إلى الفَرّاء فدعى الورّاقين وقال لهم في ذلك، فقالوا: إنما صحبناك لننتفع بك وكل ما صَنَّفْته فليس بالناس إليه حاجة ما بهم إلى هذا الكتاب فدَعنا نعيش به، فقال: قاربوهم تنتفعوا وينتفعوا فأبوا عليه، فقال: سأريكم وقال للناس: إني مُمْل كتاب معان أتم شَرْحًا وأبْسَط قَوْلا من الذي أمليت، وجَلَسَ يُمْلي فأملى «الحمد» في مائة ورقة، فجاء الورّاقون إليه وقالوا: نحن نُبَلّغ الناس ما يحبون فنسخوا كل عشر أوراق بدرهم»[1].

سوق الورّاقين

وكانت «سوق الوَرّاقين» في بغداد وغيرها من البلاد «مجالس العلماء والشعراء» حتى امتلأت بغداد بأكثر من مائة حانوت للوراقة في زمن المؤرخ والجغرافي اليعقوبي[2] المتوفى سنة ٢٩٤هـ/ ٩٠٧م، فيذكر ابن النديم أن الجاحظ «كان يكْتَري دكاكين الورّاقين ويبيت فيها للنظر»[3]. كما كان العلماء يترددون عليها للاطلاع على نفائس الكتب ونوادرها ولذلك اتهم محمد النوبختي أبا الفرج الأصبهاني صاحب كتاب «الأغاني» بأنه

---

[1] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٤ : ١٥١؛ ياقوت: معجم الأدباء ٢٠ : ١٢ - ١٣؛ ابن خلكان: وفيات ٦ : ١٧٧ - ١٧٨.

[2] اليعقوبي: كتاب البلدان ١٣.

[3] ابن النديم: الفهرست ١٣٠

«أكذب الناس يدخل سوق الورّاقين وهي عامرة والدكاكين مملوءة بالكتب فيشتري كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته ثم تكون كل رواياته منها»[١].

ولا يخفى ما في هذا القول من الحَسَد وقلّة الإنصاف.

وكان المُتَنَبِّي الشاعر يكثر زيارة سوق الورّاقين ومطالعة ما يقع فيها من أحاسن المؤلفات، أخبر ورّاق كان يجلس إليه قال:

«ما رأيت أحْفَظُ من هذا الفتى ابن عبدان (يقصد المُتَنَبِّي) كان اليوم عندي وقد أحضر رجلٌ كتابًا من كتب الأصْمَعي يكون نحو ثلاثين ورقة ليبيعه، فأخَذَ ينظر فيه طويلا: فقال الرجل: يا هذا أريد بَيْعَه وقد قطعتني عن ذلك، فإن كنت تريد حفظه من هذه المدة فبعيد، فقال: إن كنت حفظته فمالي عليك؟ قال: أهب لك الكتاب. قال الورّاق: فأخذت الدفتر من يده فأقبل يتلوه إلى آخره ثم استلبهُ فجعلهُ في كمه وقام، فعَلَق به صاحبه وطالبه بالثمن فقال: ما إلى ذلك سبيل قد وهبته لي، فمنعناه منه وقلنا له: أنت شرطت على نفسك هذا للغلام فتركه عليه»[٢].

وكان لعبدالله بن محمد بن وداع بن زياد بن هانئ الأزدي المتوفى نحو سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م دكانٌ ببغداد يُوَرِّق فيه ويجتمع إليه عامة أهل الأدب ويحصل فيه بينهم من المحاضرة والمذاكرة ما لا يحصل في غيره من أندية الأدب[٣]. قال عنه ياقوت:

«حسن المعرفة صحيح الخط حسنه يرغب فيه الناس ويأخذ بخطه الثمن»[٤].

ومن المواضع التي اشتهرت ببَيْع الكتب في بغداد «طاق الحَرّاني»[٥]، فعندما توفى أبو العباس جعفر بن أحمد المَرْوَزي ـ أحد جَمّاعي الكتب ومؤلّفيها وأوّل

---

[١] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١١ : ٣٩٩.

[٢] نفسه ٤ : ١٠٣.

[٣] نفسه ٢ : ١٣٤.

[٤] ابن النديم: الفهرست ٨٨.

[٥] طاق الحَرّاني، محلة ببغداد بالجانب الغربي من حد القنطرة الجديدة وشارع طاق الحَرّاني إلى شارع باب الكَرْخ، نسبته إلى إبراهيم بن ذَكْوان بن الفضل الحراني من موالي المنصور وزير الهادي موسى بن المهدي. (ياقوت: معجم البلدان ٣ : ٤٨٩ – ٤٩٠).

من أَلَّف في المسالك والممالك كتابًا ولم يتمه ـ بالأهْواز

«حُمِلَت كتبه إلى بغداد وبيعت في طاق الحَرّاني سنة أربع وسبعين ومائتين»[١] .

كما أن أبا القاسم الحارث بن علي الوَرّاق البغدادي أحد رؤوس المعتزلة[٢] الذي كانت له مع أبي علي الجُبّائي مناظرات واجتمعا بسوق الأهْواز ذكره أبو القاسم البَلْخي في كتاب «المحاسن» وقال :

«كان وَرّاقًا يبيع الكتب ويُوَرِّق للناس بقصر وَضّاح من الجانب الغربي»[٣] .

وكان ينتشر بسوق الوَرّاقين دلالون ينادون على الكتب ويُقَوِّمونها من ذلك ما رواه الزُّبَيْدي عن خَيْران الوَرّاق أنه لما مات أحمد بن يحيى ثَعْلَب

«خَلَّف كتبًا جليلة ، فأوْصى إلى علي بن محمد الكوفي ـ أحد أعيان تلاميذه ـ وتَقَدَّم إليه في دَفْع كتبه إلى أبي بكر أحمد بن إسحاق القُطْرُبُّلي . فقال إبراهيم الزّجاج للقاسم بن عبدالله [الوزير] : هذه كتبٌ جليلة فلا تَفوتَنَّك ، فتقدَّم القاسم إلى علي بن عبيد الله رأس البَغْل أن يُقَوِّم الكتب ويأخذها له ، فأحضر خَيْران الوَرّاق فَقَوَّم ما يساوي عشر دنانير بثلاثة دنانير فبلغت أقل من ثلاثمائة دينار فأخذها القاسم بها»[٤] .

ويضيف الزُّبَيْدي قائلا :

«فلما رأيت بعد ذلك ـ وقد أحضرنا لشراء كتب يبيعها ولد القاسم ـ «ديوان مسائل الأخْفَش» وعليه بخط ابن خَيْران أربعة دنانير ، وعليه خط أحمد بن يحيى : كتبت إلى إبي حاتم السِّجستاني أن يَنْسَخ لي مسائل الأخْفَش كلها في النحو ، فوجَّه إليّ بهذه النسخة وأعلمني أنه لم يَبْقَ له مسألة إلا وهي في هذا الكتاب ، فبلغت الأجزاء فأخذها بعض ولد القاسم ولم يُمكنّا من شرائها .

قال محمد بن أبان بن سَيِّد : وهي بخط ذي الرُّمَّة وَرّاق أبي حاتم . وقد

---

[١] ابن النديم : الفهرست ١٦٧ ؛ ياقوت : معجم الأدباء ٧ : ١٥١ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١١ : ٩٦ .
[٢] القاضي عبدالجبار : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ٣٠٣ .
[٣] ابن النديم : الفهرست ٢١٨ ؛ الصفدي : الوافي ١١ : ٢٦٠ .
[٤] الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ١٤٩ – ١٥٠ ؛ ياقوت : معجم الأدباء ٥ : ١٢٧ .

رأيت هذه النسخة بين يدي أمير المؤمنين المستنصر بالله [الأموي] قبل ولايته، أتته من العراق»[١].

كما يروي ابن النديم عن يحيى بن عَدّي قوله :

«إن شرح الإسكندر [الأفروديسي] للسماع كله ولكتاب البرهان [لأرسطو] رأيته في تركة إبراهيم بن عبدالله النّاقل النّصْراني وأن الشّرْحين عُرضا عليّ بمائة دينار وعشرين ديناراً، فمضيت لأحتال الدنانير ثم عُدْت فأصبت القوم قد باعوا الشرحين في جملة كتب على رجل خراساني بثلاثة آلاف دينار»[٢].

وذكر القِفْطي أنه كان يحضر بمصر حلق الكتب عند بيعها، قال :

«فإذا قال المنادي كتاب كذا بخط [أبي يعقوب يوسف بن يعقوب] النَّجَيْرَمي رُفعت نحوه الأعناق»

لأن خطه كان في غاية الصحة وكان للمصريين تنافس فيه إذا وَقَعَ لهم[٣].

كذلك كان يُنادى على الكتب في سوق الوراقين كالطُّرَف يقول أبو جعفر محمد بن يحيى بن شَيْرَزاد

«اتّصلَ بي أن مُسَوَّدَة كتاب الأغاني - وهي أصل أبي الفرج - [كتب أبو الفرج الأغاني مرة واحدة في عمره وهي النسخة التي أهداها إلى سَيْف الدولة] [٤] أُخْرجت إلى سوق الوراقين لتبتاع، فأنفذت إلى ابن قُرابَة وسألته إنفاذ صاحبها لأبتاعها منه لي، فجاءني وعَرَّفَني أنها بيعت في النداء بأربعة آلاف درهم، وأن أكثرها في طروس وبخط التعليق وأنها اشتريت لأبي أحمد بن محمد بن حَفْص، فراسلت أبا بكر أحمد فأنكر أنه يعرف شيئًا من هذا، فبحثت كل البحث فما قَدَرْتُ عليها»[٥].

---

[١] الزبيدي: المصدر السابق ١٥٠.

[٢] ابن النديم : الفهرست ٣١٣.

[٣] القفطي: إنباه الرواه ٤ : ٦٧.

[٤] ياقوت : معجم الأدباء ١٣ : ٩٨.

[٥] نفسه ١٣ : ١٢٦ - ١٢٧، وانظر فيما يلي ص ٢٢٩.

هذا في الوقت الذي يذكر فيه ياقوت أنه قرأ على ظهر جزء من نسخة لكتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني:

«حَدَّث ابن عرس الموصلي وكان المُتَرَسِّل بين عزّ الدولة وبين أبي تَغْلَب ابن ناصر الدولة، وكان يخلف أبا تغلب بأمرتي بابتياع كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني فابتيعت له بعشرة آلاف درهم من صَرْف ثمانية عشر درهمًا بدينار، فلما حملته إليه ووَقَفَ عليه ورأى عظمة وجلالة ما حَوَى قال: لقد ظُلِم وَرّاقُه المسكين وإنه ليساوي عندي عشرة آلاف دينار، ولو فقد لما قَدَرَت عليه الملوك إلا بالرغائب، وأمر أن يكتب له نسخةً أخرى ويُخَلَّد عليها اسمه فابتدأ بذلك، فما أدرى أتمَّت النسخة أم لا؟»[1].

وكان كثيرٌ من الوَرّاقين يَنْسبون كتبًا إلى أهل العلم ويذيعوها ليتكسَّبوا من ورائها، ومن ذلك كتاب «الأغاني الكبير» المنسوب إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي، يقول ابن النديم:

«قرأت بخط أبي الحسن علي بن محمد بن عبيد بن الزبير الكوفي الأسَدي، حَدَّثني فَضْل بن محمد اليزيدي قال: كنت عند إسحاق بن إبراهيم الموصلي فجاءَه رجلٌ فقال: يا أبا محمد اعطني كتاب الأغاني، فقال أيما كتاب؟ الكتاب الذي صَنَّفته أو الكتاب الذي صُنِّف لي، يعني بالذي صَنَّفَه «كتاب أخبار المغنيين واحدًا واحدًا» والكتاب الذي صُنِّف له «كتاب أخبار الأغاني الكبير» الذي في أيدي الناس.

حَدَّثني أبو الفرج الأصبهاني قال: أخبرني أبو بكر محمد بن خلف وكيعٌ قال: سمعت حَمّاد بن إسحاق يقول: ما ألَّف أبي هذا الكتاب قط ـ يعني كتاب الأغاني الكبير ـ ولا رآه. والدليل على ذلك أن أكثر أشعاره المنسوبة إنما جمعت لما ذكر معها من الأخبار وما غُنِّيَ فيها إلى وقتنا هذا، وأن أكثر نسبة المغنيين خطأ؛ والذي ألَّفه أبي من دواوين غنائهم يدل على بطلان هذا الكتاب، وإنما وَضَعَه وَرّاقٌ كان لأبي بعد وفاته، سوى الرُّخْصَة التي هي أول

[1] ياقوت: معجم الأدباء ١٣: ١٢٥ – ١٢٦.

الكتاب فإن أبي ألّفها، إلا أن أخباره كلها من روايتنا. وقال لي أبو الفرج: هذا سمعته من أبي بكر وكيع حكاية فحفظته واللفظ يزيد وينقص.

وأخبرني جَحْظة أنه يعرف الوَرّاق الذي وَضَعَه وكان يسمى سندي بن علي وحانوته في طاق الزّبْل وكان يُوَرِّق لإسحاق، واتّفق هو وشريك له على وضعه؛ وهذا الكتاب يُعْرَف في القديم بكتاب السُّرَاة وهو أحد عشر جزءاً ولكل جزء أوّل يُعْرَف به، فالجزء الأول من الكتاب «الرُّخْصَة» هو تأليف إسحاق لا شك فيه ولا خُلْف»[1].

ويروي ياقوت عن أبي حيّان التوحيدي أن ابن الخراز الورّاق ببغداد وأبا بكر القنطري وأبا الحسين بن الخراساني ـ وهما ورّاقان أيضاً من جُلّة أهل هذه الصنعة ـ حَدَّثوه أن أبا سعيد السِّيرافي إذا أراد بَيْع كتاب ـ استكتبه بعض تلامذته حرصاً على النَّفْع منه، ونظراً في رق المعيشة ـ كتب في آخره وإن لم ينظر في حرف منه:

«قال الحسن بن عبدالله: «قد قرئ هذا الكتاب عليّ وصَحّ» ليُشْتَرَى بأكثر من ثمنه».

وعَلّق ياقوت على ذلك بأنه يتعارض مع «ما وصفه به الخطيب [البغدادي] من متانة الدين وتأبّيه من أخذ رزْق على القضاء وقناعته بما يُحَصّل من نسخه»[2].

وتؤكد لنا النسخة الوحيدة التي وصلت إلينا من كتاب «المُقْتَضَب» للمُبَرِّد، وهي واحدة من أقدم المخطوطات المؤرخة المعروفة ومحفوظة في مكتبة كوبريلي باستامبول تحت رقم ١٥٠٧ – ١٥٠٨ وهي أربعة أجزاء في مجلدين، كلام أبي حيّان. فقد كَتَب هذه النسخة أحد تلامذة أبي سعيد السيرافي هو

---

[1] ابن النديم: الفهرست ١٥٨؛ ياقوت: معجم الأدباء ٦: ٥٧ – ٥٨..
[2] ياقوت: معجم الأدباء ٨: ١٩٠.

مُهَلْهَل بن أحمد كتبها ببغداد سنة سبع وأربعين وثلاثمائة لشخص يدعى أبي الحسين محمد بن الحسين العلوي، ووَصَفه القفطي بأنه «صاحب خط مَنْسوب»[١]، فقد جاء على صفحة عنوان أجزاء الكتاب الأربعة:

«قرأت هذا الجزء من أوله إلى آخره وأصْلَحْت ما فيه وصحّحته، فما كان فيه من إصلاح وتخريج بغير خط الكتاب فهو بخطي. وكتب الحسن بن عبدالله السيرافي».

وكتب بجوار ذلك بخط مخالف على غلاف الجزء الثاني:

«خط أبي سعيد أيّده الله».

وهذا يعني أن هذه النسخة واحدة من النُّسَخ التي أعطى عليها أبو سعيد السِّيرافي خَطَّه كما ذكر الورّاقون البغداديون. ولكن هل قرأ أبو سعيد السِّيرافي الكتاب حَقًّا وصَوَّبه؟

يقول الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة محقق هذه النسخة رحمه الله: إن تصحيح السِّيرافي كان أكثره مُوجّهًا إلى ذكر ما سقط من ألفاظها مما يتوقّف عليه استقامة الكلام، وقد بَلَغَ هذا السقط في بعض المواقع ثلاثة سطور. ولم يُعَلِّق شيئًا له صلة بالناحية الموضوعية ولو كان كلام المُبَرِّد مناقضًا لما قَدّمه، ويضيف الشيخ عضيمة أن أبا القاسم سعيد بن سعيد الفارقي صاحب «تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب» يذكر أنه راجع نُسَخًا متعدِّدة من المُقْتَضَب في بعض المسائل فوجد ألفاظها متَّفقة في هذه المسألة، ولذلك استبعد أن تكون نسخته قد وقع فيها غلط في ألفاظ هذه المسألة، قال:

«وقد كان بعضهم يذهب إلى أنه غَلَط وقع فى النُّسَخ وهذا عندي لا يَصِحّ، لبعد اتفاق مثله حتى تُجْمع عليه النُّسَخ كلها من غير أن يكون المُمْلي قاله، ولو كان على ما قال لوجب أن يكون بعض النُّسَخ قد جاء على خلاف

[١] القفطي: إنباه الرواه ١: ١٩٤؛ الصفدي: الوافي ٩: ١١٢.

هذا، ويكون بعضها على الخطأ وبعضها على الصواب، فلما اتفقت على هذا الوجه الواحد علمنا بطلان هذا القول وثبت أن صاحب الكتاب أملاها كذلك»[١].

ولم يطّلع الفارقي على نسختنا هذه لأن ألفاظها مخالفة لما ذكره من ألفاظ هذه المسأله[٢].

ومن نوادر ما كان يَحْدُث في سوق الوَرّاقين ما رواه ياقوت عن أبي محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن عبدالله بن نَصْر بن الخَشّاب المتوفى سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م يقول:

«كان إذا حضر سوق الكتب وأراد شراء كتاب غافل الناس وقَطَعَ من ورقه، وقال: إنه مقطوع ليأخذه بثمن بَخْس»[٣].

وكان ذلك لغرابة في أخلاقه فيضيف ياقوت أيضًا أنه كان

«إذا استعار من أحد كتاب وطالبه به، قال: دخل بين الكتب فلا أقدر عليه»[٤].

وكان أبو محمد يحيى بن محمد الأَرْزَني النحوي المتوفى سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م

«مليح الخط سريع الكتابة، كان يخرج في وقت العصر إلى سوق الكتب ببغداد فلا يقوم من مجلسه حتى يكتب «الفصيح» لثَعْلب ويبيعه بنصف دينار ويشتري نبيذًا ولحمًا وفاكهةً، ولا يبيت حتى يُنْفق ما معه منه»[٥].

---

[١] الفارقي: تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب، تحقيق سمير أحمد معلوف، القاهرة ـ معهد المخطوطات العربية ١٩٩٣، ٣٢٧.

[٢] محمد عبدالخالق عضيمة: مقدمة المقتضب للمبرد ١ : ٨٦ – ٨٧.

[٣] ياقوت: معجم الأدباء ١٢ : ٥١.

[٤] نفسه ١٢ : ٥١.

[٥] نفسه ٢٠ : ٣٤ – ٣٥.

***

وفي العصور المتأخِّرَة غَلَبَ على الوَرّاقين المشتغلين بتجارة الكتب اسم «الكُتُبي» وأصبح يقال لهم «الكُتُبيون». ومن أشهر هؤلاء الكتبيين جمال الدين أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن يحيى الأنصاري المعروف بالوَطْواط الكُتُبي الوَرّاق المتوفى سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م صاحب كتاب «مباهج الفكَر ومناهج العبَر» الذي يعد أول موسوعة في سلسلة الموسوعات الضخمة التي ظهرت في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. ويَدُلُّ لقب الكُتُبي الوَرّاق المصاحب لاسم الوَطْواط بوضوح تام على أنه كان من تجار الكتب ونُسّاخها وهي أمورٌ تجعله وثيق الصلة بموضوعات الأدب[1]. وقد مَلَك الصَّفَدي بخطه «الكامل في التاريخ» لابن الأثير وذكر أنه ناقش المصنف في حواشيه وغَلَّطه وواخذه[2].

وكذلك صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد بن عبدالرحمن الدمشقي المعروف بابن شاكر الكُتُبي المتوفى سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م، يقول ابن حَجَر العَسْقَلاني:

«كان فقيراً جداً ثم تعاطى التجارة في الكتب فرُزِق منها مالا طائلا»[3].

وربما كان لجَوْدَة خطه ووضوحه وإتقانه في الوراقة جملة ـ كما يدل عليه نسخة كتابه «فوات الوفيات» التي وصلت إلينا بخطه وهي أربعة أجزاء منها ثلاثة (١، ٢، ٤) محفوظة بمكتبة أحمد الثالث باستانبول برقم ٢٩٢١ وجزؤها الثالث بمكتبة رفاعة الطهطاوي بسوهاج، وكذلك أجزاء من «عيون التواريخ» بخطه أيضًا محفوظة في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ١٣٧١ تاريخ ـ سببٌ

---

١ الصفدي: الوافي ٢ : ١٦ – ١٨؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٣ : ٣٨٥ – ٣٨٦؛ أبو المحاسن: الدليل الشافي ٥٧٩.

٢ الصفدي: الوافي ٢ : ١٧ وقارن السخاوي: الإعلان بالتوبيخ ٦٧٣.

٣ ابن حجر : الدرر الكامنة ٤ : ٧١؛ ابن العماد : شذرات الذهب ٦ : ٢٠٣.

في إقبال الناس على ما ينسخه من كتب، كما أضاف له حُسن المعاملة في التجارة مزيداً من ذلك الإقبال، فقد وُصف بأنه ذا مروءة في معاملته للناس[١].

ومنذ هذا التاريخ أصبحت أسواق الوراقة تُعْرَف بـ «سوق الكُتُبيين»، وقد وَصَفَ المقريزي سوق الكُتُبيين في القاهرة بقوله:

«هذا السوق فيما بين الصَّاغة والمدرسة الصَّالحية أُحْدِثَ فيما أظُنّ بعد سنة سبعمائة، وهو جار في أوْقاف المارستان المَنْصُوري - وكان سوق الكتب قبل ذلك بمدينة مصر تجاه الجانب الشرقي من جامع عمرو بن العاص في أوّل زُقاق القناديل بجوار دار عمرو - وأدركته وفيه بقية بعد سنة ثمانين وسبعمائة وقد دُثر الآن فلا يعرف موضعه. وكان قد نُقِلَ سوق الكُتُبيين من موضعه الآن بالقاهرة إلى قَيْسارية كانت فيما بين سوق الدَّجّاجين المجاور للجامع الأقْمَر وبين سوق الحُصَريين المجاور للركن المُخَلَّق، وكان يعلو هذه القيسارية رَبْعٌ فيه عدة مساكن فتَضَرَّرت الكتب من نداوة أقْبِيَة البيوت وفَسَدَ بعضها فعادوا إلى سوق الكتب الأول حيث هو الآن. وما بَرِح هذا السوق مَجْمَعًا لأهل العلم يترددون إليه»[٢].

وظَلَّت تجارة الكتب والوراقة مزدهرة أيضًا في هذه الأسواق التي كانت مراكز للنَسْخ والتجليد نتيجة للنشاط الثقافي الكبير الذي شهده العصر المملوكي. ولا شك أن «المدارس المملوكية» هيأت فرصة قيام تجارة نشطة في الكتب لم تكن لتزدهر في هذا العصر بدون هذه المدارس، فعلى سبيل المثال يذكر السَّخاوي أن أحمد بن محمد الكتبي كان يبيع الكتب تحت [المدرسة] الصَّرْغَتْمَشية لطلاب المدرسة[٣]، ولا شك أنه كان هناك كتبيون آخرون يقومون بنفس المهمة بالقرب من المدارس الأخرى.

---

[١] مقدمة إحسان عباس لفوات الوفيات لابن شاكر ٣، وانظر كذلك حبيب زيات: المرجع السابق ٣٢٥.
[٢] المقريزي: الخطط ٢: ١٠٢، ١: ٣٧٤س ٣٢ و ٣٧٥س ٢٢.
[٣] السخاوي: الضوء اللامع ٢: ٢٠٧.

الورّاقون والعُلماء الـمَشْهورون بجَوْدة الخَطّ

كانت جَوْدَةُ الخَطّ وصحّةُ النَّقْل ودقّةُ الضَّبْط شروطًا أساسية للنجاح في صناعة الوراقة. وقد بدأت عملية تحسين الخطوط والتأنُّق فيها منذ عصر المأمون يقول ابن النديم:

«لم يزل الناس يكتبون على مثال الخط القديم الذي ذكرناه إلى أول الدولة العباسية، فحين ظهر الهاشميون اختَصّت المصاحف بهذه الخطوط. وحَدَثَ خَطٌ يُسَمَّى العراقي وهو الـمُحَقّق الذي يُسَمّى ورّاقي، ولم يَزَل يزيد ويحسن حتى انتهى الأمر إلى المأمون، فأخذ أصحابه وكُتّابه بتجويد خطوطهم فتفاخر الناس في ذلك»[1].

فمنذ هذا العصر أخذت الخطوط تكتسب قيمًا جمالية جديدة على أيدي النّسّاخين والورّاقين حتى أصبحت بغداد في القرن الرابع تباهي بمن فيها من الخطاطين والورّاقين[2]، يقول أبو القاسم البغدادي مفاخرًا أهل أصْفهان:

«هل أرى عندكم من أرباب الصناعات والمهن مثل من أرى ببغداد من الورّاقين والخطاطين؟»[3].

وكان للخط الكوفي الذي نشأ في العراق سلالتان إحداهما بها مسحة من التربيع أكسبتها فخامة مناسبة لتدوين القرآن تجمع بين الجفاف والليونة أقرب إلى التربيع والزوايا استخدمت في كتابة المصاحف الكبرى طوال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، والأخرى أخفّ وأكثر تدويرًا استخدمت في الأغراض الكتابية العامة دون القرآن، وهو ما عُرف بالـمُحَقّق الورّاقي أو خط التحرير الذي استخدمه الورّاقون في النَّسْخ؛ وهذا النوع من الخطوط هو الذي نال تجويدًا ظاهرًا فيما بعد على يد كل من ابن مُقْلَة وعلي بن هلال البوّاب[4].

---

[1] ابن النديم: الفهرست ١١، وانظر فيما سبق ص ٥٥.

[2] عبدالستار الحلوجي: المرجع السابق ١١٩.

[3] حكاية أبي القاسم البغدادي ٢٤.

[4] انظر فيما سبق ص ٥١.

وقد بدأت عملية تطوير خط كتابة الكتب مع نشأة حركة التأليف والترجمة ومع إنشاء خزائن الكتب الكبرى، والتي كانت تُزَوَّد بالكتب عن طريق وحيد هو النَّسْخ، فبدأت حرْفَة الوراقة لاستنساخ الكتب بالأجرة وهي حرْفَة كانت تفرض على صاحبها أن يكون مليح الخط صحيح الضَّبْط واسع العلم. وقد طَوَّر هؤلاء الوَرّاقون الخط المعروف بالمُحَقَّق الوَرّاقي والذي خُصِّص لنسخ الكتب في القرنين الثالث والرابع الهجري. وكان يلزم على الناسخ وهو يَنْسَخ الكتب وخاصة ما يتعلّق منها باللغة والأدب مراعاة الدقة في قواعد الإملاء وأن يكون على إحاطة تامة بأمور التدوين والرواية في مختلف أدوارها [1]. وقد تحقَّقت هذه الصفات في الوَرّاقين والنُّسّاخ الذين يمكن أن نُطْلق عليهم «النُّسّاخ العلماء»، وأغلبهم من علماء اللغة والأدب مثل: عبدالله بن محمد بن وَداع الأَزْدي المتوفى نحو سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م، وأبو العباس محمد بن الحسن بن دينار الأحْوَل الناسخ الذي «كان ناسخًا غزير العلم واسع الفهم جيد الرواية حسن الدراية... وكان يُوَرِّق لحنين بن إسحاق المتطبب في منقولاته لعلوم الأوائل ... وكان يكتب كل مائة ورقة بعشرين درهمًا»[2]، وأبو موسى سليمان بن محمد الحامض المتوفى سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م، وأبو الحسن علي بن محمد بن عبيد الأسدي المعروف بابن الكوفي المتوفى سنة ٣٤٨هـ/ ٩٦٠م، وأبو الحسن علي بن محمد بن الخلال الأديب الناسخ المتوفى سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م، وأبو الحسن علي بن عبدالعزيز الجُرْجاني المتوفى سنة ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م، وأبو الحسن علي بن عبيد الله بن عبدالغفار السِّمْسَمي [السِّمْسماني] المتوفى سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م.

وكان من بين الذين ربطوا ابن مُقْلَة بابن البَوّاب مجموعة من النُّسّاخ العلماء تَفَوّقوا في كتابة الخط الوَرّاقي ونشأوا جميعهم في العراق مثل أبو الطيب أحمد ابن أحمد بن أخَيّ الشافعي الذي وصلت إلينا نسخة بخطه من «ديوان الفَرَزْدق»

---

[1] درمان: المرجع السابق ٢٢.

[2] ياقوت: معجم الأدباء ١٨: ١٢٥ و ١٢٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢: ٣٤٤ و ٣٤٥.

نَقَلَها عن نسخة بخط أبي سعيد السُّكَري وهي محفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ٨٨٠٠، ومُهَلْهَل بن أحمد أحد تلاميذ أبي سعيد السِّيرافي الذي كَتَبَ في بغداد سنة ٣٤٧هـ نسخة كتاب «المُقْتَضَب» للمُبَرِّد المحفوظة الآن في مكتبة كوبريلي في استانبول برقم ١٥٠٧ – ١٥٠٨ . وقد اقترن اسم مُهَلْهَل بابن مُقْلَة وأصبح يُضرب المثل بمن يكتبون الخط المنسوب بأنهم يكتبون مثل خط ابن مُقْلَة ومُهَلْهَل واليزيدي[1]، وقد عَظَّم العلماء الكتب التي نَسَخَها هذا العالم الخطّاط حيث أشار عبدالقادر البغدادي إلى أن بحوزته شرحين على «ديوان زهير ابن أبي سلمى» «أحدهما بخط مُهَلْهَل الشهير الخطاط صاحب الخط المنسوب»[2]. أما أبو عبدالله محمد بن أسد البَزّاز شيخ ابن البَوّاب فقد وصلت إلينا بخطه نسخة من كتاب «الأمالي» لأبي عبدالله محمد بن العباس اليزيدي المتوفى سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م كتبها عام ٣٧٠هـ وهي محفوظة في مكتبة عاشر أفندي بالسليمانية باستانبول تحت رقم ٩٠٤؛ وقد ذكر المؤلف المجهول صاحب الرسالة في الكتابة المنسوبة أن محمد بن أسد كان «يَنْسَخ الدواوين ومجاميع الشعر بنَسْخ قريب من المُحَقَّق»[3]

وتُمَثِّل النُّسَخ التي كتبها بخطه علي بن شاذان الرازي ووَصَلَ إلينا منها مصحفٌ محفوظٌ في مكتبة جامعة استانبول برقم A6778 مؤرخ سنة ٣٦١هـ ونسخة من «طبقات اللغويين والنحويين» لأبي سعيد السِّيرافي محفوظة في مكتبة شهيد علي باشا بالسليمانية باستانبول تحت رقم ١٨٤٢ ومؤرخة سنة

---

[1] الثعالبي: يتيمة الدهر ٤ : ٤٠٦ .

[2] البغدادي : خزانة الأدب ٢ : ٣٣٤، وانظر مقال رمضان ششن الذي عرض فيه إلى خصائص كتابة أربع من المخطوطات المكتوبة في القرن الرابع الهجري هي: "المدخل في علم أحكام النجوم" لأبي مَعْشَر البَلْخي نسخة مكتبة جارالله رقم ١٥٠٨، و"المُقْتَضَب" للمُبَرِّد نسخة كوبريلي رقم ١٥٠٧ – ١٥٠٨، ونسخة تحتوي على ثلاث رسائل في الفلك لثابت بن قُرَّة في مكتبة كوبريلي أيضاً برقم ٩٤٨، ثم أقدم نسخ كتاب "الصناعتين" لأبي هلال العَسْكَري وهي النسخة التي كتبها بخطه في مكتبة كوبريلي برقم ٣٣٥ Ramazan Sesen, «Les caractéristiques de l'écriture de quatre manuscrits du IV^e s H./ X^e A.D.», dans *Les manuscrits du Moyen-Orient*, pp. 45-48.

[3] خليل محمود عساكر : رسالة في الكتابة المنسوبة ١٢٦ .

٣٧٦هـ، وكذلك نسخة كتاب «حَذْف من نَسَب قريش» عن مُؤَرِّج السَّدوسي والتي كتبها أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله النَّجَيْرمي المتوفى سنة ٣٤٣هـ/ ٩٥٤م نموذجًا للخط الذي اصطلح على تسميته بالخط شبيه الكوفي أو الخط الكوفي المشرقي، فقد نقطت فيه الألفاظ وشُكِّلَت الحروف بالشكل الكامل بالطريقة المتبعة الآن. وهذه المخطوطات بخطها وشكلها ورسمها وعلاماتها الفارقة تعد وثيقة من الطراز الأول لدراسة علم تطور الخط العربي.

ومن النُّساخ العلماء كذلك إسماعيل بن حَمّاد الجَوْهَري المتوفي بعد سنة ٣٩٦هـ/ ١٠٠٦م، قال عنه الثعالبي:

«وخطه يُضْرَب به المثل في الحُسْن ويُذكر في الخطوط المنسوبة كخط ابن مُقْلَة ومُهَلْهَل واليزيدي»[١].

وقد تَعَلَّم الجَوْهَري الخط في بغداد ثم انتقل إلى نيسابور وأقام بها مدة، كما يقول الثعالبي، «على التدريس وتعليم الخط الأنيق وكتابة المصاحف والدفاتر اللطاف»[٢]، فكان الجوهري أول من حَمَلَ إلى الشرق طريقة ابن مُقْلَة ونَشَرَها هناك[٣]، ولم يصل إلينا للأسف أي كتاب أو مصحف بخط الجَوْهَري.

أما مدرسة ابن البَوّاب فقد استمر تأثيرها أكثر من ثلاثة قرون حتى ظهور ياقوت المستعصمي ووَصَلَت إلينا نماذج كثيرة بالخط الذي طَوَّره ابن البَوّاب واستُخْدم في نَسْخ الكتب. ومن بين الذين حاكوا أسلوب ابن البَوّاب وحملوا خصائص مدرسته من النُّسّاخ العلماء أبو الفضل أحمد بن محمد بن الفضل بن عبدالخالق الدينوري المعروف بابن الخازن المتوفي سنة ٥١٨هـ/ ١١٢٤م، قال عنه ابن خَلّكان:

«كان فاضلا نادرةً في الخط أوْحد وقته فيه»[٤].

---

[١] الثعالبي: يتيمة الدهر ٤ : ٤٠٦.

[٢] نفسه ٤ : ٤٠٧.

[٣] درمان: المرجع السابق ٢٢.

[٤] ابن خلكان: وفيات الأعيان ١ : ١٤٩.

وأبو منصور مَوْهُوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجَواليقي المتوفى سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م، قال عنه ياقوت:

«كان مليح الخط يتنافس الناس في تحصيله والمغالاة به»[١].

ووَصَلَ إلينا نموذجٌ بخطه هو مجموعة في اللغة كتبها سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م محفوظة الآن في مكتبة الإسكوريال تحت رقم Esc. 1705، ونسخة من تفسير غريب القرآن» لأبي بكر السِّجِسْتاني كتبها أيضًا سنة ٤٩٩هـ محفوظة في مكتبة شيستربتي برقم ٣٠٠٩، تُوَضِّح لنا تطور خط نسخ الكتب بين القرن الرابع والقرن الخامس على طرية ابن البَوَّاب.

ومع نهاية القرن السابع الهجري أخذ أسلوب ياقوت المُسْتَعْصمي يحلّ محلّ طريقة ابن البَوّاب وأسلوبه وعلى الأخص في كتابة الخط الوَرّاقي وحَلّت مصر محل بغداد والعراق في فنون الخط العربي، وعرفت العديد من النُّسّاخ العلماء يأتي في مقدمتهم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبدالوهاب النُّوَيْري المتوفى سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م، صاحب كتاب «نهاية الأرَب في فنون الأدب»، قال عنه أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي:

«كان فقيهًا فاضلا مؤرخًا بارعًا، وله مشاركة جَيِّدَة في علوم كثيرة وكَتَبَ الخط المنسوب. قيل إنه كَتَبَ "صحيح البُخاري" ثماني مرات وكان يبيع كل نسخة من البُخاري بخطه بألف درهم، وكان يكتب في كل يوم ثلاث كراريس»[٢].

وصلاح الدين خليل بن أيْبَك الصَّفَدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م صاحب كتاب «الوافي بالوفيات» الذي «كتب الخط المنسوب»[٣]. ووَصَلَ إلينا من خطه نماذج كثيرة في شكل مُسَوَّدات ومُبَيَّضات وتملُّكات وسماعات وقراءات وإجازات على أغلفة الكتب.

---

[١] ياقوت: معجم الأدباء ١٩ : ٣٠٥؛ القفطي: إنباه الرواه ٣ : ٣٣٥.

[٢] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٩ : ٢٩٩.

[٣] أبو المحاسن: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ٥ : ٢٤٢.

ويُعَدُّ محمد بن إسحاق النَّديم وياقوت الحَمَوي أشهر الوَرّاقين العرب الذين ذاعت شهرتهم واستمرت إلى وقتنا هذا.

فقد كان أبو الفرج محمد بن إسحاق النَّديم الوَرّاق يتاجر في الكتب في بغداد مما أتاح له التعامل مع العديد من النُّسَخ العتيقة والاطلاع على الكثير من المؤلفات التي يَسَّرَت له تأليف كتابه «الفهرست» ـ الذي بدأ في تأليفه عام ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م ـ ويعد أوّل محاولة من نوعها لعرض تاريخ الأدب العربي، وأصبح منذ ذلك الوقت المصدر الرئيسي لمعرفة مصادر الأدب والعلم في القرون الأربعة الأولى للإسلام[١].

أما ياقوت الحَمَوي (٥٧٥ ـ ٦٢٦هـ/ ١١٧٩ ـ ١٢٢٩م) فقد كان في الأصل عبداً رقيقًا ولم يبدأ اشتغاله في الكتب وتجارتها إلا في عام ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م بعد وفاة سيده وإعتاقه له. ومنذ تلك اللحظة استقر في بغداد واحترف مهنة نَسْخ الكتب بالأجرة والاتجار فيها، مما ساعده على تحصيل فوائد كثيرة ضَمَّنَها في كتابيه «معجم الأدباء» و«معجم البلدان»[٢].

وبَلَغ من معرفة ياقوت الحموي بخطوط القدماء وإلْفه بها أنه كان يَتَعَرَّف عليها حتى ولو لم يُذْكَر ذلك يقول:

«وقرأت بخط [الحسن بن علي] ابن أبي سالم الذي لا أرتاب فيه»[٣].

وفي موضع آخر:

«قرأت بخط أبي الفتح عثمان بن جنِّي الذي لا أرتاب فيه»[٤].

وفي موضع ثالث:

«قال أبو حيّان [التوحيدي] في كتاب «تقريظ الجاحظ» ومن خطه الذي لا أرتاب فيه نقلت»[٥].

---

[١] انظر فيما تقدم ص ٩٨ - ٩٩.
[٢] انظر فيما تقدم ص ١٠٠
[٣] ياقوت: معجم الأدباء ٩ : ٧٧، ٥ : ١٠٨.
[٤] نفسه ٧ : ٢٥٣.
[٥] نفسه ٣ : ٢٧، ٨ : ١٥٠، ١٦ : ٧٨، ٩٥، ١٠١.

كذلك فقد ذكر ياقوت أنه شاهد على نسخة الحاكم أبي سعيد بن دوست من كتاب «ديوان الأدب» للفارابي سماعات بخطوط عدد من العلماء ثم قال:

«ومعرفتي بالخطوط الموجودة على النسخة كمعرفتي بما لا أشك فيه»[١].

وقد حَفَظَ لنا كُلٌّ من ابن النديم وياقوت الحموي والقفْطي وابن أبي أُصَيْبِعَة والصَّفدي أخبار الوَرّاقين الذين اشتهروا بحسن الخط وضبطه ورغبة الناس في اقتنائه حتى قرب نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادى، فمنهم:

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن توزون [تيزون] الطبري النحوي المتوفى سنة ٣٥٥هـ/ ٩٦٦م. قال ياقوت:

«سكن بغداد وصحب أبا عمر الزاهد وكتب عنه كتاب الياقوتة وكان صحيح النقل جيد الخط والضبط».

وعلى النسخة التي بخطه الاعتماد من كتاب أبي عمر الزاهد[٢].

وقال القفْطي:

«كان يكتب خطًا حسنًا صحيحًا ينافس في تحصيله الرغبة في الأدب»[٣]

وقد ملك القفْطي كتابًا لابن دَرَسْتَوَيْه في الكلام على نسبة كتاب «العَيْن» للخليل بن أحمد بخط توزون هذا[٤].

أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن حبيش النَّجَيْرَمي [قال السمعاني نسبة إلى نَجَيْرَم محلة بالبصرة وقال ياقوت: نَجَيْرَم قرية كبيرة على ساحل بحر فارس والتجار وأهلها يقولون نيرم فيسقطون الجيم تخفيفًا] البغدادي النحوي الكاتب المتوفى سنة ٣٤٣هـ/ ٩٥٤م[٥].

---

[١] ياقوت: معجم الأدباء ٦: ٦٤.
[٢] نفسه ١: ١١٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٥: ٣٠٧.
[٣] القفْطي: إنباه الرواه ١: ١٥٩.
[٤] نفسه ١: ٣٤٣.
[٥] ياقوت: معجم الأدباء ١: ١٩٨؛ القفطي: إنباه الرواه ١: ١٧٠؛ الصفدي: الوافي ٦: ٣٤؛ المقريزي: المقفى الكبير ١: ٢٣٩؛ السيوطي: بغية الوعاة ١: ١٨١.

كان من أصحاب الزَّجّاج النحوي وروى عن أبي خليفة وغيره، وروى عنه أبو عمران موسى بن عيسى، ورَحَلَ من بغداد إلى مصر في أيام كافور الإخشيدي واتَّصَلَ به وكان يحترمه.

وألَّف النَّجَيْرَمي تواليف عدة منها كتاب «الفوائد» الذي نَقَل عنه السيوطي في «المُزْهر» عن نسخة بخط النَّجَيْرَمي نفسه [1].

وقد وَصَلَ إلينا من خط النَّجَيْرَمي النسخة الوحيدة من كتاب «حَذْف من نَسَب قريش» عن مُؤَرِّج بن عمرو السَّدوسي.

وكانت هذه النسخة من بين كتب خزانة الفاطميين في مصر، فنجد في رأس صفحة العنوان.

«للخزانة السعيدة الظافرية عمرها الله بدائم العز والبقاء».

والخزانة الظافرية نسبة إلى الظافر بأمر الله أحد الخلفاء الفاطميين في مصر (٥٤٤ - ٥٤٩هـ). ثم انتقلت هذه النسخة في تاريخ نجهله إلى المغرب الأقصى فأوقفت على زاوية الناصري بتامكرود في جنوب المغرب ثم انتقلت إلى الخزانة العامة بالرباط واستقرت بها الآن. وجاء في ختام هذه النسخة:

«تم الكتاب، وكتب إبراهيم بن عبدالله بن محمد النَّجَيْرَمي الوَرّاق».

ووصف الدكتور صلاح الدين المنجد، الذي قام بنشر الكتاب، النسخة وخطها بقوله:

«كتبت النسخة بالخط الكوفي اللّيِّن، على الشكل الذي ظهر في القرن الثالث فكان مرحلة تطوّر نحو النَّسخ. ونقطت الألفاظ وشُكلت الحروف بالشكل الكامل. وخشية وقوع التباس في الحروف فقد مَيَّز الكاتب بعض الحروف من بعض بعلامات صغيرة فارقة، وأكثر من وَضْع حرف صاد صغير فوق الكلمات دلالة على أنها صحيحة. والنسخة بخطها وشكلها ورسمها

---

[1] السيوطي: المزهر ٢ : ٣٠٤، ٣١٩، ٣٢٧.

وعلاماتها الفارقة تعتبر وثيقةً من الطراز الأول لدراسة علم تطور الخط العربي (الباليوغرافيا)»[١].

إبراهيم بن محمد بن سعدان بن المبارك، قال ابن النديم:

«كان جَمّاعةً للكتب صحيح الخط صادق الرواية»[٢].

ورأى ابن النديم بخطه كتاب «النوادر» لأبي اليَقْظان سُحَيْم بن حَفْص النسابة[٣].

أبو الحسن أحمد بن إبراهيم اللغوي أستاذ أبي العباس ثَعْلَب، قال ابن النديم:

«وخطه يُرْغَب فيه ولا مُصَنَّف له»[٤].

أبو الطَّيِّب أحمد بن أحمد بن أُخَيّ الشافعي المتوفى بعد سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٣م

قال ياقوت:

«رأيت جماعة من أعيان العلماء يفتخرون بالنقل من خطه ورأيت خطه وليس بجيد المنظر ولكنه مُتْقَن الضَّبْط، ولم أر أحداً ذكر شيئاً من خبره، ولكني وجدت خطه في آخر كتاب وقد قال فيه:

«كتبه أحمدُ بن أحمد المعروف بابن أُخَيّ الشافعي وَرّاق ابن عَبْدوس الجَهْشَيَاري»[٥].

(ووصل إلينا نموذج لخطه كتبه سنة ٣٣١ هـ هو «شرح ديوان الفرزدق» محفوظ في المكتبة الظاهريه برقم ٨٨٠٠ ونشره بطريقة الفاكسميلي شاكر الفَحّام، دمشق - مجمع اللغة العربية ١٩٦٥).

---

[١] صلاح الدين المنجد: مقدمة حذف من نسب قريش لمؤرج السدوسي ١٢ - ١٣.

[٢] ابن النديم: الفهرست ٨٧؛ القفطي: إنباه الرواه ١: ١٨٥.

[٣] نفسه ٩٦، ١٠٧.

[٤] نفسه ٨٨.

[٥] ياقوت: معجم الأدباء ٢: ١٣٧؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٦: ٢٢٩.

جاء في آخره

«وكتب أحمد بن أحمد وَرّاق أبي عبدالله بن عبدوس»

وعلى يساره

«نسخته من خط السكري»

وعلى يمينه

«قابلت أحمد بن أحمد وكتب علي بن عيسى النحوي بخطه
في شهر رجب سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة»

وعلى نفس الصفحة

«قابلت به نسختي وكتب نصر الله بن حمزة
قابلت به نسختي وكتب إبراهيم بن بشاذ»

ووَقَفَ ابن النديم على كتاب «أخبار علماء الكوفة» بخطه ونقل عنه بقوله :

«قرأت بخط أبي الطيب [بن] أخَيّ الشافعي»[1] .

كما رأى عدة أجزاء من كتاب في السَّمَر لابن عَبْدوس الجَهْشياري يحوي أربعمائة ليلة وثمانون ليلة بخط أبي الطَّيِّب [بن] أخَيّ الشافعي[2] .

أبو العباس أحمد بن بَخْتيار بن علي بن محمد بن جعفر بن إبراهيم الواسطي المعروف بـابن المَنْدائي المتوفى سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م، قال الصفدي :

«وَلِيَ الإعادة بالنظامية، وكتب بخطه الكتب المُطَوَّلة من الفقه والحديث والتاريخ، وكان يكتب خطًا حسنًا صحيحًا . . . وله اليد الباسطة في كتب السجلات والكتب الحكمية»[3] .

---

[1] ابن النديم : الفهرست ٧١، ٧٢، ٧٨، ١٠٤؛ القفطي : إنباه الرواه ٤ : ١٠٠، ١٠٤ .
[2] نفسه ٣٦٤؛ الصفدي : الوافي ٣ : ٢٠٥ .
[3] الصفدي : الوافي ٦ : ٢٦٢ وقارن ياقوت : معجم الأدباء ٢ : ٢٣٢ .

ووَصَلَ إلينا من خط ابن بَخْتيار نسخة من كتاب «جَمْهَرَة نَسَب قُرَيْش وأخبارها» للزبير بن بكار كانت في الأصل في ثلاثة وعشرين جزءاً الموجود منها من الجزء الثالث عشر إلى الجزء الثالث والعشرين كل جزء منها في كراسة أي في عشرين ورقة إلا الجزأين الحادي والعشرين والثاني والعشرين فعدد أوراق كل جزء منها ١٨ ورقة، وأما الجزء الثالث والعشرون فهو عشر ورقات. والنسخة محفوظة في مكتبة أكسفورد تحت رقم March 384 وجاء بآخرها:

«فرغ من كتابته أحمد بن بَخْتيار بن علي بن محمد بن المنداني الواسطي في سابع شعبان من سنة سبع وأربعين وخمسمائة بمدينة السلام حماها الله».

وكتب ابن بَخْتيار هذه النسخة قبل وفاته بأقل من خمس سنوات وهو في نحو الثانية والسبعين من عمره فمولده كان في سنة ٤٧٦هـ نسخها من نسخة أبي الفضل ناصر بن محمد بن علي بن عمر السلامي وقرأها عليه ثم عارضها بالأصل، ونسخة أبي الفضل نسخة مُوَثَّقَة مسندة فيها سماع شيوخه وسماعه عنهم [1].

أحمد بن بشر بن علي التُّجيبي يعرف بابن الأغبس المتوفى سنة ٣٢٦هـ/ ٩٣٨م، قال ياقوت:

«كان حافظًا للغة العربية، كثير الرواية، جيِّد الخط والضَّبْط للكتب» [2].

أبو بكر أحمد بن جابر كان شيخًا فاضلاً في الطب . . . وخَدَمَ المستنصر بالله بالطب وأدرك صدراً من دولة المؤيد، وكان أولاد الناصر جميعهم يعتمدون على تعظيمه وتبجيله ومعرفة حقه، قال ابن أبي أصيبعة:

«كان أديبًا فهمًا وكَتَبَ بخطه كتبًا كثيرة في الطب والمجامع والفلسفة وعُمِّر زمانًا طويلا» [3].

---

[1] مقدمة محمود محمد شاكر لكتاب الجمهرة ٢٠ - ٢٣.

[2] ياقوت: معجم الأدباء ٢ : ٢٣٥؛ الصفدي: الوافي ٦ : ٢٦٥.

[3] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ١ : ٥٦

أحمد بن الحسين بن عبيد الله بن إبراهيم بن عبدالله الأسدي الغفاري. قال ياقوت :

«له خط يزري بخط ابن مُقْلة على طريقته» [١] .

أبو الحسين أحمد بن سليمان الأسدي المَعْبَدي أحد العلماء المشاهير الثقات ، قال ابن النديم :

«وخَطُّه يُرْغَب فيه» [٢]

تاج الدين أحمد بن عبدالقادر بن أحمد بن مكتوم بن محمد بن سليم القيسي النحوي المتوفى سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م فى طاعون مصر ، قال الصفدى :

«نقلت هذه النسبة من خطه» [٣] .

وقال ابن حجر العسقلاني :

«جمع كتابًا حافلا سمّاه «الجَمْع المتناه في أخبار النحاه» رأيت منه الكثير بخطه من ذلك مجلدةً في المحمدين خاصةً . وقلّ ما وقفت على كتاب من الكتب الأدبية من شعر وتاريخ ونحو ذلك إلا وعليه ترجمة مصنف ذلك الكتاب بخط ابن مكتوم» [٤] .

مثل ما ورد بأول نسخة "النخبة من مشتبه النسبة" لإسماعيل بن هبة الله بن محمد الموصلي الشاطبي المعروف بابن باطيش المتوفى سنة ٦٥٥هـ المحفوظة في خزانة جامع القرويين بفاس بالمغرب تحت رقم ٨٠/ ١٧٣ حيث سجّل ابن مكتوم ترجمة بخطه لابن باطيش .

وجاء فى آخر نسخة «إنباه الرواه» للقفْطي المحفوظة فى مكتبة فيض الله باستامبول تحت رقم ١٣٨٢ (مصورة فى دار الكتب المصرية برقم ١١٦٠٤ح) والموجود منها فقط الجزأين الرابع والخامس وهي بخط محمود بن علي بن محمد المعروف بابن اليمني المعلم كتبها سنة ٦٤٦هـ :

«لَخَّص هذا المجلد لنفسه أحمد بن مكتوم القيسي» .

---

[١] ياقوت : معجم الأدباء ٢ : ٢٠٢.

[٢] ابن النديم : الفهرست ٨٧.

[٣] الصفدي : الوافي ٧ : ٧٤.

[٤] ابن حجر : الدرر الكامنة ١ : ١٨٧ .

وتوجد نسخة من هذا الملخص بخط ابن مكتوم نفسه محفوظة في المكتبة التيمورية برقم ٢٠٦٩ تاريخ (ومصورة بدار الكتب المصرية برقم ١١٩٥٨ح).

كذلك فإن نسخة كتاب «الإيناس في علم الأنساب» للوزير المغربي المحفوظة في المكتبة التيمورية رقم ٢٢٥٧ تاريخ كتبها أحمد بن عبدالقادر بن مكتوم نقلا عن أصل بخط الحافظ زكي الدين المنذري، وجاء في آخرها:

«كتبه لنفسه العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن عبدالقادر بن مكتوم بن أحمد بن محمد بن سليم القيسي عفى الله عنه وغفر له ولوالديه وجميع المسلمين».

ووَصَلَ إلينا بخطه أيضًا نسخة من كتاب «الاشتقاق» لابن دُرَيْد محفوظة في الخزانة العامة بالرباط برقم ١٧٣ق.

ووَقَفَ له الصفدي على كتاب «الدُّرّ اللقيط من البحر المحيط» في تفسير القرآن، قال:

«وهو كتاب ملكته بخطه في مجلدين التقط فيه «إعراب المحيط» تصنيف شيخنا أثير الدين، فجاء في غاية الحسن وقد اشتهر هذا الكتاب»[١].

أبو العباس أحمد بن عبدالله بن أحمد بن هشام بن الحُطَيْئَة اللَّخمي الفاسي المتوفى سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م. قال القفطي:

«كان خطه صحيحًا كتب جملةً من كتب الآداب والفقه والحديث، وخطه مرغوبٌ فيه من أئمة العلم بمصر لصحته وتحقيق»[٢].

وقال الصفدي:

««نَسَخَ الكثير بالأجرة وكان جَيِّد الضَّبْط وليس خطه بالطائل . . . وعَلَّم زوجته وابنته الكتابة فكانتا تكتبان مثل خطه سواء، فإذا شرعوا في نسخ كتاب أخذ كل واحد جزءًا وكتبوه فلا يُفرِّق بين خطهم إلا الحاذق، وخطه معروفٌ

---

[١] الصفدي: الوافي بالوفيات ٧: ٧٤ – ٧٥.

[٢] القفطي: إنباه الرواه ١: ٣٩.

[٣] الصفدي: الوافي ٧: ١٢١ – ١٢٢؛ ابن الجزري: غاية النهاية ١: ٧١.

مرغوبٌ فيه لصحته . وقد رأيت بخطه كثيراً من كتب الأدب»[١] .

أحمد بن الفضل بن محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الباطرقاني المقرئ توفي في الثاني والعشرين من صفر سنة ستين وأربعمائة بأصبَهان/ ١٠٦٧م . .

قال السمعاني :

«كتب بنفسه الكثير وكان حَسَن الخط دقيقه»[١] .

أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن سلمة المعروف بـ ابن شَرّام الغَسّاني المتوفى سنة ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م .

أحد النحاة المشهورين بالشام صحب أبا القاسم الزَّجّاجي وأخذ عنه وكتب تصانيفه . قال ياقوت :

« وكان جَيّد الخط والضَّبْط صحيح الكتابة وَجَدْتُ خَطَّه في كتاب أمالي الزجاجي وقد فرغ من كتابتها في سنة ست وأربعين وثلاثمائة»[٢] .

وقال القفطي :

«كتب بخطه الكتب الأدبية ، وكان خطًا حسنًا صحيحًا . . . ورأيت منه من «أمالي أبي القاسم الزّجاجي» وتصفحته فكان محكم الصحة»[٣] .

أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد بن محمود بن دَلُّوَيْه الاستواني مات فيما ذكره الخطيب سنة ٤٣٤هـ/ ١٠٤٣م؛ قال ياقوت :

«كان الدلّوي أديبًا فاضلا وكثيراً ما توجد كتب الأدب بخطه وكان صحيح النقل جيد الضَّبْط معتبر الخط في الغالب»[١] .

أبو عبدالله أحمد بن محمد بن إسحاق بن أبي خَميصة الحَرَمي المكي المعروف بـ **ابن أبي العلاء** ، قال ابن النديم :

---

[١] ياقوت : معجم الأدباء ٤ : ١٠٠ - ١٠١ ؛ الصفدي : الوافي ٧ : ٢٨٨ .

[٢] نفسه ٤ : ٢٦٣؛ نفسه ٧ : ٣٢٨ .

[٣] القفطي : إنباه ١ : ١٠٤ .

[٤] ياقوت : معجم الأدباء ٣ : ٤٣٩؛ الصفدي : الوافي : ٣٥١ .

«أحد العلماء ويُرْغَب في خطه لضبطه وكان أخباريًا»[١] .

وقال القفطي :

«له خط حسن يُرْغَب فيه لجودة ضبطه . وكان أخباريًا ورأيت من «المُوَفَّقيات» للزبير بن بكّار جزءًا بخطه وهو على نهاية الصحة وحُسْن الترصيع»[٢] .

أحمد بن محمد بن بنت الشّافعي، قال ياقوت :

«صحيح الخط مُتْقَن الضَّبْط من أهل الأدب يُعتَمد على خطه وضَبْطه . لا أعرف من خطه إلا ما رأيته بخطه بكتاب «تفسير القرآن» لابن جرير الطبري وقد ذكر عند خاتمته

وكتبه أحمد بن محمد بن بنت الشافعي وَرّاق الجهْشَياري»[٣] .

أحمد بن محمد بن الحسن الخلال الورّاق الأديب، قال ياقوت :

«صاحب الخط المليح الرائق والضَّبْط المتقن الفائق أظنه ابن أبي الغنائم الأديب . وجدت خطه على كتاب من كتبه سنة خمس وستين وثلاثمائة»[٤] .

أبو بكر أحمد بن محمد بن سعيد بن عبيد الله بن أحمد بن سعيد بن أبي مريم الوَرّاق القُرشي وَرّاق الحافظ أبي الحسن أحمد بن عُمَيْر المعروف بابن فُطَيْس توفي في شوال سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م . قال ابن عساكر :

«هو صاحب الخط الحسن المشهور» .

---

[١] ابن النديم : الفهرست ٨٩.
[٢] القفطي : إنباه الرواه ١ : ٣٣٨.
[٣] الصفدي : الوافي ٧ : ٣٥١
[٤] ياقوت : معجم الأدباء ٤ : ٢٦٤ ، وانظر ١٤ : ٢٤٥ . .

وقد ذكره عبد العزيز الكناني وقال :

«كان ثقةً مأمونًا يُوَرِّق للناس بدمشق له خطٌ حسن» .

وقال ياقوت :

« . . . . فذكرناه لما وصفه به ابن عساكر من جَوْدَة الخط أما أنا فلم أر من خطه شيئًا»[١] .

أبو جعفر أحمد بن محمد بن محمد بن عبيدة الأموي الطُلَيطلي المعروف بـ **ابن ميمون** المتوفى سنة ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م، قال ابن بشكوال :

«جَمَعَ من الكتب كثيراً في كل فن وكانت جلها بخط يده، وكانت منتخبة مضبوطة صحاحًا أمهات لا يدعُ فيها شبهة مهملة وقَلَّ ما يجوز عليه فيها خطأ ولا وَهْم، وكان لا يزال يتتبع ما يجده في كتبه من السَّقْط والخَلَل بزيادة في اللفظ أو نُقْصان منه فيصلحه حيث ما وجده ويعيده إلى الصواب . وكانت كتبه وكتب صاحبه إبراهيم بن محمد أصَحّ كتب بطُلَيْطلة»[٢] .

أبو العباس أحمد بن محمود بن إبراهيم بن نَبْهان الدمشقي المعروف بـ **ابن الجَوْهَري** المتوفى سنة ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م، قال الذهبي في "العبر" :

«رحل إلى بغداد سنة إحدى وثلاثين [وستمائة] وكتب الكثير واستنسخ وحَصَّل، وكان زكيًا متقنًا رئيسًا ثقة»[٣] .

وأضاف في "تذكرة الحفاظ" :

«وكتب ما لا يُوصف كثرةً واستنسخ وأنفق ميراثه في طلب هذا الشأن . . . وكان قليل الضَّبْط»[٤] .

---

[١] ياقوت : معجم الأدباء ٤ : ٢٣٨، ٢٣٩؛ الصفدي: الوافي ٧ : ٤٠٣ .

[٢] ابن بشكوال : الصلة ٢٧ .

[٣] الذهبي: العبر في خبر من غبر ٥ : ١٧٥ .

[٤] الذهبي : تذكرة الحفاظ ١٤٥٩ .

وقال الصفدي :

«رَحَلَ وسَهَر وكَتَبَ الكثير وحَصَّل ما لم يحصله غيره»[١] .

مُهذّب الدين أبو الحسن أحمد بن منير بن مُفْلح الرَّفاء الطرابلسي المتوفى سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م.

شاعرٌ مشهورٌ كان رافضيًا كثير الهجاء خبيث اللسان[٢] .

وَصَلَ إلينا بخطه نسخة كتاب الشعر (أو إيضاح الشعر) لأبي علي الفارسي المحفوظة في المكتبة المركزية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم ٣١٨٠، وهي بخط نسخي متقن مضبوط بالشكل الكامل، وجاء بآخرها :

«هذا آخر ما عمله أبو علي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي رحمه الله .

نسخته من نسخة مقابلة على أصل المصنف، ووافق الفراغ من نقله يوم الخميس لليلتين بقيتا من صفر سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وكتب أحمد بن منير بن أحمد بن مُفْلح الأطرابلسي حامدًا لله تعالى ومصليًا على سيد الأولين والآخرين محمد نبيه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلم تسليمًا» .

(وعن هذه النسخة نشر محمود محمد الطناحي الكتاب في القاهرة ـ مكتبة الخانجي ١٩٨٨)

منتجب الدين أبو الفتوح أسعد بن أبي الفضائل محمود بن خلف بن أحمد العجْلي المتوفى سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م، قال ابن خلكان :

«كان من الفقهاء الفضلاء الموصوفين بالعلم والزُّهْد مشهوراً بالعبادة والنسك والقناعة لا يأكل إلا من كَسْب يده وكان يُوَرِّق ويبيع ما يتقوَّت به»[٣] .

---

١ الصفدي : الوافي بالوفيات ٨ : ١٦٧ .

٢ العماد الكاتب : خريدة القصر (قسم الشام) ١ : ٧٦، ٩٥؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ : ١٥٦ – ١٦٠؛ الصفدي : الوافي ٨ : ١٩٣ – ١٩٧؛ المقريزي : المقفى الكبير ١ : ٦٩٢ – ٦٩٣ .

٣ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ : ٢٠٨ .

أسعد بن معالي بن إبراهيم بن عبدالله الكاتب المتوفى بعد سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٥م.
لم يترجمه أحدٌ من المتقدمين.

وَصَلَ إلينا بخطه نسخة «أمالي ابن الشَّجَري» المحفوظة بمكتبة راغب باشا باستانبول تحت رقم ١٠٧١، ١٠٧٢. وهي مكتوبة بخط نسخي نفيس جداً وضبطت بالشكل الكامل ضَبْطًا صحيحًا متقنًا. وجاء بآخرها:

«تمت الأمالي التي أملاها الشريف النقيب ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي الشجري البغدادي رحمه الله.

وكتب أسعد بن معالي بن إبراهيم بن عبدالله في شهور سنة إحدى وثمانين وخمسمائة حامداً الله تعالى على نعمه ومصليًا على خيرته من خلقه محمد النبي وعلى آله وصحبه ومسلمًا وحسبنا الله ونعم الوكيل.

بَلَغَ العرض على أصله المنقول منه فصحَّ والله الموفق».

(وعن هذه النسخة نشر محمود محمد الطناحي الكتاب في القاهرة ـ مكتبة الخانجي ١٩٩٢)

وكذلك نسخة «شرح ديوان هُذَيْل» المسمى «التمام في تفسير أشعار هُذَيْل مما أغفله السُّكَّري» لأبي الفتح عثمان بن جنِّي الموصلي المتوفى سنة ٣٩٢هـ المحفوظة في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد برقم ٥٦٥٧، وهي مكتوبة بقلم نسخي جيد مشكول وفرغ من كتابتها سنة ٥٨٠هـ.

(وعن هذه النسخة نشر أحمد مطلوب وخديجة الحديثي وأحمد ناجي القيسي الكتاب في بغداد ـ مطبعة العاني ١٩٦٢)

أبو نصر إسماعيل بن حَمّاد الفارابي الجَوْهَري صاحب كتاب «الصِّحاح في اللغة» الذي يُضْرَب به المثل في حفظ اللغة وحسن الكتابة المتوفى بعد سنة ٣٩٦هـ/ ١٠٠٦م. قال الثعالبي:

«إمامٌ في علم اللغة، وخَطُّه يُضْرَب به المثل في الحسن ويُذْكر في الخطوط المنسوبة كخط ابن مُقْلَة ومُهَلْهَل واليزيدي»[1].

---

[1] الثعالبي: يتيمة الدهر ٤ : ٤٠٦؛ القفطي: إنباه الرواه ١ : ١٩٤؛ الصفدي: الوافي ٩ : ١١٢.

وقال ياقوت:

«إمام في علم اللغة والأدب له خَطٌّ يضرب به المثل في الجودة لا يكاد يُفَرَّق بينه وبين خط أبي عبدالله بن مُقْلَة»[1].

و«أقام بنيسابور على التدريس والتأليف وتعليم الخط وكتابة المصاحف والدفاتر»[2].

وقال الصفدي:

«يُذْكَر خطه مع خط ابن مقلة ومُهَلْهَل واليزيدي وهو ابن أخت إبراهيم الفارابي صاحب ديوان الأدب»[3].

أبو محمد إسماعيل بن مَوْهوب بن أحمد بن الجَواليقي المتوفى سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م، قال ياقوت:

«كان مليح الخط جيّد الضّبْط يشبه خطه خط والده»[4].

ومَلَك الصفدي «شَرْح اللُّمَع» للثمانيني بخطه قال:

«وهو مجلدة واحدة في غاية الحسن وصحة الضبط قلّ أن رأيت مثلها»[5].

ونسخة كتاب «شرح اللُّمَع في النحو» لابن جنّي المحفوظة في مكتبة تيره لجيب باشا باستانبول تحت رقم ٥١٦ كتبها إسماعيل بن موهوب الجواليقي سنة تسع وستين وخمسمائة.

البهاء زهير بن محمد بن علي بن يحيى المُهَلّبي المكي ثم القوصي المصري الشاعر المتوفى سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، قال الصفدي:

«وكتابته جيدة قوية مصقولة مليحة منسوبة، رأيت بخطه نسختين من الأمثال للمَيْداني. وخطه عندي على بعض مجلداته»[6].

---

١ ياقوت: معجم الأدباء ٦ : ١٥٢ – ١٥٣.
٢ نفسه ٦ : ١٥٣؛ الثعالبي: يتيمة الدهر ٤ : ٤٠٧.
٣ الصفدي: الوافي ٩ : ١١٢.
٤ ياقوت: معجم الأدباء ٧ : ٤٥.
٥ الصفدي: الوافي ٩ : ٢٣٠.
٦ نفسه ٤ : ٣٣٧.

أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي النحوي المتوفى سنة ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م، قال القفطي:

«كان يكتب خطًا حسنًا من خطوط الأوائل، وهو أقرب خط إلى الصحة. وكتب الكثير»[١].

وقال ياقوت:

«وجدت خطه على كتاب «تبيين» قُدامَة بن جعفر وفي «نَقْد الشعر» وقد ألّفه لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد، وقد قرأه عليه وكتب خطه في سنة خمس وستين وثلاثمائة»[٢].

أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبدالله بن عبدالرحمن بن العلاء السُكَّري النحوي المتوفى سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م، قال ابن النديم:

«كان حسن المعرفة باللغة والأنساب والأيام مرغوبًا في خطه لصحته ... وعمل أشعار جماعة من الفحول وقطعة من القبائل»[٣].

وقال ياقوت:

«كان أبو سعيد السُكَّري كثير الكَتْب جدًا، فكتب بيده مالم يكتبه أحد»[٤].

وقد وَقَفَ ابن النديم على العديد من الكتب التي كتبها بخطه منها: «غريب الحديث» للأصْمَعي في نحو مائتي ورقة و«كتاب الذباب» لابن الأعرابي وكتاب «الأنْواء» لأبي الهيثم الرازي في نحو عشرين ورقة وكتاب «النساء» لأبي عمر العمري وكتاب «النحل» للزبير بن بكار[٥].

---

١ القفطي: إنباه الرواه ١ : ١٨٧.
٢ ياقوت: معجم الأدباء ٨ : ٧٧.
٣ ابن النديم: الفهرست ٨٦؛ القفطي: إنباه الرواه ١ : ٢٩٢.
٤ ياقوت: معجم الأدباء ٥ : ١٠٧.
٥ ابن النديم: الفهرست ٦١، ٧٦، ٨٦، ١١٣.

أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الجُوَيْني الكاتب المعروف بـ **ابن اللُّعَيْبَة** ـ تصغير لُعْبَة ـ المتوفى بمصر سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م، قال ياقوت:

«صاحب الخط المنسوب كان مقيمًا ببغداد لم يكتب أحدٌ بعد أبي الحسن علي بن هلال بن البَوّاب أجْوَد من الجُوَيْني وكان أستاذه في الكتابة يعقوب الغَزْنوي»

وكان من شيمة الجُوَيْني أنه ما كتب شيئًا قَطّ بخطه كثر أو قَلّ دقّ أو جَلّ إلا ويكتب في آخره: «كتبه الحسن بن علي الجُوَيْني»[1].

وقال العماد الكاتب: «وليس بمصر الآن من يكتب مثله»

وقال الصفدي:

«يقال إنه كتب مائتين وستة وثلاثين خَتْمَة ورَبْعَة. . . . وبخَطِّه مليحٌ مرغوبٌ فيه»[2].

وقال ابن خلكان.

«الكاتب المشهور، كَتَبَ كثيراً ونَسَخَ كتبًا توجد في أيدي الناس بأوفر الأثمان لجودة خطها ورغبتهم فيه»[3].

أبو علي الحسن بن علي بن عبدالله بن محمد بن أبي جَرَادَة المتوفى بمصر سنة ٥٥١هـ/ ١١٥٦م، قال ياقوت:

«كان فاضلا كاتبًا شاعراً أديبًا يكتب النَّسْخ على طريقة أبي عبدالله بن مُقْلَة والرِّقاع على طريقة علي بن هلال، وخَطُّه حُلوٌ جَيِّدٌ خال من التكلُّف والتَّعَسُّف»[4].

١ ياقوت: معجم الأدباء ٩: ٤٣ - ٤٤.
٢ الصفدي: الوافي ١٣: ١٢٨.
٣ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢: ١٣١.
٤ ياقوت: معجم الأدباء ١٦: ١٢؛ الصفدي: الوافي ١٢: ١٧٣ - ١٧٤

أبو محمد الحسن بن موسى النَّوْبَختي، ابن أخت أبي سَهْل بن نَوْبَخْت الفيلسوف المتكلم، قال ابن النديم :

«كان جَمّاعة للكتب قد نَسَخَ بخطه شيئًا كثيراً، وله مصنفات وتأليفات في الكلام والفلسفة وغيرها»[1] .

أبو الفوارس الحسين بن علي بن الحسين المعروف بـ **ابن الخازن الكتبي** المتوفى سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م، قال ابن خلكان :

«كان فريد عصره في الكتابة وكَتَبَ ما لم يكتبه أحد، فإنه كتب فيما كتب خمسمائة نسخة من كتاب الله العزيز ما بين رَبْعَة وجامع»[2] .

وقال الصفدي :

«كان فريد عصره في الكتابة، كتب خمسمائة مصحف ما بين رَبْعَة وجامع، خلا ما كتبه من كتب الأدب، وخطه مشهور. وكتب من «الأغاني» ثلاث نُسَخ»[3] .

أبو علي الحسين بن يوسف بن الحسن بن عبدالحق الصِّنْهاجي الشّاطبي الإسكندراني الكُتُبي الناسخ الملقب بـ النظام المتوفى سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م، سمع من السِّلَفي وأبي الطاهر بن عَوْف وحَدَّث بالإسكندرية ومصر، قال الصفدي :

«كتب الكثير بخطه»[4] .

أبو الثناء حَمّاد بن هبة الله بن حمّاد بن الفُضَيْل التاجر الحَرّاني المتوفى سنة ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م، قال الصفدي :

---

[1] ابن النديم : الفهرست ٢٢٥ ؛ الصفدي : الوافي ١٢ : ٢٨٠ .
[2] ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ : ١٩١ .
[3] الصفدي : الوافي ١٢ : ٤٤ .
[4] نفسه ١٣ : ٥٨١ .

«رَحَلَ وسَمَعَ الكثير بالعراق والشام ومصر وخراسان. وكتب بخطه وحَصَّل النُّسَخ»[١].

أبو الفتوح حَيْدرة بن المُعَمَّر بن محمد بن المُعَمَّر بن أحمد الحسينى الملقب بـ **الرَّضي** المتوفى سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م، قال الصفدي:

«حفظ القرآن فى صباه وقرأ الأدب. .، وكتب بخطه كثيراً من كتب التفاسير والأحاديث والسِّيَر والأنساب والأدب، وكان خطه مليحًا ونقله صحيحًا»[٢].

أبو الكرم خميس بن عليّ بن أحمد بن علي بن الحسن الحَوْذي من أهل واسط، قال القفطي:

«سمع الكثير ونقل بخطه»[٣].

أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبدالجبار المُرادي صاحب الشافعى وراوى كتبه المتوفى سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م وهو آخر من روى عن الشافعى قال عنه الشافعى، «ما فى القوم أنْفَعُ لى منه ولوددت لو حشوته العلم حشوا[٤].

.وهو الذي كتب نسخة «الرِّسالة» في أصول الفقه للشافعي أقدم مخطوط وصل إلينا على الكاغَد.

الرِّضا بنت الفتح الكاتبة المعروفة بـ **بنت يَقْطين** قال محب الدين بن النجار:

«رأيت بخطها: ولدت سنة أربعين وخمس مائة»

وذكر الصفدي نقلا عن الصاحب كمال الدين بن العديم:

«أنها كانت من الكاتبات المشهورات ببغداد وقد كتبت كثيراً، ورأيت بخطها نسخة من ديوان ابن حجّاج، وقد كتبت عدة نُسَخ. وكانت تكتب خطًا جيدًا»[٥].

---

[١] الصفدي: الوافي ١٣ : ١٥٤.

[٢] نفسه ١٣ : ٢٢٨.

[٣] القفطي : إنباه الرواه ١ : ٣٥٨.

[٤] الصفدى: الوافي ١٤ : ٨٢.

[٥] نفسه ١٤ : ١٢٨.

أبو المعالي سعد بن علي بن القاسم بن علي الأنصاري الخزرجي ثم البغدادي المعروف بـ**الورّاق دلال الكتب** المتوفى سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م[١].

أبو محمد سعيد بن المبارك بن علي بن الدهان البغدادي النحوي المتوفى سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م بالموصل.

كتب الكثير من كتب الأدب بخطه» وله مصنفات منها كتاب التذكرة وسَمّاه «زَهْر الرياض» في سبعة مجلدات ، قال القفطي :

«رأيتها وملكتها بخطه»[٢].

أبو الخير سلامة بن غيّاض بن أحمد النحوي الشامي الكفرطابي المتوفى سنة ٥٣٤هـ/ ١١٣٩م.

كان حسن الضّبْط والخط كثير التنقيب والتحقيق وله رسالة في فضل العربية والحث على تعليمها، قال القفطي:

«وقَعَت إليّ بخطه وهي في غاية الجودة والصحة وحسن النقيبة»[٣].

أبو موسى سليمان بن محمد الحامض المتوفى سنة ٣٠٥/ ٩١٧ م، أحد أصحاب ثَعْلَب وكان مُخْتَصًا به. قال ابن النديم:

«يوصَف بصحة الخط وحُسْن المذهب في الضّبْط وكان يُوَرِّق »[٤].

وقال القفْطي:

«كان حسن الوراقة في الضّبْط»[٥].

---

[١] ياقوت : معجم الأدباء ١١ : ١٩٥؛ الصفدي: الوافي ١٥ : ١٦٩ وانظر مجلة معهد المخطوطات العربية ٣٣ (يناير ١٩٨٩) ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧.

[٢] القفطي: إنباه الرواه ٢ ٤٧، ٥٠ وانظر الصفدي: الوافي ١٥ : ٢٥٠ – ٢٥١.

[٣] نفسه ٢ : ٦٨.

[٤] ابن النديم : الفهرست ٨٧.

[٥] القفطي: إنباه الرواه ٢ : ٢٢.

أبو غالب شجاع بن فارس بن الحسين بن فارس بن الحسين الذُّهْلي الشَّهْرَزوري، المتوفى سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م، قال الصَّفدي:

«نَسَخ بخطه من التفسير والحديث والفقه ما لم ينسخه أحدٌ من الورّاقين. كتب بخطه ديوان ابن حَجّاج سبع مرات. قال عبدالوهاب الأنماطي: وقلما يوجد بلدٌ من بلاد الإسلام إلا وفيه شيءٌ بخط شجاع الذُّهْلي»[١].

قال السَّمْعاني:

«لما رجعت إلى خُراسان حَصَل لي تاريخ الخطيب بخط شجاع بن فارس الذُّهْلي الأصل الذي كتبه بخطه لأبي غالب محمد بن عبدالوهاب القَزَّاز وعلى وجه كل واحد من الأجزاء مكتوبٌ سماع لأبي غالب ولابنه أبي منصور عبدالرحمن ولأخيه عبدالمحسن»[٢].

أبو إسحاق صالح الورّاق النيسابوري، تلميذ الشيخ أبي نصر إسماعيل بن حَمّاد الجَوْهَري. قال القفطي:

«كان أديبًا فاضلا وصاحب خط جيد صحيح. لازم الجَوْهَري وأخذ عنه كتابه في اللغة المسمى والصِّحاح وغيره»[٣].

أبو سعد عالي بن عثمان بن جنّي بن أبي الفتح النَّحوْي، قال القفطي:

«كتب بخطه كثيرًا وكان محققًا لما يكتبه»[٤].

وقال الصفدي:

«كان مثل أبيه أبي الفتح نحويًا أديبًا حسن الخط جيّد الضَّبْط وكتب بخطه كثيرًا من تصانيف أبيه ورواها عنه»[٥].

---

١ الصفدي: الوافي ١٦: ١١٣.
٢ ياقوت: معجم الأدباء ٤: ٢٨.
٣ القفطي: إنباه الرواه ٢: ٩٠.
٤ نفسه ٢: ٣٨٥.
٥ الصفدي: الوافي ١٦: ٥٧٤؛ السيوطي: بغية الوعاة ١٧٤.

وقال ياقوت في ترجمة أبي الفتح عثمان بن جنّي :

«وكان لابن جني من الولد علي وعال وعلاء وكلهم أدباء فضلاء قد خرّجَهم والدهم وسمّعهم وحَسّن خطوطهم، وهم معدودون في الصحيحي الضبّط وحَسَني الخط»[١] .

وشاهد القفطي في التركة المُخَلَّفَة عن خطيب حلب هاشم بن أحمد بن عبدالواحد كتاب سيبويه وقال :

«يُشْبِه أن يكون بخط أحد ولدي عثمان بن جنّي وعليه خط أبي علي الفارسي في عدة مجلدات قد فُقِدَ أحدها»[٢] .

أبو الفضل العبّاس بن أحمد بن موسى بن أبي مَوّاس النحوي اللغوي أحد أصحاب أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي في طبقة أبي الفتح بن جنّي المتوفى سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠م[٣].

وصل إلينا بخطه نسخة من كتاب [أدب] الكُتّاب لابن قُتَيْبَة محفوظة في مكتبة لا له لي باستانبول تحت رقم ١٩٠٥ جاء بآخرها :

«وكتب العباس بن أحمد بن موسى بن أبي مواس الكاتب في جمادى الأولى سنة ست وتسعين وثلثمائة وحسبنا والله ونعم الوكيل» .

بهاء الدين أبو محمد عبدالرحمن بن إبراهيم بن أحمد بن عبدالرحمن المقدسي الحنبلي المتوفى سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م، قال الصفدي :

«كان فقيهًا مناظرًا وكتب الكثير بخطه»[٤] .

أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م، قال محب الدين بن النجار

---

[١] ياقوت : معجم الأدباء ١٢ : ٩١؛ الصفدي : الوافي ١٩ : ٤٧٣ .

[٢] القفطي : إنباه الرواه ٣ : ٣٥٥ .

[٣] الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٢ : ١٦١؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٦ : ٦٥١ – ٦٥٢؛ السيوطي : بغية الوعاة ٢٧٥ .

[٤] الصفدي : الوافي ١٨ : ٩٦ .

«هكذا كان يكتب نسبه بخطه، وهكذا رأيته بخط شيخه ابن ناصر»[١].

قال سبطه شمس الدين أبو المظفر:

«سمعته يقول على المنبر في آخر عمره: كتبت بإصبعيّ هاتين ألفي مجلد، وتاب على يديّ مائة ألف، وأسلم على يديّ عشرون ألف يهودي ونصراني. وسئل عن عدد تصانيفه فقال: تزيد على ثلاث مائة وأربعين مصنفًا، منها ما هو عشرون مجلداً ومنها ما هو كراس واحد»[٢].

وتحتفظ مكتبة حسين چلبي بتركيا تحت رقم ٤٣٥ بنسخة من كتاب «الخواتيم» لابن الجَوْزي بخطه فرغ من كتابتها في يوم الخميس ١٩ ذى الحجة سنة ٥٨١هـ بالمدرسة الشاطبية بباب الأزج[٣]. وفي مكتبة لا له لي باستانبول تحت رقم ٤٦٣ نسخة من «الجامع الصحيح» للترمذي كتبها ابن الجوزي بخطه سنة ٥٣٦هـ. وتحتفظ مكتبة شستر بيتي تحت رقم 3370 بنسخة من كتاب «أدب الكاتب» لابن قتيبة كتبها ابن الجَوْزي سنة ٥٤٣هـ وهو في الثالثة والثلاثين من عمره. كما يوجد خط ابن الجَوْزي بصحة سماع على غلاف نسخة كتاب «أعمار الأعيان» له كانت بين كتب العلامة خير الدين الزِّرِكْلي ثم آلت الآن إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. [وهذه النسخة رآها الحافظ بن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢هـ وقال عنها، فيما نقله الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي من كتابه "التوضيح لكتاب المشتبه في الرجال": «وهكذا وجدت أيضًا مقيداً بالخط في كتاب "أعمار الأعيان" لأبي الفرج بن الجوزي في نسخة قرئت عليه وعليها خطه»].

أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن عياش بن جَوْشن بن إبراهيم الأنصاري المعروف بـ ابن الحَصَّار الطُّلَيْطلي المتوفى سنة ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م، قال ابن بشكوال:

«كان حسن الخط جيد الضَّبْط وكانت أكثر كتبه بخطه، وكان صبوراً على النَّسْخ. ذُكِرَ عنه أنه نَسَخَ مختصر ابن عُبَيْد وعارضه في يوم واحد، وأنه كَتَبَ بمَدَّة واحدة خمسة عشر سطراً»[٤].

---

[١] الصفدي: الوافي ١٨ : ١٨٦.

[٢] نفسه ١٨ : ١٩٠.

[٣] Hartmann, A., « Codicologie comme source biographique : à propos d'un autographe inédit d'Ibn al-Ǧawzī (m. 597/1201) », *Les manuscrits du Moyen Orient*, pp. 23 - 30.

[٤] ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ٣١٦ – ٣١٧؛ الصفدي: الوافي ١٨ : ٢٥٦.

أبو المطرف عبدالرحمن بن محمد بن عيسى بن فُطَيس بن أصْبَغ قاضي الجماعة بقُرْطُبَة المتوفى سنة ٤٠٢هـ/ ١٠١١م قال ابن بشكوال:

«كان حَسَن الخط جَيِّد الضَّبْط جَمَعَ من الكتب في أنواع العلوم ما لم يجمعه أحدٌ من أهل عصره بالأندلس مع سعة الرواية والحفظ والدراية. وكان يُمْلي الحديث من حفظه في مسجده ومستمل بين يده على ما يفعله كبار المحدثين بالمشرق والناس يكتبون عنه.

وكان له ستة ورّاقين ينسخون له دائمًا، وكان قد رتَّب لهم على ذلك راتبًا معلومًا، وكان متى علم بكتاب حسن عند أحد من الناس طلبه للابتياع منه، وبالغ في ثمنه. فإن قدر على ابتياعه وإلا انتسخه منه وردّه إليه.

أخبرني حفيده أبو سليمان أنه سمع عمه وغير واحد من سَلَفه يحكون أن أهل قُرْطُبَة اجتمعوا لبيع كتب جده هذا مدة عام كامل في مسجده في الفتنة في الغلاء، وأنه اجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار قاسمية.

وأخبرنا أيضًا أن القاضي جده كان لا يعير كتابًا من أصوله البتة، وكان إذا سأله أحدٌ ذلك وألحَّ عليه أعطاه للناسخ فنسخه وقابله ودفعه إلى المستعير فإن صرفه وإلا تركه عنده.

وجَمَع كتبًا حسانًا . . . نقلت تسميتها من خط يده وكانت كتبه في مجلس جدرانه بالخضرة، وسُمكه وسطحه والبَرْطَل أمامه والبسط التي فيه والنمارق كلها خضر»[١].

عبدالرحمن بن موسى بن عمر الناسخ بن المناديلي المتوفى سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م قال ابن حجر العسقلاني:

«كان دلالا في الكتب ونَسَخَ كثيراً من الدواوين الشعرية وكان خطه حسنًا»[٢].

أبو الفضل عبدالرحيم بن أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن الأخوة العَطّار المتوفى سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م بشيراز، قال الصفدي:

«سافر إلى خراسان في طلب الحديث، وسمع بنَيْسابور وبالرَّي وبطَبَرسْتان وبأصبَهان وقرأ بنفسه، ونسخ بخطه ما لا يدخل تحت الحَدّ، وكان يكتب خطًا مليحًا وكان سريع القراءة والكتابة.

---

١ ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ٢٩٨ - ٢٩٩؛ الصفدي: الوافي ١٨ : ٢٥٦ - ٢٥٧.

٢ ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة ٢ : ٤٥٨.

قال محب الدين بن النجار: رأيت بخطه كتاب "التنبيه" في الفقه لأبي إسحاق الشيرازي وقد ذكر في آخره أنه كتبه في يوم واحد... وكان يقول: كتبت بخطي ألف مجلدة»[١].

أبو نصر عبدالرحيم بن النفيس بن هبة الله بن وَهْبان بن رومي السُّلَمي الحدُيثي المتوفى سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م، قال الصفدي:

«وكتب بخطه الكثير، وكان مليح الخط سريع النَّقْل فاضلا حافظًا متقنًا صدوقًا، له يدٌ في النَّظم والنثر، وكان من أكمل الناس ظَرْفًا ولُطفًا»[٢].

أبو الحسين عبدالغافر بن إسماعيل بن أبي الحسين عبدالغافر الفارسي مُصَنِّف «السياق لتاريخ نيسابور» المتوفى سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٥م، كان جيد الخط حسنه، قال ياقوت:

«نقلت من خطه الذي يفوق أصداغ الملاح قصائد تفوق سلاف الراح»[٣].

صفي الدين أبو طالب عبدالكريم بن حسن بن جعفر بن خليفة اللغوي البعلبكي المتوفى سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م، قال الصفدي:

«كتب بخطه سبعمائة مجلد»[٤].

وصلت إلينا منها نسخة «غريب الحديث» للخَطَّابي المحفوظة في المكتبة السليمانية باستامبول. فقد جاء فى آخر الجزء الثانى منها:

«كتبه لنفسه عبدالكريم بن الحسن بن جعفر بن خليفة البعلبكي ببعلبك ووافق الفراغ منه في الثامن عشر من ربيع الآخر من سنة سبع وتسعين وخمسمائة».

وعبدالكريم البعلبكي هذا، كتب بخطه كذلك نسخة كتاب «الإكمال» لابن ماكولا، وهي في مجلدين محفوظة فى دار الكتب المصرية برقم ٨ مصطلح حديث فقدجاء في آخرها

[١] الصفدي: الوافي ١٨ : ٣٢٢.
[٢] نفسه ١٨ : ٣٩٨.
[٣] نفسه ١٩ : ١٨.
[٤] نفسه ١٩ : ٢٧٥.

«كتبه لنفسه عبدالله الحقير عبد الكريم بن الحسن بن جعفر بن خليفة البعلبكي يوم الخميس غرة شهر شوال سنة إحدى وتسعين وخمسمائة».

وهي منقولة من نسخة الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي وهي بخط محمد بن عبدالملك بن علي بن نصير الغافقي التدميري وتاريخ نسخها سنة ٤٩٦هـ.

موفق الدين أبو محمد عبداللطيف بن يوسف بن محمد البغدادى المتوفى سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م، قال ابن أبي أصيبعة:

«كان الشيخ موفق الدين عبداللطيف كثير الاشتغال لا يخلي وقتًا من أوقاته من النظر في الكتب والتصنيف والكتابة. والذي وجدته من خطه أشياء كثيرة جدًا بحيث أنه كتب من مصنفاته نسخًا متعددة وكذلك أيضًا كتب كتبًا كثيرة من تصانيف القدماء»[١].

ووقف ابن أبي أصيبعة على سيرة عبداللطيف بخطه يقول:

«نقلت من خطه في سيرته التي ألفها ما هذا مثاله»[٢].

وهي غير كتاب الإفادة والاعتبار.

أبو حكيم عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله الخَبْري المعلم المتوفى سنة ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م، قال ياقوت:

«كان متمكنًا من علم اللغة ويكتب الخط الحسن»[٣].

وقال القفطي:

«كان يكتب خطًا حسنًا صحيحًا»[٤].

وقال الصفدي:

---

[١] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ٢ : ٢٠٢.
[٢] نفسه ٢ : ٢٠٢.
[٣] ياقوت: معجم الأدباء ١٢ : ٤٦.
[٤] القفطي: إنباه الرواة ٢ : ٩٨.

«كان متمكنًا في علم العربية، ويكتب خطًا مليحًا ويَضْبط ضَبْطًا صحيحًا ... وكتب بخطه كثيرًا»[١].

أبو محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن عبدالله بن نصر الخَشّاب بن أبي الكرم النحوي المتوفى سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م. قال الصَّفدي:

«كان أعلم أهل زمانه بالنحو حتى يقال إنه كان في درجة أبي علي الفارسي. وكان له معرفةٌ بالحديث واللغة والفلسفة والحساب والهندسة، ما من علم من العلوم إلا وكانت له فيه يَدٌ حسنةٌ.

وكان يكتب مليحًا ويَضْبط صحيحًا، وحَصَّل من الأصول وغيرها ما لا يدخل تحت حَصر، ومن خطوط الفضلاء، وأجزاء الحديث شيئًا كثيرًا، ولم يَمُت أحدٌ من أهل العلم إلا واشترى كتبه»[٢].

ووقف ياقوت على شيء من خطه ونقل منه بقوله:

«قرأت بخط الشيخ أبي محمد بن الخَشّاب»[٣].

عبدالله بن رُسْتُم اللُّغوي، قال القفطي:

«مُستمل يعقوب بن السِّكّيت. كان قد استفاد من يعقوب وطبقته وكتب بخطه الكثير، وأفاد الطالبين»[٤].

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي الجوع الأديب الورّاق المشهور من أهل مصر المتوفى سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م، كان شاعرًا أديبًا... قال ابن خلكان:

«كان نسخه في غاية الجودة وكان يَنْسخ كل خمسين ورقة بدينار وخطه موجودٌ بأيدي الناس ومرغوبٌ فيه»[٥].

وقال الصفدي:

---

١ الصفدي: الوافي ١٧: ٥.
٢ نفسه ١٧: ١٤، ١٥.
٣ ياقوت: معجم الأدباء ٧: ٢٥٣، ١٤: ٦١، ٨٤.
٤ القفطي: إنباه الرواة ٢: ١٢٠.
٥ ابن خلكان: وفيات ٤: ٣٧٩.

«كـان مليح الخط جَيّد الضَّبْط وخطه مرغوبٌ فيه . . . وصل إليه من العزيز وابنه الحاكم جملة كبيرة على الوراقة»[١] .

أبو الحسين عبدالله بن محمد بن سُفْيان الخَزّاز النحوي المتوفى سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٧م .

كان مليح الخط صحيحه قال القفطي :

«رأيت بخطه "شعر أبي تَمّام" وهو في غاية الإتقان والجودة»[٢] .

كما نَقَل ابن النديم من كتب رآها بخطه ولم يسمها بلفظ

«قرأت بخط أبي الحسين الخزاز»[٣] .

عبدالله بن محمد بن وداع بن زياد بن هانئ الأزدي المتوفى نحو سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م . قال ابن النديم :

«حسن المعرفة صحيح الخط حسنه يرغب فيه الناس ويأخذ بخطه الثمن»[٤] .

وقال القفطي :

«حسن المعرفة بالأدب صحيح الخط يرغب فيه الناس ويتغالون في ثمنه لإتقانه ، من زمانه في حدود سنة ثلاثين ومائتين وإلى يومنا هذا وهو حدود سنة ثلاثين وستمائة . ولقد اقتنيت بخطه كتاب «الأمثال» لأبي عُبَيْد فرأيت من الاتقان والتحقيق ما لا شاهدته لغيره . واقتنيت بعد ذلك غيره من الكتب الأدبية بخطه . وقيل إن خطه في زمانه كان يباع بالثمن الغالي وكذلك اليوم عند من يعرفه» .

كما شاهد بقفْط في شهور سنة تسع وثمانين وخمسمائة جزءاً من «ديوان الأعشى» بخط ابن وداع وحواشيه بخط أبي عبدالله بن مُقْلَة [٥] ،وقال الصَّفَدي :

«كان وَرّاقًا حسن المعرفة صحيح الخط يرغب الناس في خطه ، وكان لخطه نَفَاقٌ وثمنٌ ونفاسةٌ»[٦] .

---

[١] الصفدي : الوافي ١٧ : ٥٢٧ .

[٢] القفطي : إنباه ٢ : ١٣٥ وانظر الخطيب البغدادي : تاريخ بغداذ ١٠ : ١٢٣ ؛ الصفدي : الوافي ١٧ : ٥٢٨

[٣] ابن النديم : الفهرست ٤٧ ، ٦٢ ، ٩٠ .

[٤] نفسه ٨٨.

[٥] القفطي : إنباه الرواه ٢ : ١٣٤ ، ١ : ٥٣ .

[٦] الصفدي : الوافي ١٧ : ٥٢٦ .

أبو محمد عبدالله بن يس التميمي النحوي الأديب قال القفْطي :

«كان يكتب خطًا حَسَنًا ويُذَهِّب المصاحف»[١] .

صفي الدين عبدالمؤمن بن فاخر الأرْمَوي المتوفى سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م، كان يعرف علومًا كثيرةً منها العربية ونَظْم الشعر وعلم الإنشاء وعلم التاريخ وعلم الخلاف وعلم الموسيقى ، قال العزّ الإرْبلي الطبيب :

«لم يكن في زمانه من يكتب الخط المنسوب سوى الشيخ زكي الدين لا غير وهو بعده، وفاق في فنه الأوائل والأواخر ، وبه تَقَدَّم عندخليفة زمانه»

وأضاف على لسان صفيّ الدين عبدالمؤمن أنه قال :

«وردت بغداد صبيًا وأثبت فقيهًا بالمستنصرية شافعيًا أيام المستنصر ، واشتغلت بالمحاضرات والأدب والعربية وتجويد الخط ، فبلغت فيه غاية ليس فوقها غاية . ثم اشتغلت بضرب العود فكانت قابليتي فيه أعظم من الخط لكني اشتهرت بالخط ولم أُعْرَف بغيره في ذلك الوقت»[٢] .

أبو الفَتْح عبيد الله بن أحمد بن محمد المعروف بـ**جَخْجَخ النحوي** قال الصفدي :

«سَمِعَ البَغَوي وطبقته وابن دُرَيْد . وكان ثقةً صحيح الكتابة كتب بخطه حتى قال الناس : إن يده من حديد»[٣] .

وهو الذي كتب النسخة الصحيحة من «الجَمْهَرة في علم اللغة» لابن دُرَيْد لأنه كتبها من عدَّة نُسَخ وقرأها على ابن دُرَيْد[٤] .

أبو عمرو عثمان بن أحمد بن عبدالله بن يزيد الدَّقاق المعروف بـ**ابن السماك** المتوفى سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م، قال ابن الجوزي :

---

[١] القفطي : إنباه الرواه ٢ : ١٥ .
[٢] الصفدي : الوافي ١٩ : ٢٤٢ .
[٣] نفسه ١٩ : ٣٤٧.
[٤] ابن النديم : الفهرست ٦٧ .

«كتب المصنفات الكبار بخطه، وكان كل ما عنده بخطه»[١].

أبو عمرو عثمان بن عبدالله بن إبراهيم بن محمد الطُرْطُوشي الكاتب القاضي كان من الأدباء الفضلاء، قال ياقوت:

«رأيت بخطه الكثير من كتب الأدب والشعر . . . وكان متقن الخط سريع الكتابة»[٢].

موفق الدين أبو نصر عدنان بن نصر بن منصور بن العين زَرْبي المتوفى سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م. أقام ببغداد مدة ثم انتقل منها إلى الديار المصرية فى عهد الدولة الفاطمية وكان مشتغلاً بصناعة الطب وبالعلوم الحكمية وبرع فى علم النحو، قال ابن أبي أصيبعة:

«كان ابن العَيْن زَرْبي خبيراً بالعربية جيد الدراية لها حَسَن الخَط ، وقد رأيت كتبًاعدةً فى الطب وفي غيره بخطه وهى في نهاية الحُسن والجودة ولزوم الطريقة المنسوبة»[٣].

أبو الحسن علي بن إبراهيم بن علي التبريزي المعروف بـ**ابن الخازن**، قال القفطي:

«كان من أعلم الناس بالأدب واللغات حسن الخط عالمًا بفنون العربية ثقة فيما يرويه»[٤].

أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي دُجَانَة المصري الكاتب الورّاق، قال ياقوت:

«جيّد الخط كثير الضبْط إلا أنه مع ذلك لا يخلو خطه من السّقْط وإن قلّ، وهو من أهل مصر ومقامه ببغداد وبها كتب ونسخ الكثير»[٥].

أبو الحسن علي بن ثَرْوان بن زيد بن الحسن الكندي المتوفى بدمشق سنة ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م، قال القفطي:

---

[١] ابن الجوزي: المنتظم ٦ : ٣٧٨.
[٢] ياقوت: معجم الأدباء ١٢ : ١٢٠.
[٣] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ٢ : ١٠٨.
[٤] القفطي: إنباه الرواه ٢ : ٢٢١.
[٥] ياقوت: معجم الأدباء ١٢ : ٢٢٣.

«كان يكتب خطًا صحيحًا يشبه خط أبي منصور الجواليقي في الجودة والصحة. رأيت بخطه كتاب "الحماسة" وهو في غاية الحُسْن والاتقان»[١].

أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي الأزدي المعروف بـ **كُراع النَّمْل** المتوفى بعد سنة ٣٠٩هـ/ ٩٢١م؛ قال القفْطي:

«كان خطه حسنًا صحيحًا قليل الخطأ، وكان يُوَرِّق تصانيفه ولم أر له خطًا في غيرها. ورأيت جزءاً من كتابه «المُنَضَّد» من خطه وقد كتب في آخره أنه كَمُلَ وراقة وتصنيفًا في سنة سبع وثلاثمائة»[٢].

وقال ياقوت:

«وَجَدْتُ خَطَّه على «المُنَضَّد» من تصنيفه وقد كتبه في سنة سبع وثلاثمائة»[٣].

واستفاد من هذه النسخة في معجم البلدان[٤].

وهي النسخة نفسها التي رآها القفْطي وتَمَلَّكها يقول:

«فمن تصانيفه كتاب «المُنَضَّد» في اللغة كبيرٌ على الحروف ملكته»[٥].

أبو الحسن علي بن الحسين الآمدي النحوي، قال ياقوت:

«خرج إلى مصر فأقام بها منقطعًا إلى أبي الفضل بن حنْزابَة الوزير. وخطه صحيح مليح، وهو من مشائخ عبدالسلام بن الحسين البصري»[٦].

= أبو الحسن محمد بن عبدالله بن صالح الآمدي.

علي بن الحسين بن علي العَبْسي المعروف بـ **ابن كَوْجَك الوَرّاق** كان حَيًا سنة ٣٩٤هـ/ ١٠٠٤م، قال ياقوت:

---

١ القفطي: إنباه الرواه ٢ : ٢٣٤.
٢ نفسه ٢ : ٢٤٠.
٣ ياقوت: معجم الأدباء ١٣ : ١٢.
٤ ياقوت: معجم البلدان ٢ : ٥٣٠، ٤ : ٦٠٨.
٥ القفطي: إنباه الرواه ٢ : ٢٤٠.
٦ ياقوت: معجم الأدباء ٣ : ١٦٢.

«كان أديبًا فاضلاً يُوَرِّق بمصر سمع من أبي مُسْلم محمد بن أحمد كاتب أبي الفضل بن حنْزابَة الوزير»[١].

وهو شقيق أبي القاسم المُحَسِّن بن الحسين بن علي بن كَوْجَك المتوفى سنة ٤١٦هـ الآتي ذكره.

علم الدين أبو الحسن علي بن حمزة بن علي بن طَلْحة الرازي الأصل البغدادي المولد المتوفى بمصر سنة ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م، قال ياقوت:

«وهو صاحب الخط المليح على طريقة ابن البَوّاب خصوصًا قلم المصاحف، فإنه لم يكتبه أحدٌ مثله ممن تَقَدَّم»[٢].

أبو الحسن علي بن زَيْد القاشاني النحوي أحد أصحاب ابن جنِّي، قال ياقوت:

«وجدت بخطه ما كتبه سنة إحدى عشرة وأربعمائة. وهو صاحب الخط الكثير الضَّبط المُعَقَّد سلك فيه طريق شيخه أبي الفتح»[٣].

أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن القاضي الجُرْجاني صاحب كتاب «الوساطة بين المتنبي وأبي تمّام المتوفى سنة ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م، قال ياقوت:

«كان جيِّد الخَطّ مليحًا يُشَبَّه بخط ابن مُقْلَة»[٤].

وقال الثعالبي:

«يجمع خط ابن مُقْلَة إلى نَثْر الجاحظ ونَظْم البُحتري»[٥].

أبو القاسم علي بن عبدالله بن على بن الحسين العلوي المعروف بـ الشُّبيه صاحب كتاب «المَبْسوط» المتوفى سنة ٤٤١هـ/ ١٠٤٩م، قال ياقوت نقلا عن علي بن أحمد الحافظ:

---

١ ياقوت: معجم الأدباء ١٣: ١٥٥؛ الصفدي: الوافي ٢١: ٢٧.
٢ نفسه ١٣: ٢١١؛ نفسه ٢١: ٧٥.
٣ نفسه ١٣: ٢١٨؛ نفسه ٢١: ١٢٢؛ السيوطي: بغية الوعاة ٢٣٨.
٤ ياقوت: معجم الأدباء ١٤: ١٦، ٢٢؛ الصفدي: الوافي ٢١: ٢٣٩.
٥ الثعالبي: يتيمة الدهر ٤: ٣.

«كان دَيِّنًا حسن الاعتقاد يُوَرِّق بأجرة ويأكل من كَسْب يده»[١] .

وأضاف ياقوت :

«وَجَدت على ظهر ديوان عُرْوَة بن الوَرْد بخط ابن الشِّبيه وكان الديوان كله بخطه . . .»[٢] .

وفي موضع آخر :

«وجدت بخط ابن الشِّبيه العلوي الكاتب صاحب الخط الفائق في آخر ديوان أبي الطَّمْحان القَيْني بخطه ما صورته :

«وكُتبَ في صفر في سنة عشرين وأربعمائة بخط أبي الحسنَ علي بن هلال السِّتْري مولى معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموى . . .»[٣] .

وقال الصَّفَدي :

«وكان خطه مليحًا ، وقد رأيت بْخطه رَبْعَةً مليحةً بقلم النَّسْخ»[٤] .

أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن عبدالباقي بن أبي جَرَادَة العُقَيْلي الأنْطاكي المتوفى سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م ، قال ياقوت :

«صَدْر زمانه وفرد أوانه ذو فنون من العلوم . وخطه مليح جدًا على غاية من الرطوبة والحلاوة والصحة . . . ورتَّب «غريب الحديث» لأبي عُبَيْد على حروف المعجم رأيته بخطه ، وشَرَعَ في شرح أبياته شروعًا لم يُقَصِّر فيه ، ظفرت منه بكراريس من مُسَوّداته لأنه لم يتم»[٥] .

---

[١] ياقوت : معجم الأدباء ١٣ : ٢٧١ ؛ الصفدي: الوافي ٢١ : ٢٠٧ .
[٢] نفسه ١٣ : ٢٧٢ .
[٣] نفسه ١٥ : ١٢١ .
[٤] الصفدي: الوافي ٢١ : ٢٠٧ .
[٥] ياقوت: معجم الأدباء ١٦ : ١٠ .

«حدثني كمال الدين [ابن العَديم] قال: سمعت والدي ـ رحمه الله ـ يقول: كتب الشيخ أبو الحسن بن أبي جَرَادَة بخطه ثلاث خزائن من الكتب لنفسه، وخزانة لابنه أبي البركات، وخزانه لابن أبي عبدالله»[١].

وقال القفطي:

«له خط حسن ويدٌ في الحساب والهندسة على ما شاهدته بخطه»[٢].

أبو الحسن علي بن عبيد الله بن عبدالغفار السِّمْسَمي [ويقال السِّمْسَماني] اللغوي النحوي المتوفى سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م، قال ياقوت:

«كان جيِّد المعرفة بفنون علم العربية، صحيح الخَطّ غاية في إتقان الضَّبط، قرأ على أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي. وكان ثقةً في روايته»[٣].

وأضاف:

«وكان أبو الحسن هذا مليح الخط صحيح الضَّبط حُجَّةً فيما يكتبه، ومن هذا البيت جماعةٌ كُتّاب مجيدون»[٤].

وقال ابن خَلّكان:

«وكُتُب الأدب التي عليها خطه مرغوبٌ فيها... وكان صدوقًا وكَتَب الكثير وخطه في غاية الاتقان والصحة... وأكثر كتبه بخطه، وحَصُلَت بعده عند ابن دينار الواسطي الأديب وأدركها الغرق ففَسَد أكثرها»[٥].

وقال الصَّفَدي:

«كان يكتب خطًا صحيحًا مليحًا، كتب بخطه كثيرًا من كتب الأدب وخطه مرغوبٌ فيه»[٦].

---

[١] ياقوت: معجم الأدباء ١٦ : ١١.

[٢] القفطي: إنباه الرواه ٢ : ٢٨٥؛ الصفدي: الوافي ٢١ : ٢١٠.

[٣] ياقوت: معجم الأدباء ١٤ : ٥٨؛ الصفدي: الوافي ٢١ : ٢٩٥.

[٤] نفسه ١٤ : ٥٩؛ نفسه ٢١ : ٢٩٥ وانظر فيما يلي محمد بن علي السمسماني.

[٥] ابن خلكان: وفيات ٣ : ٣١٢.

[٦] الصفدي: الوافي ٤ : ١٣٨، ٢١ : ٢٩٥.

ووَقَفَ ياقوت على كتاب في العروض بخطه يقول :

«نقلت من كتاب ألفه أبو القاسم عبيد الله بن جَرْو الأسدي في العروض، وكان الكتاب بخط أبي الحسن السمسماني»[١] .

ووَجَدَ كذلك خطه على ظهر كتاب للمُزَني صاحب الشافعي[٢] .

كما رأى القفطي نسخةً من كتاب «التنبيه في النحو» لأبي الفتح محمد بن محمد بن أحمد بن الأشْرَس النحوي النيسابوري بخط السَّمْسَمي قال :

«ملكتها ولله المنّة»[٣] .

ولم يصل إلينا خَط السَّمْسَمي ولكن وصلت إلينا نسخة من شرح «أشعار الهذليين» كتبها محمد بن علي العتابي المتوفي سنة ٦٥٦ نقلا عن نسخة بخط السمسمي (السمسماني) وقرأها العتابي أيضًا على شيخه موهوب بن أحمد بن الجواليقي المتوفي سنة ٥٣٩ وقابل بعضها بنسخة شيخه ابن الجواليقي التي بخط يده وقابل كذلك بنسخة محمد بن فتوح الحميدي المتوفي سنة ٤٨٨ ، وهذه النسخة محفوظة في مكتبة ليدن .

أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن عبد الباقي بن بكري البغدادي المتوفى سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م، خازن دار الكتب بالنظامية . له معرفة جيدة بالأدب قرأ النحو على أبي منصور الجَوَاليقي وغيره، قال ياقوت :

«وكان فاضلا عارفًا حسن الأمر مليح الخط جيد الضبط قد كتب من كتب الأدب الكثير الذي يفوق الحصر»[٤] .

قال القفْطي :

«كان يكتب خطًا جيدًا، تولى الخزن سنين كثيرة ورأيت بخطه أجزاء

---

[١] ياقوت : معجم الأدباء ٤ : ٢٣٣؛ الصفدي : الوافي ٧ : ٣٢٨ – ٣٣٠.

[٢] نفسه ١٤ : ٦٠.

[٣] القفطي : إنباه الرواه ٤ : ١٥٠ .

[٤] ياقوت : معجم الأدباء ١٢ : ٢٧٤؛ الصفدي : الوافي ٢١ : ٣٤٨.

متعددة من كتاب الأزهري [يعني تهذيب اللغة] وفيها وَهْمٌ وغَلَط، ولا شك في موته قبل إتمام مقابلته»[١].

أبو الحسن علي بن محمد بن الخلال الأديب الناسخ المتوفي سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م، قال ياقوت:

«صاحب الخط المليح والضَّبْط الصحيح معروف بذلك مشهور»[٢].

أبو الحسين علي بن محمد بن عبدالرحيم بن دينار الكاتب البصري الواسطي المتوفى سنة ٤٠٩هـ/ ١٠١٨م، قال ياقوت:

«كان حسن الخط يقال إنه على طريقة ابن مُقْلَة»[٣].

وقرأ على أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني جميع كتاب الأغاني.

أبو الحسن علي بن محمد بن عبيد بن الزبير الأسدي النحوي اللغوي المعروف بـ**ابن الكوفي** المتوفى في ذي القعدة ٣٤٨هـ/ ٩٦٠م[٤].

أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن أبي زَيْد النحوي المعروف بـ**الفَصيحي الاستراباذي** المتوفى سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م. قال القفْطي:

«كان يكتب خطًا صحيحًا، رأيت بخطه «شرح الحماسة» للبَيّاري وهي في غاية الجودَة والصحة»[٥].

ضياء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خروف الحضرمي الأندلسي النحوي المتوفى سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م، قال الصفدي:

«ملكت ديوانه (أي عبدالصمد بن منصور بن بابك الشاعر) وهو في

---

[١] القفطي: إنباه الرواه ٢ : ٢٩٣.
[٢] ياقوت: معجم الأدباء ١٤ : ٢٤٥.
[٣] نفسه
[٤] انظر فيما تقدم ص ٩٦ – ٩٨.
[٥] القفطي: إنباه ٢ : ٣٠٧..

مجلدة بخط ضياء الدين أبي الحسن علي بن خَروف النحوي المغربي . . . .
وكتابته طريفة فيها مغربية ما في غاية الصحة والفاء بواحدة والقاف باثنتين
على عادة المشارقة»[١] .

ووَصَلَ إلينا بخط ابن خَروف النحوي نسخة من «الكتاب» لسيبويه أتم كتابتها سنة ٥٦٢هـ تنقص للأسف نحو ثلث أبواب الكتاب، وهي محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم arabe 6499 . وهي نسخة عارضها ابن خَروف بأصلين لكتاب سيبويه أحدهما لأبي نصر هارون بن موسى النحوي، وهو أصل معروف في الأندلس تلقاه أبو نصر عن طريق أبي عبدالله محمد بن يحيى الرباحي، وعن طريق أبي علي القالي صاحب «الأمالي»، والأصل الثاني «نسخة عتيقة شرقية عليها خط أبي علي الفارسي نقلت من نسخة أبي بكر بن السَّرّاج»[٢] .

أبو الحسن علي بن نصر بن سليمان البَرْنيقي النحوي اللغوي نزيل مصر المتوفى بعد سنة ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م . قال القفطي :

«كتب بخطه الكثير وكان الناس يتنافسون في خطه وتحصيله وذلك مستَمِرٌّ إلى زماننا هذا» .

«وكان خطه خَطًّا قاعدًا عاقلا بين الخطوط كثير الضَّبْط في غاية التحقيق والتنقيب والتصحيح»[٣]

وقال ياقوت :

«رأيت بخطه كتبًا أدبية ولغوية ونحوية، فوجدته حَسَنَ الخط مُتْقن الضَّبْط . وكان مقامه بمصر ولعله من أهلها»[٤] .

---

[١] الصفدي : الوافي ١٨ : ٤٥٦، ٢٢ : ٩٠ .

[٢] Humbert, G., «Le kitāb de Sibawayh d'après l'autographe d'un grammairien andelou du XII^e siècle», *Le Manuscrit arabe et la Codicologie*, Rabat 1994, pp. 9-20

[٣] القفطي : إنباه الرواه ٢ : ٣٢٣ .

[٤] ياقوت : معجم الأدباء ١٥ : ٩٧؛ الصفدي : الوافي ٢٢ : ٢٧؛ السيوطي : بغية ٣٥٧ .

وأضاف القفطي :

«ولقد رأيت نسخة بخطه من كتاب «الجَمْهَرة» لابن دُرَيْد وقد أبيع في تركة الجمالي البَجَلي البغدادي المعروف بابن الفضل الكَرْخي مدرس المدرسة الحنفية بالقاهرة المعزية بما مبلغه أربعة وعشرون ديناراً مصريًا. ولولا الحياء ممن تَعَرَّض له - وهو مبارك بن مُنْقذ التبريزي أحد أمراء الدولة الصلاحية - لكان ثمنها قد زاد على ذلك»[1].

أبو الحسن علي بن هلال الكاتب المعروف بـ **ابن البَوّاب** المتوفى سنة ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م، وقيل سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣٢م. ودفن جوار الإمام أحمد بن حنبل، قال ياقوت :

«صاحب الخط المليح والإذهاب الفائق . . . . بَلَغَني أنه كان في أول أمره مُزَوِّقًا يُصَوِّر الدور ثم صَوَّر الكتب ثم تعانى الكتابة ففاق فيها المتقدمين وأعجز المتأخرين»[2].

وقال الصَّفَدي :

«هو صاحب الخط الفائق الذي لم يُرْزَق أحدٌ في الكتابة سعادته بإجماع الناس، على أن الوَلِيّ العَجَمي كتب خيراً منه فيما أرى ولا يجسر أحدٌ على قول ذلك. وأوَّل من عَرَّب الخط من الكوفي ابن مُقْلَة، لكن بقي به تكويف ما إلى أن جاء ابن البَوّاب هذا فزاده تعريبًا ودَوَّر حروفه ووَضَع هذا الضَّبْط على ما قيل»[3].

وأضاف ياقوت :

«قرأت بخط سلامة بن غيّاض : رأيت بالرَّيّ بخط علي بن هلال كتاب «من نُسبَ من الشعراء إلى أمه» لأبي عبدالله بن الأعرابي وهم خمسون شاعراً، وعلى ظهره

[1] القفطي : إنباه الرواه ٢ : ٣٢٧.
[2] ياقوت : معجم الأدباء ١٥ : ١٢٠ - ١٢١.
[3] الصفدي : الوافي ٢٢ : ٩ :

كتبه علي بن هلال في شهر ربيع الأول سنة تسعين وثلاثمائة

وفي آخره بخطه

نقلته من نسخة وجدت عليها بخط شيخنا أبي الفتح عثمان بن جنّي النحوي - أيده الله - بَلَغَ عثمان بن جنّي نسخًا من أوله وعرضًا»[١] .

كما ذكر الصَّفَدي أنه :

«قرأ من خطه كثيراً ، وملَك منه قطعة بقلم الرِّقاع ، فرآها الشيخ بهاء الدين محمود بن خطيب بعلبك ، فقال : لم أر لابن البَوَّاب رقاعًا قطّ غير هذه . إلا أن هذه القطعة المذكورة كان عليها خط القاشي الكاتب المُذَهِّب ، وكان فاضلا مُذَهِّبًا أيضًا له مجاميع أدبية وتواليف ، وقد شهد لهذه القطعة أنها من نفائس عقود ابن البَوّاب»[٢] .

وقال أيضًا :

«وزَعَم بعض الفضلاء أن خَطّه ثلاث طبقات : سُفْلى ووُسْطى وعُليا ؛ فالسُّفْلى أول كتابته واسمه فيها : علي بن هلال - بألف بين اللامين - ، والوُسْطى أوْسَط كتابته واسمه فيها عليّ بن هلَيل - بياء آخر الحروف بين اللامين - ، والعُليا وهي آخر ما كتب واسمه فيها : علي بن هَلل بحذف الألف من بين اللامين»[٣] .

وقال ابن خلكان :

«وكان شيخه في الكتابة [أبو عبدالله محمد] بن أسد الكاتب المشهور»[٤] .

ووضع ابن البَوّاب رسالة في علم الخط ونسخ المصحف بيده أربعة وستين مرة إحداها بالخط الثلث مكتوبة على الرَّق محفوظة في مكتبة شيستر بتي بدبلن

---

١ ياقوت : معجم الأدباء ١٥ : ١٢٩ - ١٣٠ .
٢ الصفدي : الوافي ٢٢ : ٢٩١ .
٣ نفسه ٢٢ : ٢٩٠ - ٢٩١ .
٤ ابن خلكان : وفيات ٣ : ٣٤٢ .

تحت رقم ١٤٣١ كتبت سنة ٣٩١هـ/ ١٠٠٠م بالإضافة إلى نماذج أخرى كتبها بخطه[١].

أبو أحمد عمر بن محمد بن جعفر الزّعْفَراني المعروف بـ **دومي الكوفي النحوي**، قال القفطي:

«كان يكتب خطًا حسنًا جميلا صحيحًا في غاية الصحة»[٢].

سراج الدين عمر بن محمد بن حسن المعروف بـ**السّرّاج الورّاق** الشاعر المشهور قال ابن شاكر الكتبي:

«ملكت ديوان شعره وهو في سبعة أجزاء كبار ضخمة بخطه إلى الغاية.
وخطه في غاية الحسن والقوة والأصالة»[٣].

ونَقَلَ الصّفَدي من خطه قصيدة رثى فيها الحافظ زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري[٤].

أمين الدولة أبو الفرج بن موفق الدين يعقوب بن إسحاق بن القف من نصارى الكَرَك المتوفى سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م، قال ابن أبي أصيبعة:

«اشتمل في الكتابة على أصولها وفروعها وبلغ الغاية من بعيدها وبديعها وله الخط المنسوب الذى هو نزهة الأبصار ولا يلحقه كاتب في سائر الأقطار والأمصار»[٥].

أبو يحيى مالك بن دينار البصري المتوفى سنة ١٣١هـ/ ٧٤٨م بالبصرة، قال ابن النديم:

---

[١] انظر فيما سبق ص ٥٦ – ٥٧.
[٢] القفطي: إنباه الرواه ٢ : ٧.
[٣] ابن شاكر: فوات الوفيات ٣ : ١٤٠.
[٤] الصفدي: الوافي ١٩ : ١٥ – ١٦.
[٥] ابن أبي أصيبعة : عيون ٢ : ٢٧٣.

«كان زاهدًا كثير الوَرَع قنوعًا لا يأكل إلا من كسبه وكان يكتب المصاحف بالأجرة»[١]

وقال السجستاني :

«دخل عليه جابر بن زَيْد الأزدى المتوفى سنة ٩٣هـ/ ٧١٢م، فوجده يكتب المصحف فقال له : مالك صنعة إلا أن تنقل كتاب الله من ورقة إلى ورقة هذا والله كسب الحلال هذا والله كسب الحلال»[٢] .

أبو الوليد مالك بن عبدالله بن محمد العُتْبي المعروف بـ السُّهَيْلي القرطبي المتوفى سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م، قال القفطي :

«كان ضابطًا لما كَتَبَ حسن الخط جَيِّد الضَّبْط وكتب بخطه علمًا كثيرًا وأتقنه وأخذ الناس عنه»[٣] .

أبو الفرج المبارك بن سعيد الحمامي المؤدب المتوفى سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م، قال ياقوت :

«كان يكتب خطًا حسنًا معروفًا عند الناس مرغوبًا فيه»[٤] .

أبو الكرم المبارك بن الفاخر بن محمد بن يعقوب بن الدّبّاس النحوي البغدادي، المتوفى سنة ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م، قال القفطي :

«كانت له طريقة في الخط تشبه طريقة عبدالسلام البصري مُخَلَّعَة الحروف كثيرة الضَبْط . وخَطُّه مرغوبٌ فيه له قدر عند العلماء بهذا الشأن»[٥] .

أبو طالب المبارك بن المبارك بن المبارك الكَرْخي المتوفى ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م

كان أوْحد زمانه في حُسْن الخط على طريقة علي بن هلال بن البَوّاب . قال ياقوت :

---

[١] ابن النديم : الفهرست ٩ ؛ ابن خلكان : وفيات ٤ : ١٣٩ .

[٢] السجستاني : كتاب المصاحف ١٣١ .

[٣] القفطي : إنباه الرواه ٣ : ٢٥٤ .

[٤] ياقوت : معجم الأدباء ١٧ : ٥٣ .

[٥] القفطي : إنباه الرواه ٣ : ٢٥٧ والسيوطي : بغية الوعاة ٣٨٤ .

« سمعت جماعةً يحكون أنه لم يكتب أحدٌ قبله ولا بعده مثله في قلم الثُّلُث حتى رأيت من يغالي فيقول إنه كتب خيراً من ابن البَوّاب وكان ضنيناً بخطه فلذلك قَلّ وجوده»[١] .

أبو الوفاء المُبَشِّر بن فاتك الآمري المتوفى نحو سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٧م، من أعيان أمراء مصر اشتغل بصناعة الطب ولازم أبا الحسن علي بن رضوان الطبيب، قال ابن أبي أصيبعة :

«كان كثير الكتابة وقد وجدت بخطه كتبًا كثيرة من تصانيف المتقدمين»[٢] .

أبو القاسم المُحَسِّن بن الحسين بن علي بن كَوْجك العَبْسي المتوفى سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م، قال ياقوت :

«كان الغالب عليه الوراقة ويقول الشعر وخطه معروف مرغوب فيه يُشْبه خط الطَّبري [أي إبراهيم بن أحمد بن توزون]»[٣] .

وكَتَبَ ابن كَوْجك الأصل الذي نقلت عنه نسخة «أنساب الأشراف» للبلاذُري المحفوظة بمكتبة عاشر أفندي باستانبول برقم ، فقد جاء في آخرها :

«نقلت هذه النسخة من نسخة منقولة من خط البلاذُري وأصله وهي نسخة الوزير أبي الفضل جعفر بن الفَضْل بن الفرات يشهد لها بذلك خطه عليها رحمه الله تعالى بعد أن قوبل بها ووثق بصحتها حرفًا حرفًا» .

وهو شقيق علي بن الحسين بن علي بن كَوْجك المتوفى سنة ٣٩٤هـ السابق ذكره .

محمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن الرُّعَيْني الوشقي، قال ابن الزبير :

«كان . . . بارع الخط حسن الوراقة»[٤] .

---

[١] ياقوت : معجم الأدباء ١٧ : ٥٦ انظر فيما تقدم

[٢] ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ٢ : ٩٨ - ٩٩ .

[٣] ياقوت : معجم الأدباء ١٧ : ٨٩.

[٤] السيوطي : بغية الوعاة ٥ .

محمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن معاوية المُنْذري القرشي القرطبي المعروف بـ **المصنوع** المتوفى سنة ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م، قال ابن الفَرَضي :

«كان يوصف بالضَّبْط وحُسْن النَّقْل»[١] .

بهاء الدين أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر بن النحاس الحلبي النَّحوي شيخ الديار المصرية في علم اللسان المتوفى سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م، قال الصفدي :

«كتب خطًا أزرى بالوشي إذا حُبك والذهب إذا سُبك . . . واقتنى كتبًا نفيسة»[٢] .

وقال السيوطي :

«كتب الخط المنسوب . . . واقتنى كتبًا نفيسة»[٣] .

أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن موسى بن عبدالسلام الطُّلَيطلي الأنصاري المتوفى سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م، قال السيوطي :

«مليح الخط حسن النَّقْل»[٤] .

محمد بن أحمد بن عبدالله السُّلَمي الكاتب المتوفى سنة ٦٣٧هـ/ ١٣٣٩م، قال الصفدي :

«كتب [الخط] المنسوب، وتصويره أحسن وأعلى طبقة من خطه، كان مغرىً بأن يَنْسَخ الكتاب ويُصَوِّره مثل "ديوان أبي نواس" رواية حمزة الأصبهاني ومثل "فَلَك المعاني" لابن الهَبّارية وغير ذلك. ملكت بخطه وتصويره كتاب "فَلَك المعاني" وذكر في آخره أنه كتبه وصَوَّرَه في المحرم سنة ثمان وعشرين وست مائة»[٥] .

---

١ السيوطي : بغية الوعاة ٥ .
٢ الصفدي : الوافي ٢ : ١١ - ١٢ .
٣ السيوطي : بغية الوعاة ٦ .
٤ نفسه ٧ .
٥ الصفدي : الوافي بالوفيات ٢ : ١١٣ .

أبو مسلم محمد بن أحمد بن علي بن الحسين البغدادي الكاتب، كاتب الوزير أبي الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن حنْزابَة، المتوفى سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م، قال الداني: بغدادي سكن مصر وقال الخطيب البغدادي:

«كان من أهل العلم والمعرفة بالحديث. كَتَبَ وجَمَعَ، ولم يكن بمصر بعد عبدالغني[بن سعيد] أفْهَم منه»[1].

وجاء بآخر نسخة «مجالس العلماء لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٩م المحفوظة في دار الكتب المصرية برقم ٧٧ أدب ش:

«نسخت هذه النسخة من نسخة نسخت من نسخة بعضها بخط الشيخ أبي مسلم محمد بن أحمد بن علي الكاتب كاتب ابن حنزابة وهي نسخته وعليها خطه بالملك وكانت في خمسة أجزاء. وكاتب هذه النسخة التي نقلت منها عبدالله الفقير إليه أبو عبدالله ياقوت ابن عبدالله الحموي، وذكر ما ذكر أعلاه بخطه في آخر نسخته والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم».

أبو الفتح محمد بن أحمد بن محمد بن أشْرَس المعروف بـ أبي الفتح بن الأشْرَس النحوي النيسابوري، كنيته أغلب من اسمه المتوفى سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م، قال القفْطي:

«رأيت له خطًا قريبًا في الجودة غايةً في الصِّحَة، واسمه بين العلماء إلى زماننا هذا رفيع، وصُنْعه في الضَّبْط والإتقان صنيع، ولقد رأيت بخطه نسخة من كتاب سيبويه من ملكها من العلماء ضاهى بمُلكها ملك آل بُوَيْه، وخطُّه مما تَقَعُ المنافسة فيه، ومتى فات عالمًا تحصيله لم يقم عنده شيء مقامه في تلافيه»[2].

---

[1] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١ : ٣٢٣.
[2] القفطي: إنباه الرواه ٤ : ١٤٩.

محمد بن أحمد بن محمد بن حمزة بن بُرَيْك الأنصاري الدُّنكري المعروف بـ **ابن البَرْقَطي** المتوفى سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م، قال ياقوت:

«خَلَّف خمسة وعشرين قطعة بخط ابن البَوّاب لم تجتمع في زماننا عند كاتب وكان يغالي في شرائها.

[وهو] أوحد عصرنا في حُسْن الخط والمشار إليه في التحرير.

وكان في أول أمره معلمًا فلما جاد خَطُّه صار مُحَرِّرًا، وكان يغالى في أثمان خطوط ابن البَوّاب فحصل له منها ما لم يحصل لأحد غيره. وجدت عنده أكثر من عشرين قطعة بخطه أرانيها»[١].

أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن فرج [فتّوح] بن شُقْرال اللَّخمي المعروف بـ **الطُّرسوني** المتوفى سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م. قال لسان الدين بن الخطيب:

«كان قَيِّمًا على النحو والقراءات واللغة... وكانت له مشاركة في الأصلين والمنطق... يجمع إلى ما ذكر خطًا بارعًا... وكان صَنَّاع اليدين يرسم بالذهب ويُسَفِّر... أحظاه وزير الدولة أبو عبدالله بن المحروق واختصه ورتَّب له بالحمراء جراية، وقلَّد نظره خزانة الكتب السلطانية»[٢].

وقال السُّيوطي:

«كان... بارع الخط... وكان حَسَن التذهيب والتجليد حظى عند الوزير المحروق ورتَّب له معلومًا وجعله ناظرًا لخزانة الكتب السلطانية»[٣].

القاضي أبو جعفر محمد بن إسحاق بن علي بن داود بن حامد الزَّوْزَني البَحّاثي المتوفى بغَزْنَة سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م، قال عبدالغافر الفارسي:

«كان يَنْسَخ كتب الأدب بخط مقروء صحيح أحسن النسخ، ولقد رأيت

---

١ ياقوت: معجم الأدباء ١٧ : ٢٦٩ - ٢٧٠.

٢ لسان الدين الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ٣ : ٢٤ - ٢٥.

٣ السيوطي: بغية الوعاه ١٨.

نسخةً من كتاب «يتيمة الدَّهْر» لأبي منصور الثَّعالبي في خمس مجلدات بخطه المليح بيعت بثلاثين ديناراً نيسابورية وكانت تساوي أكثر من ذلك .

وقد كتب نسخة من «غريب الحديث» لأبي سليمان الخَطّابي وقرأها على جدي الشيخ عبدالغافر بن محمد الفارسي قراءة سماع، وعلى الحاكم الإمام أبي سعد بن دُوسْت قراءة تصحيح وإتقان . أقطع على الله تعالى أن لم يبق من ذلك الكتاب نسخة أبيَن ولا أمْلَح منها، وهي الآن برسم خزانة الكتب الموضوعة في الجامع القديم موقوفة على المسلمين»[١] .

شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي المعروف بـ**ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة** المتوفى سنة ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م، أحد تلاميذ ابن تيمية وأحد شيوخ المذهب الحنبلي، قال ابن العماد :

«كتب بخطه ما لا يُوصف كثرةً، وصَنَّف تصانيف كثيرة جداً في أنواع العلوم، وكان شديد المحبة للعلم وكتابته ومطالعته وتصنيفه واقتناء كتبه، واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره»[٢] .

أبو عبدالله محمد بن ثواب بن محمد المعروف بـ**ابن الثلاج الموصلي** ، قال ابن أبي أصيبعة :

«فاضل في صناعة الطب خبير بالعلم والعمل وشيخه في صناعة الطب أحمد بن أبي الأشعث لازمه واشتغل عليه وتميز وكتب بخطه كتبًا كثيرة»[٣] .

شمس الدين أبو عبدالله محمد بن الحسن بن عبدالله الحسين الواسطي المتوفى سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م، قال ابن العماد :

«دَرَسَ بالصَّارمية وأعاد بالشامية البرانية وكتب الكثير نسخًا وتصنيفًا بخط حسن»[٤] .

---

[١] ياقوت : معجم الأدباء ١٨ : ٢٠ – ٢١؛ القفطي : إنباه الرواه ٣ : ٦٧ .
[٢] ابن العماد: شذرات الذهب ٦ : ١٦٩ .
[٣] ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ١ : ٢٤٧ .
[٤] ابن العماد : شذرات الذهب ٦ : ٢٤٤ .

أبو عبدالله محمد بن الحسن بن كامل المالقي المعروف بـ **ابن الفخّاري** المتوفى سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م، قال القفطي:

«له خطٌ حسنٌ من خطوط أهل الأندلس وكان في أول المائة السادسة للهجرة، ورأيت بخطه كتاب "عارضة الأحوذي في شرح كتاب الترمذي" لابن العربي وقد قرأه عليه، والخط في غاية الحسن والصحة»[١].

محمد بن الحسين بن محمد الطّبَري النحوي، قال ياقوت:

«مشهورٌ في أهل الأدب وله خطٌ مرغوبٌ فيه»[٢].

أبو بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٥م، قال ابن النديم رواية عن محمد بن الحسن الورّاق:

«لم يكن يفارق المدارج والنَّسْخ، ما دخلت عليه قط إلا رأيته يَنْسَخ إما يُسَوّد أو يُبيِّض»

ثم أضاف:

«ورأيت بخطه شيئًا كثيراً في علوم كثيرة مُسَوَّدات ودساتير لم يخرج منها إلى الناس كتاب تام، وقيل إن بخراسان كتبه موجودة»[٣].

أبو عبدالله محمد بن سعيد بن أبي عُتْبَة القُشَيْري النحوي الأندلسي القرطبي المتوفى سنة ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م قال القفْطي:

«كثير الكتب كتب بخطه الكثير، ولم يجاره أحدٌ في صحة ضَبْطه وحُسْن نَقْله»[٤].

تاج الدين محمد بن سليمان بن أحمد بن الفخر الشافعي المتوفى سنة ٧٣١هـ/ ١٣٣١م، قال الصفدي:

---

١ القفطي: المحمدون من الشعراء ٢٩٥.

٢ ياقوت: معجم الأدباء ١٨ : ١٨٨؛ السيوطي: بغية الوعاة ٣٨.

٣ ابن النديم: الفهرست ٣٥٧.

٤ القفطي: إنباه الرواه ٣ : ١٣٨.

«كتب الخط الجيد وكتب كثيراً من الحديث والفقه وغير ذلك»[١] .

أبو عبدالله محمد بن سليمان بن قُطْرُمُش (قُتْلُمُش) الحاجب البغدادي المتوفى سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م، قال ياقوت :

«خلّف له والده أموالا كثيرة فضيعها في القمار واللعب بالنرد حتى احتاج إلى الوراقة، فكان يُوَرِّق بأجرة بخطه المليح الصحيح المعتبر، فكتب كثيراً من الكتب»[٢] .

الإمام فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عبد السلام بن عبدالرحمن بن عبدالساتر الأنصاري المارديني المتوفى سنة ٥٩٤هـ/ ١١٩٨م بآمد، قال ابن أبي أصيبعة :

«وَقَفَ جميع كتبه في مدينة ماردين في المشهد الذي وقفه حسام الدين بن أرتق. وكان هذا حسام الدين فاضلا حكيمًا فيلسوفًا وقد وقف أيضًا في مشهده كتبًا حكمية. والكتب التي وقفها الشيخ فخر الدين هي من أَجْوَد الكتب وهي نُسَخُه التي كان قد قرأ أكثرها على مشائخه وحَرَّرَها وقد بالغ في تصحيحها وإتقانها»[٣] .

أبو الحسن محمد بن عبدالله بن صالح الآمدي، خَرَجَ من بغداد إلى مصر وكان منقطعًا إلى الوزير ابن حنْزابَة، قال ابن النديم :

«وخطه مليحٌ صحيحٌ»[٤] .

أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن عاصم التميمي المعروف بـ **الحَزَنْبل**، لقبه أشهر من اسمه. عالم راوية روى عن ابن السّكيت كتاب «السَّرقات أو سرقات الشعر» وكان كثير الرواية عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني، قال القفطي :

---

١ الصفدي: الوافي ٣ : ١٣٩ .

٢ ياقوت: معجم الأدباء ١٨ : ٢٠٥ .

٣ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ١ : ٣٠١ .

٤ بن النديم: الفهرست ٨٩ .

« وله خط جيد معروف بين العلماء بالصحة والتحقيق»[١] .

أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن موسى الكرْماني النحوي الورّاق المتوفى سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤١م، كان عالمًا فاضلا عارفًا بالنحو واللغة ، من أصحاب ثَعْلَب ، قال ابن النديم :

« مليح الخط صحيح النَّقْل يَرْغَب الناس في خطه وكان يُوَرِّق بالأجرة»[٢] .

وقال القفْطي :

«رأيت بخطه كتاب «المعارف» لابن قُتَيْبَة وملكته وهو في غاية الحُسْن والصحة»[٣] .

أبو عبدالله محمد بن عثمان بن بُلْبُل النحوي المتوفى سنة ٤١٠هـ/ ١٠٢٠م، قال ابن النجار :

«قرأ النحو على ابن خالويه وروى عنه وكان يكتب خطًا صحيحًا مليحًا»[٤] .

ولم يصل إلينا نماذج من خط أبي عبدالله محمد بن عثمان بن بُلْبُل ، ولكن نسخة كتاب "إصلاح المنطق" لابن السكِّيت المحفوظة في مكتبة كوبريلي باستانبول تحت رقم ١٢٠٩ جاء بآخرها :

وعورضت هذه النسخة بنسخة بغدادية بخط ابن بلبل كان في آخرها مكتوب

«قرأ عليّ [إصلاح] المنطق هذه النسخة من أوله إلى آخره أبو عبدالله بن بلبل البغدادي أيّده الله ، وضبطه وصححه بعد تصحيحنا على شيخنا أبي سعيد أدام الله عافيته . فهذه النسخة غاية وإمامٌ يُرْجَع إليها ومن قرأه على أبي عبدالله بن بلبل فهو كالقارئ على أبي سعيد وعليّ لأنه ما علّر ولا قَصَّر ولا الا نفعه الله وإيانا بالعلم والأدب . وكتب الحسن بن خالويه»

---

[١] القفطي : إنباه الرواه ١ : ٣٣٩ وانظر كذلك ابن النديم : الفهرست ٧٩ والصفدي : الوافي ٣ : ٣٢٨ .

[٢] ابن النديم : الفهرست ٨٧؛ ياقوت : معجم الأدباء ١٨ :٢١٣؛ الصفدي : الوافي ٣ : ٣٢٩.

[٣] القفطي : إنباه الرواه ٣ : ١٥٥ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٣ : ٣٢٩؛ السيوطي : بغية الوعاة ٦٠ .

[٤] الصفدي : الوافي ٤ : ٨٤.

وفي أولها مكتوب

«رواية أبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي قرأه عليه عن أبي بكر محمد ابن أبي الأزهر قرأه عليه عن أبي عمرو بندار بن لُرَّة الكرجي صاحب معاني الشعر قرأه عليه قال : سمعت أبا يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت يقول : الكتاب كان على هذا . ٠ . وأما رواية ابن الأنباري فرواه عن أبي أحمد عبدالسلام بن الحسين بن محمد البصري قال : حدثنا ابن يزيد عن أبي بكر أحمد بن محمد بن الفضل بن الجراح الخزاز عن أبي بكو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار عن أبيه القاسم بن محمد بن بشار عن أبي جعفر أحمد بن عبيد الملقب بأبي عصيدة عن يعقوب بن السكيت . ٠ . وأما رواية أبي بكر ابن الأنباري فعن أبيه القاسم بن محمد بن بشار عن عبدالله بن رستم وأبي جعفر أحمد بن عبيد جميعًا عن ابن السكيت» .

وكان على ظهرها مكتوب

«سمع أبو عبدالله محمد بن عثمان بن بلبل هذا الكتاب إلى آخره بقراءته وقراءة من قرأه عليه وكتب الحسن بن عبدالله السيرافي» .

وكذلك نسخة مكتبة الفاتح باستانبول رقم ٥٤٨٣ من كتاب «المُبْهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة لأبي تَمّام» لابن جنّي والمؤرخة سنة ٤٢٠هـ نقلت من خط محمد بن عثمان بن بلبل صاحب المؤلف .

أبو منصور محمد بن علي بن إبراهيم بن زِبْرِج بن أبي البقاء العَتّابي النحوي المتوفى سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦١م، قال ياقوت :

«كتب الخط المليح مع الصحة والضبط»[١] .

وقال الصفدي :

«كان إمامًا في النحو متصدرًا لإقراء الناس ويكتب خطًا مليحًا صحيحًا»[٢] .

---

[١] ياقوت : معجم الأدباء ١٨ : ٢٥١ .
[٢] الصفدي: الوافي ٤ : ١٥٢ .

جمال الدين محمد بن علي بن خُلَيْد الكاتب المتوفى سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م، قال القفطي:

«شيخٌ فاضلٌ عالمٌ بالسِّيَر والأخبار، كَتَبَ بخطه كثيراً وجَمَعَ عدَّة مجاميع واختصر كتاب "الأغاني" للأصفهاني»[1].

أبو الحسين محمد بن علي السُّمْسماني النحوي المتوفى سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م أحد النحاه المشهورين بمعرفة الأدب واللغة، قال الصفدي:

«كان يكتب خطًا صحيحًا مليحًا، كتب بخطه كثيراً من كتب الأدب وخطه مرغوبٌ فيه»[2].

أبو نصر محمد بن علي السُّمْسماني الكاتب المتوفى سنة ٤٣٤هـ/ ١٠٤٢م، قال الصفدي:

«صاحب الخط المليح كان طبقةً في البغداديين في حسن الخط بعد ابن البَوّاب»[3].

أبو سهل محمد بن علي بن محمد الهَرَوي النحوي اللغوي المتوفى سنة ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م نزيل مصر، وكان نحويًا وله رياسة المؤذنين بجامع عمرو بن العاص، قال القفطي:

«وله خط صحيح يتنافس فيه أهل العلم وكتب الكثير من كتب اللغة والنحو، وكان مفيداً وحَدَّث»[4].

أبو الخطاب محمد بن محمد بن أبي طالب، قال ابن أبي أصيبعة:

«كان متميزاً في الطب وعمله. ورأيت خطه على كتاب من تصنيفه قد

---

١ ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ٦٠.
٢ الصفدي: الوافي ٤ : ١٣٨.
٣ نفسه ٤ : ١٣٨.
٤ القفطي: إنباه الرواه ٣ : ١٩٥.

قرئ عليه، وهو كثير اللحن يدل على أنه لم يشتغل بشيء من العربية. وكان تاريخه لذلك في تاسع شهر رمضان سنة خمسمائة»[1].

أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن مُفَرِّج بن غَطُوس الأنصاري الأندلسي البَلَنْسي الناسخ المتوفى سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م، قال ابن الأبار:

«انفرد في وقته بالبراعة في كتابة المصاحف ونقطها، يقال إنه كتب ألف مصحف ولم يزل الملوك والكبار ينافسون فيها إلى اليوم، وقد كان آلى على نفسه ألا يكتب حرفًا إلا من القرآن، وخَلَفَ أباه وأخاه في هذه الصناعة».

وقال الصَّفَدي:

«أخبرني من لفظه الشيخ الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن الصيّاد الفاسي بصَفَد سنة ست وعشرين وسبعمائة أنه كان له بيت فيه آلة النَّسْخ والرقوق وغير ذلك لا يدخله أحدٌ من أهله، يدخله ويخلو بنفسه وربما قال لي إنه كان يضع المسك في الدواة. وكان مصحفه لا يهديه إلا بمائتي دينار. . . . . **وقد رأيت أنا بخطه مصحفًا** أو أكثر وهو شيء غريب من حسن الوَضْع ورعاية المرسوم، ولكل ضَبْط لون من الألوان لا يُخلّ به: فاللازورد للشدات والجزمات واللَّك للضمّات وللفتحات والكسرات والأخضر للهمزات المكسورة والأصفر للهمزات المفتوحة لا يُخلّ بشيء من ذلك وليس فيه واو ولا ألف ولا حرف ولا كلمة في الحاشية ولا تخريجة، وكأنه متى فَسَد معه شيء أبطل تلك القائمة. وممن سلك هذه الطريقة في المصاحف ابن خَلْدون البَلَنْسي»[2]. [ووصل إلينا بخطه مصحفٌ محفوظ في مكتبة جامعة استانبول برقم A6754 وآخر في المكتبة الأحمدية بتونس كتبه بمدينة بلنسية سنة ٥٦٤]

أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر الحافظ السلامي المتوفى سنة ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م، أحد فقهاء الشافعية وقرأ اللغة والأدب على الخطيب التبريزي، قال ابن الجوزي:

---

[1] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ١ : ٢٥٥.

[2] الصفدي: الوافي بالوفيات ٣ : ٣٥١ - ٣٥٢.

«وخطه في غاية الإتقان والصحة»[١].

وقال ياقوت وعنه الصفدي:

«وكان مع علمه بالحديث ورجاله جَيِّد المعرفة بالأدب صحيح الخط غاية في إتقان الضَّبْط»[٢].

جمال الدين أبو غانم محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أبي جرادة الحلبي عم الصاحب كمال الدين بن عمر المتوفى سنة ٦٢٧هـ/ ١٢٣١م، قال ياقوت:

«كَتَبَ جمال الدين هذا بخطه الكثير وشُغف بتصانيف أبي عبدالله محمد ابن علي بن الحكيم الترمذي، فَجَمَعَ معظم تصانيفه عنده وكَتَبَ بعضها بخطه، وكتب من كتب الزُّهْد والرقائق والمصاحف كثيراً، وكان خطه في صباه على طريقة ابن البَوّاب القديمة ووَهَبَ لأهله مصاحف بخطه. وكان إذا اعتكف في شهر رمضان كَتَبَ مصحفًا أو مصحفين»[٣].

ووصل إلينا بخطه كتاب "المسائل المكنونة" للحكيم الترمذي في دار الكتب المصرية برقم٣٢٨٢ج، و"الفروق" للحكيم الترمذي في مكتبة بلدية الإسكندرية برقم ١٣٥٨٦ج.

الأمير أبو سلامة مُرْشِد بن علي بن مَقْلَد بن نَصْر بن مُنْقِذ المتوفى بشَيْزَر سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م، قال السمعاني في تاريخه:

«رأيت مصحفًا بخطه كتبه بماء الذهب على الطاق الصوري [أي الثياب الصورية] ما رأيت ولا أظن أن الرائين رأوا مثله، فقد جَمَعَ إلى فضائله حُسْن خطه»[٤].

أبو نصر منصور بن المُسَلَّم بن علي بن محمد بن أحمد بن أبي الخَرْجَيْن السَّعْدي الحلبي التميمي المؤدب المعروف بـابن أبي الدُّمَيْك، قال ياقوت:

---

[١] ابن الجوزي: المنتظم ١٠: ١٦٣؛ الصفدي: الوافي ٥: ١٠٥.

[٢] الصفدي: الوافي ٥: ١٠٥.

[٣] ياقوت: معجم الأدباء ١٦: ٣٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٥: ١٥٨.

[٤] ياقوت: معجم الأدباء ٥: ٢٢٦.

«كان أديبًا فاضلا نحويًا شاعرًا له تصانيف وردود على ابن جنّي منها : تتمة ما قصّر فيه ابن جنّي في شرح أبيات الحماسة وديوان شعر وَقَفْت عليه بخطه الرائق فوجدته مشحونًا بالفوائد النحوية، وقد شَرَحَ ألفاظه اللغوية واعتنى بإعرابه فدلّ على تبحره في علم العربية»[١] .

وقال القفْطي :

«صنّفَ كتابًا في الرد على أبي الفتح بن جنّي في «إعراب الحَمَاسة» وهو كتابٌ حسنٌ جيدٌ يدل على تضلع في العربية وجودة عرض، ملكته بخطه»[٢] .

أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضْر الجَواليقي البغدادي صاحب «المُعَرَّب» المتوفى سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م .

كان من كبار أهل اللغة إمامًا في فنون الأدب صادقًا صدوقًا . قال ياقوت :

«كان مليح الخط يتنافس الناس في تحصيله والمغالاة به»[٣] .

وقد وَقَفَ على نسخة من كتاب «القوافي» لمحمد بن يزيد المُبَرِّد بخطه[٤] .

وقال القفْطي :

«مليح الخط كثير الضَّبْط . . . وخطه مرغوب فيه يتنافس في تحصيله والمغالاة له»[٥] .

ووَصَلَت إلينا مجموعةٌ بخطه كتبها سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م، محفوظة الآن في مكتبة الإسكوريال تحت رقم Esc. 1705 وتشتمل على تسعة كتب (رسائل)

---

[١] ياقوت: معجم الأدباء ١٩ : ١٩٤ .
[٢] القفطي: إنباه الرواه ٣ : ٣٢٦.
[٣] ياقوت : معجم الأدباء ١٩ : ٢٠٥.
[٤] نفسه ٨ : ٧٧، وانظر كذلك ١٢ : ٩٦، ١٠٢، ١٧ : ٢٠.
[٥] القفطي: إنباه الرواه ٣ : ٣٣٥.

هي : «أسماء خيل العرب وفرسانها» لابن الأعْرابي ، وكتاب «نَسَب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها» لهشام بن محمد بن السائب الكلبي ، وكتاب«الإبل» للأصْمَعي ، وكتاب الشاء» للأصْمعي أيضًا ، وكتاب «الأمثال» لأبي عكْرِمَة الضَّبِّي وكتاب «ما يُذَكَّر وما يُؤَنَّث من الإنسان ومن اللباس» لأبي موسى الحامض ، وكتاب «نَسَب عدنان وقحطان» للمُبَرِّد ، وكتاب «الأمثال» لمُؤرِّج السدوسي .

وكذلك نسخة من «تفسير غريب القرآن» لأبي بكر السِّجِسْتاني كتبها أيضًا سنة ٤٩٩ هـ محفوظة في مكتبة شستربيتي برقم ٣٠٠٩ .

أبو المظفر نصر بن محمود بن المُعَرِّف أحد تلاميذ موفق الدين بن العَيْن زَرْبي ، قال ابن أبي أصيبعة :

«كان بلمظفر حسن الخط جيد العبارة وكان مغرى بصناعة الكيمياء والنظر فيها والاجتماع بأهلها ، وكتب بخطه من الكتب التي صُنِّفت فيها أشياءكثيرة جدًا وكذلك أيضًا كَتَبَ كثيرًا من الكتب الطبية والحكمية . . . ورأيت خطه فى آخر تفسير الإسكندر لكتاب الكون والفساد لأرسطوطاليس وهو يقول إنه قرأه على [موفق الدين بن العين زربي] وأتْقَن قراءته وتاريخ كتابته لذلك في شعبان سنة أربع وثلاثين وخمسمائة»[1] .

موفق الملك أمين الدولة أبو الحسن هبة الله بن أبي العلاء صاعد بن إبراهيم التلميذ ، قال ابن أبي أصيبعة :

«أوحد زمانه في صناعة الطب وفي مباشرة أعمالها . . . . وكان جيد الكتابة يكتب خطًا منسوبًا وقد رأيت كثيرًا من خطه وهو في نهاية الحسن والصحة»[2] .

ياقوت بن عبدالله الرومي الأصل نزيل الموصل الكاتب الأديب النحوي المتوفى سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م عن سن عالية .

---

[1] ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ٢ : ١٠٨ .
[2] نفسه ١ : ٢٥٩ .

كان واحد عصره في جودة الخط وإتقانه على طريقة ابن البَوّاب. قال ياقوت الحموي: اجتمعت به في الموصل سنة ثلاث عشر وستمائة فرأيته على جانب عظيم من الأدب والفضل والنباهة والوقار وقد أسَنّ وبلغ من الكبر الغاية، ثم قال:

«رأيت كتبًا كثيرة بخطه يتناولها الناس ويتغالون بأثمانها بينها عدةنسخ من «الصِّحاح» للجَوْهَري و«المقامات الحريرية»[1].

وذكر ابن خَلّكان أنه كان مُغْرَمًا بنَقْل «الصِّحاح» للجَوْهري فكتب منه نُسَخًا كثيرة كل نسخة في مجلد واحد، قال:

«رأيت منه عدة نُسَخ وكل نُسْخَة تباع بمائة دينار»[2].

وسَماه حاجي خليفة «كاتب نُسَخ الصِّحاح»[3]

ويحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بمصحف بخطه.

مُهَذّب الدين أبو الدر ياقوت بن عبدالله الرومي المتوفى سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م، قال ياقوت:

«أحد أدباء العصر وشعرائه المجيدين، نشأ ببغداد وحفظ القرآن، وعنى بالتحصيل في المدرسة النظامية، [و] كان حسن الخط والضَّبْط»[4].

أمين الدين أبو زكريا يحيى بن إسماعيل الأندلسي البَيّاسي

أتقن الصناعة الطبية وتميز في العلوم الرياضية، وصل من المغرب إلى مصر وأقام بالقاهرة مدة ثم توجه إلى دمشق.

«كتب بخطه كتبًا كثيرةً جدًا في الطب وغيرها».

---

[1] ياقوت: معجم الأدباء ١٩ : ٣١٢ - ٣١٣.
[2] ابن خلكان: وفيات ٦ : ١١٩.
[3] حاجي خليفة: كشف الظنون ٤ : ٩٧.
[4] ياقوت: معجم الأدباء ١٩ : ٣١١.

ونقل ابن أبي أصيبعة من خطه بعض خبر أبي الفتوح أحمد محمد بن الصلاح[١].

أبو زكريا يحيى بن عَدّي بن حميد بن زكريا المنطقي المتوفى سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٥م قال ابن النديم:

«وإليه انتهت رياسة أصحابه في زماننا. . . قال لي يومًا في الورّاقين، وقد عاتبته على كثرة نَسْخه، فقال: من أي شيء تعجب في هذا الوقت من صبري، قد نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري وحملتها إلى ملوك الأطراف، وقد كتبت من كتب المتكلمين مالا يحصى، ولعهدي بنفسي وأنا أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة وأقل»[٢].

واطّلع ابن النديم على فهرست كتب أرسطوطاليس بخط يحيى بن عَدي ونَقَلَ عنه بقوله:

«كذا قرأت بخط يحيى بن عَديّ في فهرست كتبه»[٣].

يحيى بن عيسى بن علي بن جَزْلَة المتوفى سنة ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م، قال ابن أبي أصيبعة:

«كان من المشهورين في علم الطب وعمله. . . . وله أيضًا نظرٌ في علم الأدب. وكان يكتب خطًا جيدًا، وقد رأيت بخطه عدة كتب من تصانيفه وغيرها تدل على فضله وتعرب عن معرفته، وكان نصرانيًا ثم أسلم»[٤].

أبو محمد يحيى بن محمد الأرزني النحوي المتوفى سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م. قال القفطي:

---

١ ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء ٢ : ١٦٣ – ١٦٤.
٢ ابن النديم: الفهرست ٣٢٢؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ١ : ٢٣٥.
٣ نفسه ٣١٠ – ٣١٤.
٤ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ١ : ٢٥٥.

«كَتَبَ بخطه الكثير وصنَّف، رأيت من تصنيفه بخطه مقدمة في النحو»[١].

وقال ياقوت:

«مليح الخط سريع الكتابة كان يخرج في وقت العصر إلى سوق الكتب ببغداد، فلا يقوم من مجلسه حتى يكتب «الفصيح» لثَعْلَب ويبيعه بنصف دينار ويشترى نبيذًا ولحمًا وفاكهة ولا يبيت حتى يُنْفق ما معه منه»[٢].

أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بـ ابن السكّيت صاحب كتاب «إصلاح المنطق» وغيره المتوفى سنة ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م.

وَصَلَ إلينا بخطه أقدم المخطوطات المؤرخة وهي نسخة من «تاريخ ملوك العرب» لعبد الملك بن قريب الأصْمَعي الذي نسخه ابن السكّيت بخط يمينه في العاشر من شوال سنة ثلاث وأربعين ومائتين، وهي محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس برقم 6726[٣].

يعقوب بن إسحاق الكندي المتوفى نحو سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، قال ابن النديم:

«قرأت في جزء ترجمته ما هذه حكايته: كتاب في ملل الهند وأديانها. نسخت هذا الكتاب من كتاب كتب يوم الجمعة لثلاث خلون من المحرم سنة تسع وأربعين ومائتين، لا أدري الحكاية التي في هذا الكتاب لمن هي، إلا أني رأيته بخط يعقوب بن إسحاق الكندي حرفًا حرفًا»[٤].

أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن خُرَّذاذ النَّجِيْرَمي اللغوي المتوفى سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م، قال القفطي:

«له خط ليس بالجيد في الصورة وهو في غاية الصحة. وللمصريين تنافس في خطه إذا وَقَعَ، ولقد رأيت بخطه نسخة من «ديوان جرير» وقد أبيعت بعشرة دنانير، ورأيت «طبقات الشعراء» لابن سَلام الجُمَحي وقد أبيعت بقرب من ذلك.

---

[١] القفطي: إنباه الرواه ٤: ٣٥.

[٢] ياقوت: معجم الأدباء ٢٠: ٣٤-٣٥.

[٣] راجع مناقشة صحة نسبة هذه النسخة في مقال دي روش Déroche, Fr., « A propos du ms. Arabe 6726 de la Bibliothèque Nationale (Paris) », *REI* LVIII (1990).

[٤] ابن النديم: الفهرست ٤٠٩.

وكنت أحضر حلق الكتب عند بيعها فإذا قال المنادي: كتاب كذا بخط النَّجَيْرَمي رفعت نحوه الأعناق. وأكثر ما تُروى الكتب القديمة في اللغة والأشعار العربية المعروفة وأيام العرب في مصر عن طريقه»[١].

* * *

وكما أشار القدماء إلى الورّاقين والنّسّاخين الذين اشتهروا بجَوْدَة الخط وضَبْطه، أشاروا كذلك إلى من اشتهر بسوء الخط وعدم جودته مثل:

أبو سهل أحمد بن عاصم الحَلْواني، قال ابن النديم:

«يقال إنه كان قريبًا لأبي سعيد السُكَّري وروى كتبه وأخذ عنه، وخَطُّه في نهاية القُبْح إلا أنه من العلماء»[٢].

ورأى ابن النديم بخطه شعر أبي نُواس على معانيه وغريبه نحو ألف ورقة من عمل أبي سعيد السُكَّري[٣].

و**أبو الرجاء محمد بن حرب بن عبدالله الحلبي النحوي**، يقول القفطي:

«رأيت بخطه أجزاءً من كتاب "الكشاف" للزمخشري في تفسير القرآن وفيها سقَمٌ ظاهرٌ»[٤].

ويقول أيضًا:

«رأيت بخطه أوراقًا ذكر فيها رحلته إلى العراق وما يجرى له في حالة الطلب من جَرْيات الأمور، وشاهدت في عبارته بخطه ما يدل على قلّة علمه بهذا الشأن، وقد كانت هذه الأوراق عند الإمام كمال الدين عمر بن أبي جَرَادة الحلبي وهو وَقْفٌ عليه»[٥].

---

[١] القفطي: إنباه الرواه ٤ : ٦٦ - ٦٧.
[٢] ابن النديم: الفهرست ٨٨.
[٣] نفسه ٨٦.
[٤] القفطي: إنباه الرواه ٤ : ١٢١.
[٥] نفسه ٤ : ١٢٠.

وشرف الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عيسى المحدث القرشي الدمشقي الكتبي الناسخ، المتوفى سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٧٩م، قال الصفدي نقلا عن الذهبي:

«لم يكن عليه أُنس المُحَدِّثين وخطه كثير السَّقَم مع حُسنه. . . [و] كان موَرِّرًا كذابًا سَمّاعًا لنفسه وزوَّر»[١].

النَّسّاخون المُحْدَثون

كانت مهنة النَّسْخ منتشرة في العالم العربي وأماكن أخرى إلى منتصف هذا القرن، وكان قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية يمتلء بالعديد منهم. وتحتفظ دار الكتب المصرية بعدد كبير من المخطوطات التي كَتَبَها هؤلاء النَّسّاخون نقلا عن أصول موجودة بالدار أو بالمكتبات الملحقة بها أو بالمكتبة الأزهرية يرجع تاريخ آخرها إلى منتصف الخمسينات من هذا القرن مذكورةٌ كلها في الفهرست الذي أعَدَّه والدي المرحوم فؤاد سيد[٢].

وأشهر هؤلاء النَّسّاخين هم: محمود حمدي النَّسّاخ، و[محمد] محمود عبداللطيف فخر الدين النَّسّاخ، ومحمود نصحي التابعي النَّسّاخ، وحسين فهمي النَّسّاخ، وحسن أفندي رشيد النَّسّاخ، والشيخ حسن زيدان، ومحمود صدقي النَّسّاخ، وجابر صبحي، ومحمد أمين بن عمر الأنصاري، ومحمد قناوي النَّسّاخ، ومحمد فهمي خضر، وعبدالحميد راشد علي، وإبراهيم الطَّبّاخ النَّسّاخ، وإبراهيم بسيوني الطحلاوي، والشيخ مصطفى سيد شجر النَّسّاخ.

---

[١] الصفدي: الوافي بالوفيات ٢ : ٢٣١.

[٢] فؤاد سيد: فهرست المخطوطات ـ نشرة بالمخطوطات التي اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥، ١ ـ ٣، القاهرة ـ مطبعة دار الكتب ١٩٦١ ـ ١٩٦٣.

وقد أشار المستشرق الروسي إغناطيوس كراتشكوفسكي في كتابه الممتع «مع المخطوطات العربية» إلى هؤلاء النُّسّاخين الذين كانوا يسترزقون من النِّساخة أثناء تردده على قسم المخطوطات بالدار في مطلع هذا القرن، يقول:

«وكان زُوّار هذه المكتبة كثيرين نسبيًا بصورة دائمة . . . ويَتَشكَّل نصف هؤلاء الزوّار من الطلبة الشبان والنصف الآخر من النُّسّاخ المحترفين للمخطوطات الذين كانوا يحتلون منضدتين . . . وقد ظهر لي بعد عدة أيام من عملي بالمكتبة أن وجودي كان يستدعي نوعًا من القلق بين النَّسّاخين والخَطّاطين الجالسين على المنضدة إلا أنني لم أعر هذا اهتمامًا. بيد أني في المرة التالية رأيتهم عند دخولي يتهامسون فيما بينهم ثم انفصل منهم أكبرهم سنًا ـ حسب ما يبدو لي ـ واقترب مني قليلا ثم استرسل في كلام كثير طويل وأخذ يُوَضِّح كيف أنهم أناسٌ فقراء وأنهم يحصلون على قوت حياتهم من هذا العمل وحده، أما أنا فأجنبيٌ وأستطيع أن أجد لنفسي عملا آخر وأنهم مستعدون أن يقدِّموا إليّ مكافأةً إذا لم أتسبَّب في حرمانهم من لقمة العيش. وفي البداية لم أفهم حقيقة الأمر لكنني ضحكت فيما بعد عندما علمت الحقيقة وأسرعت لتهدئتهم وأوضحت لهم أن عملي في المخطوطات عملٌ شخصيٌ وليس الغرض منه كسب العيش أو منافستهم في أرزاقهم، ومنذ ذلك الوقت صارت بيننا علاقاتٌ حسنةٌ. وقد كانت غالبيتهم أناسً هادئين متواضعين وكبار في السن. وكانوا عادةً غير مثقفين ونادراً ما يفهمون ما ينسخون، لكن بعضهم كانوا من هواة هذا العمل ويبدو لي أنهم على دراية بالخطوط والنَّسْخ إلا أنه في ذلك الوقت لم يكن لفنهم ميدان كاف، ولعلّهم يمثلون الجيل الأخير لهذه المهنة التي كانت في طريقها إلى الموت»[1].

[1] كراتشكوفسكي: مع المخطوطات العربية ـ صفحات من الذكريات عن الكتب والبشر، القاهرة ـ دار النهضة العربية ١٩٦٩، ٣٤ ـ ٣٥.

ولا شك أنه مع بداية انتشار التصوير الضوئى «الفوتوستات» والتصوير الميكروفلمي قُضي نهائيًا على هذه المهنة التي حفظت لنا تراثنا العربي المكتوب على امتداد أربعة عشر قرنًا ، حيث سمح التصوير الضوئي بتداول صور النُّسَخ الأصلية للمخطوطات العربية بخطوطها الأصلية وبما عليها من تقييدات . كما أن تَطَوُّر طرق حفظ وتسجيل المخطوطات على الأقراص المليزرة CD ROM يقدم لنا تطوراً جديداً لحفظ المخطوطات وتداول صورها ، كذلك فإن نظام طبع المخطوطات بطريقة الفاكسميلي يتيح لنا كذلك نشر المخطوطات القديمة وتداولها بحالتها الأصلية .

المكتبات الإسلامية وهواة الكتب

بدأت المؤلفات الضخمة في فنون العربية وعلومها المختلفة في الظهور منذ أواخر القرن الثاني الهجري بالإضافة إلى ما نَقَلَه المترجمون والنَّقَلَة عن اليونانية والسريانية والسَّنسكريتية في الشرق واللاتينية في الأندلس. وقد حفظ لنا الورَّاق العربي الشهير ابن النَّديم أسماء وموضوعات هذا الإنتاج الفكري الغزير في كتابه «الفهرست» الذي بدأ في تأليفه سنة ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م. كذلك فقد أورد ابن خَيْر الإشبيلي في «فهرسته» قائمةً مُفَصَّلَةً بالكتب الشرقية من مختلف فروع المعرفة التي أُدْخِلَت إلى الأندلس وكذلك الكتب التي أُلِّفَت فيه.

وعَرَفَت حواضرُ الخلافة الإسلامية في دمَشْق وبَغْداد وقُرْطُبَة والقاهرة وكذلك مُدُنٌ أخرى شهيرة مثل: حَلَب والبَصْرَة والمَوْصل والقيروان خزائن الكتب التي كانت تحوي هذه المؤلفات التي تعد السِّجل الحافل لما أنتجه الفكر العربي الإسلامي على امتداد العصور[1].

بَيْتُ الحِكْمَة

ومن أشهر خزائن الكتب التي كانت تُعَدُّ في ذلك الوقت مكتبات عامة تفتح أبوابها لجمهور العلماء والباحثين: «بَيْت الحكْمَة» في بَغْداد الذي بلغ أوْج ازدهاره في زمن المأمون العباسي وجمع لخزانَتها أهم الكتب الموجودة وأمر المترجمين والنَّقَلَة أن ينقلوا إلى العربية أهم المخطوطات اليونانية والسُّريانية. وقد

---

[1] انظر كتاب يوسف العش Eche, Y., *Les bibliothèques arabes publiques et semi - publiques en Mésopotamie, en Syrie et en Egypte au Moyen - Age*, Damas *IFEAD* 1967.

فَقَدَت مكتبة بَيْت الحكْمَة دورها الأكاديمي بعد انتقال مقر الخلافة من بَغْداد إلى سامَرًّا زمن المُعْتَصم وأصبح يُطْلَق عليها « خزانَة المأمون». وظَلَّ العلماءُ يترددون عليها حتى نهاية القرن الرابع الهجرى حيث انعدم ذكرها عند المؤلفين المتأخرين، وأضيفت في أغلب الظن إلى أحد مكتبات الخلفاء أو تقاسمها سلاطين السَّلاجقَة بعد ذلك وعَرَفَت كتبُها طريقها إلى مكتبات جديدة [١]، فنحن نعلم أن بعض مَقتنيات بيت الحكْمَة التي تحمل علامة المأمون العباسي أهديت في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي إلى الطبيب المؤرخ ابن أبي أُصَيْبِعَة في الوقت الذي كان يؤلف فيه كتابه «عُيون الأنْباء» [٢].

دارُ العلْم

وأعقب مرحلة بَيْت الحكمة ظهور «دار العلْم» وهي مؤسسة ذات طبيعة شبه رسمية استعادت التقاليد الهللينستية في الاهتمام بالعلوم الطبيعية، كانت مهمتها نشر الدعاية السرية للشيعة والإسماعيليين بوجه خاص. وقد وُجدَت دور للعلم في كل من المَوْصل والبَصْرَة ورامَهُرْمُز، وإن كانت أشهر هذه الدور هي «دار العلم» الفاطمية التي أنشئت في القاهرة في زمن الحاكم بأمر الله في عام ٣٩٥/ ١٠٠٥م [٣]. يقول الأمير المختار عزّ الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد المُسَبِّحي في تاريخه الكبير:

> «وفي يوم السبت هذا، يوم السبت العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة فُتحَت الدار الملقَّبة بدار الحكْمَة بالقاهرة. وجلس فيها الفقهاء وحُملت الكتب إليها من خزائن القصور المعمورة. ودَخَلَ الناس إليها ونَسَخَ كل من التمس نَسْخ شيء مما فيها ما التمسه، وكذلك من رأى قراءة

---

١ Eche, Y., *op .cit.*, pp. 27 - 60.

٢ ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ١ : ١٨٧ (طبعة موللر ١٨٨٤).

٣ Eche, Y., *op. cit.*, pp. 67 - 159 ؛ أيمن فؤاد سيد: «المدارس فى مصر قبل العصر الأيوبى» فى كتاب تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية، القاهرة ـ تاريخ المصريين ٥١، ١٩٩٢، ١٠٤ ـ ١٠٩.

> شيء مما فيها. وجلس فيها القُرّاء والمُنَجّمون وأصحاب النحو واللغة والأطباء، بعد أن فُرشَت هذه الدار وزُخْرفت وعُلِّقت على جميع أبوابها وممرّاتها الستور، وأقيم قُوّامٌ وخُدّامٌ وفَرّاشون وغيرهم رُسِمُوا بخدمتها. وحَصَل في هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التى أمر بحملها إليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة ما لم يُرَ مثله مجتمعًا لأحد قطُّ من الملوك، وأباح ذلك كلّه لسائر الناس على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها. فكان ذلك من المحاسن المأثورة أيضًا التى لم يسمع بمثلها من إجراء الرزْق السَّنّي لمن رُسمَ له بالجلوس فيها والخدمة لها من فقيه وغيره، وحَضَرَها الناس على طبقاتهم فمنهم من يحضر لقراءة الكتب، ومنهم من يحضر للنَسْخ، ومنهم من يحضر للتَعَلُّم. وجُعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر والأقلام والورق والمحابر، وهي الدار المعروفة بمختار الصّقلبي»[1].

و«دار العلم» التي أسَّسَها بالمَوْصل أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي الشافعي المتوفى سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م، قال ياقوت الحموي نقلا عن أبي علي بن أبي الزّمْزام:

> «وكانت له ببلده دار علم قد جَعَلَ فيها خزانة كتب من جميع العلوم وَقْفًا على كل طالب للعلم، لا يُمْنَع أحدٌ من دخولها إذا جاءها غريبٌ يطلب الأدب وإذا كان مُعْسراً أعطاه ورَقًا وورقًا، تُفْتَح في كل يوم ويجلس فيها إذا عاد من ركوبه، ويجتمع إليه الناس فَيُمْلي عليهم من شعره وشعر غيره ومصنَّفاته مثل الباهر وغيره من مصنفاته الحسان، ثم يُمْلي من حفظه من الحكايات المستطابة، وشيئًا من النوادر المؤلّفة وطَرَفًا من الفقه وما يتعلّق به»[2].

---

١ المسبحي: نصوص ضائعة من أخبار مصر ٢٢؛ المقريزي: مسودة المواعظ والاعتبار ٣٠٠ - ٣٠١، الخطط١ : ٤٨٥ - ٤٨٦ واتعاظ الحنفا ٢ : ٥٦.

٢ ياقوت: معجم الأدباء ٧ : ١٩٣؛ الصفدي: الوافي ١١ : ١٣٨.

كما عمل القاضي ابن حبَّان المتوفى سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م في مدينة نيسابور داراً للعلم وخزانة كتب ومساكن للغرباء الذين يطلبون العلم وأجرى لهم الأرزاق، ولم يكن يسمح بإعارة الكتب خارج الخزانة [١] .

وأنشأ أبو علي بن سَوَّار ـ أحد رجال حاشية عضد الدولة البويهي المتوفى سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م ـ دار كتب في مدينة رامهرمز على شاطئ بحر فارس، كما بنى داراً أخرى بالبَصْرَة، يقول المقدسي :

«والداران جميعًا اتخذهما ابن سَوّار وفيهما إجراء على من قصدهما ولزم القراءة والنَّسْخ، إلاأن خزانة البصرة أكبر وأعمر وأكثر كتبًا، وفي هذه أبداً شيخٌ يُدْرَس عليه الكلام على مذهب المعتزلة» [٢] .

وأنشأ الوزير أبو نصر سابور بن أرْدَشير بن فيروز به المتوفى سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م أيضًا دار علم بالكَرْخ، يقول الصَّفَدي :

«وكان قد ابتاع في سنة إحدى وثلاث مائة داراً بين السورين وسماها «دار العلم» وحمل إليها من الدفاتر ما اشتمل على سائر العلوم والآداب ووقف عليها دار الغَزْل ورتّب فيها قُوّامًا وخُزّانًا. وردَ مراعاتها إلى أبي الحسين ابن الشبيه وأبي عبدالله البطحاني العلويّين، ولم يتعرّض إليهما أحد بعد تغيير أمره إلى أن ولي الوزارة بنو عبدالرحيم، فأخذوا من أحاسنها شيئًا كثيراً. وذُكر أنه كان فيها عشرة آلاف مجلدة من أصناف العلوم، وكان فيها مائة مصحف بخطوط بني مُقْلَة، ولمّا وقع بالكرخ بعد هروب أهله في الجفلة مع البساسيري وقدوم طغرلبك إلى بغداد احترقت دار العلم سنة إحدى وخمسين وأربع مائة، وجاء الكُنْدَري فأخذ خيار كتبها ونُهب البعض الآخر الباقي، وهذه هي التي أشار إليها أبو العلاء المعرّي في قصيدته اللاميّة، فقال :

وغَنّت لنا في دار سابور قَيْنَة ... من الوُرْق مطراب الأصائلِ ميهال [١] .

---

[١] آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١٩٤ .

[٢] المقدسي : أحسن التقاسيم ٤١٣ .

[٣] الصفدي : الوافي بالوفيات ١٥ : ٧٣ .

كما كانت «دار العلم» بطرابلس من أغنى دور العلم بالكتب النفيسة التي تَفَرَّقَت ونُهِبت في وقت خروج الفرنج إلى الشرق الإسلامي، فروى ابن الفرات في حوادث سنة ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م نقلا عن الشيخ يحيى بن أبي طَيّ حميد النجار الغساني الحلبي ما صيغته:

«كان في طرابلس دار للعلم ولم يكن في جميع البلاد مثلها كثرةً وحسنًا وجودةً، وقال حدثني أبي قال: حدثني شيخ من أهل طرابلس قال: كنت مع فخر الملك بن عَمّار صاحب طرابلس وهو في شَيْزَر وقد وصله أخذ طرابلس فأغمي عليه وأفاق ودموعه مستفيضة وقال: والله ما أسفي على شيء كأسفي على دار العلم فإن فيها ثلاثة آلاف ألف ألف كتاب كلها في علم الدين والقرآن والحديث والأدب، وقال: إن بها خمسون ألف مصحفًا وأن فيها عشرين ألف تفسير لكتاب الله عزّ وجل. قال أبي وكانت هذه دار العلم من عجائب الدنيا وكان بنو عَمّار قد عنوا بها العناية العظيمة، كان فيها مائة وثمانون ناسخًا تنسخ بالجراية والجامكية ومنهم ثلاثون نفسًا لا يفارقونها ليلا ولا نهارًا، وكان لهم في جميع البلاد من يشتري لهم الكتب المنتخبة، وكانت طرابلس في أيام بني عَمّار قد صارت جميعها دار علم وقصدها الفضلاء من سائر الأقطار ونفقت على بني عَمّار سائر العلوم وقصدهم الناس بها لا سيما علم الإمامية فإنهم أحيوه وأحبوا أهله قال: ولما دخل الفرنج إلى طرابلس وافتتحوها أحرقوا دار العلم، وكان السبب في إحراقهم لها أن بعض القسوس - لعنهم الله تعالى - لما رأى تلك الكتب هالته واتفق أنه وقع في خزانة المصاحف الكرام فمَدَّ يده إلى مجلد فإذا هو مصحف ثم إلى آخر فرآه كذلك ثم إلى آخر فوجده مصحفًا حتى اعتبر عشرين مجلدًا، فقال كل ما في هذه كل ما في هذه الدار هو قرآن المسلمين، فلذلك أحرقوها وتَخَطَّف الفرنج - لعن الله من مضى منهم وخزل من بقي منهم - أشياء من الكتب وهي التي خرجت إلى بلاد المسلمين، وهدموا ما فيها من المساجد وتَحَوَّلوا على قتل جميع من فيها من المسلمين»[1].

[1] ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك (مخ. ڤيينا رقم ٨١٤) ١: ٣٨و-٣٨ظ.

المكتبات وخزائن الكتب

تعتبر «خزانة كتب القصر الفاطمي بالقاهرة» التي كانت تحتوي على أكثر من ستمائة ألف مجلد أشهر المكتبات في العصر الإسلامى، ويقول عنها المؤرخ الشيعى يحيى بن أبي طيّ أنها

«من عجائب الدنيا ويقال إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر»[١].

ويُحَدِّثنا المؤرخ المُسَبِّحي في حوادث سنة ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م عن بعض ما كانت تَزْخَر به هذه الخزانة يقول:

«وذُكِرَ عند العزيز بالله «كتاب العَيْن» للخليل بن أحمد، فأمر خُزّان دفاتره فأخرجوا من خزانته نيفًا وثلاثين نسخة من «كتاب العَيْن» منها نسخة بخط الخليل بن أحمد. وحَمَلَ إليه رجلٌ نسخة من كتاب «تاريخ الطَّبري» اشتراها بمائة دينار، فأمر العزيز الخُزّان فأخرجوا من الخزانة ما ينيف عن عشرين نسخة من «تاريخ الطبري» منها نسخة بخطه. وذُكِرَ عنده كتاب «الجَمْهَرَة» لابن دُرَيْد فأخْرَجَ من الخزانة مائة نسخة منها»[٢].

وكان صاحب خزانة كتب العزيز بمصر والمتولى لعرضها هو أبو عبدالله محمد بن إسحاق الشَّابُشْتى صاحب كتاب «الديارات» المتوفى سنة ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م[٣].

ويَذْكُر صاحب «الذخائر والتحف» أن

«عدَّة الخزائن التي برَسْم الكتب في سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة، خزانة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة وأن الموجود فيها

---

[١] المقريزي: الخطط ١ : ٤٠٩.

[٢] المسبحي: نصوص ضائعة من أخبار مصر ١٧؛ المقريزي: الخطط ١ : ٤٠٨ ومسودة المواعظ والاعتبار ١٤٠ – ١٤١

[٣] ياقوت: معجم الأدباء ١٨ : ١٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢ : ١٩٤، ٢٢ : ١٧٤.

من جملة الكتب المخرجة في شدة المستنصر ألفان وأربعمائة خَتْمة قرآن في رَبْعات بخطوط منسوبة زائدة الحسن محلاة بذهب وفضة وغيرهما، وأن جميع ذلك كله ذَهَب فيما أخذه الأتراك في واجباتهم لم يبق في خزائن القصر البَرَّانية منه شيء بالجملة دون خزائن القصر الداخلة التي لا يُتَوَصل إليها . ووجدت صناديق مملوءة أقلامًا مبرية من براية ابن مُقْلَة وابن البَوَّاب وغيرهما»[1] .

ويضيف صاحب كتاب «الذخائر والتحف» كذلك أنه كان بمصر في العشر الأول من المحرم سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م، قال :

«فرأيت فيها خمسة وعشرين جَمَلا مُوَقَّرَةً كُتُبًا محمولة إلى دار الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي فسألت عنها فعرفت أن الوزير أخذها من خزائن القصر هو والخطير بن المُوَفَّق في الدين بإيجاب وجبت لهما عما يستحقانه وغُلمانهما من ديوان الحلبيين، وأن حصة الوزير أبي الفرج قُوِّمَت عليه بخمسة آلاف دينار وكانت تساوي أكثر من مائة ألف دينار نُهِبَت بأجمعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة بن حَمْدان من مصر في صفر من السنة المذكورة»[2] .

ويقدم لنا ابن الطُوَيْر وَصْفًا مثيرًا للإعجاب لتنظيم هذه الخزانة يقول :

«وتحتوي هذه الخزانة على عدَّة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم [يعني أحد مجالس المارستان العتيق] والرفوف مُقَطَّعَة بحواجز وعلى كل حاجز بابٌ متقن بمفصلات وقفل، وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائة ألف كتاب من المجلدات ويسير من المجردات؛ فمنها في الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث النبوي والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء من كل صنف النسخة والعشرة، ومنها النواقص التي

---

[1] الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٦٢؛ المقريزي : الخطط ١ : ٤٠٨ ومسودة المواعظ والاعتبار ١٤٠ واتعاظ الحنفا ٢ : ٢٩٤.

[2] المقريزي : الخطط ١ : ٤٠٨ - ٤٠٩ واتعاظ الحنفا ٢ : ٢٩٤ - ٢٩٥.

ما تُمِّمَت، كل ذلك تترجمه ورقة ملصقة على باب كل خزانة وما فيها. والمصاحف الكريمة في كل مكان فيها فوقها، ومنها من الدروج بخط ابن مُقْلَة ومن يليه ومن يماثله كابن البَوَّاب وغيره، وهي التي تولّى بيعها ابن صَوْرَة في أيام الملك الناصر صلاح الدين»[١].

وقد ظَلَّت هذه الخزانة موجودة حتى استيلاء صلاح الدين على مقاليد السلطة في مصر سنة ٥٦٧هـ/ ١٠٧٢م، فأمر ببيعها وخَصَّصَ لذلك يومين في الأسبوع واستمر ذلك لمدة عشر سنوات وتولى بيعها ابن صَوْرَة دلال الكتب.

وقد وَصَلَت إلينا بعض كتب هذه الخزانة وعليها ما يفيد وَقْفَها على خزانة كتب الفاطميين منها كتاب «التعليقات والنوادر» لأبي علي الهَجَري في دار الكتب المصرية برقم ٣٤٢ لغة و«حَذْف من نَسَب قُرَيْش» لمُؤَرِّج السَّدوسي بزاوية تامكرود بالمغرب والجزء الأول من كتاب «الحماسة» اختيار أبي تمام حبيب ابن أوس الطائي وتفسير أحمد بن فارس في لا له لي باستانبول برقم ١٧١٦، وكل هذه النسخ كتبت «برسم الخزانة السلطانية المولوية الملكية الظافرية» نسبة إلى الخليفة الظافر بالله الفاطمي المتوفى سنة ٥٤٩هـ.

ويذكر ابن أبي طَيّ الذي أورد خبر بيع خزانة كتب الفاطميين في زمن صلاح الدين الأيوبي

«أنها كانت تحتوي على ألف ألف وستمائة ألف كتاب وكان فيها من الخطوط المنسوبة شيء كثير»[٢].

---

[١] ابن الطوير: نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ١٢٦ – ١٢٨؛ المقريزي: مسودة المواعظ والاعتبار ١٣٨ – ١٣٩ والخطط ١ : ٤٠٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى ١ : ٤٦٧.

[٢] أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين ١ : ٥٠٧؛ الصفدي: الوافي بالوايات ١٧ : ٦٨٨؛ المقريزي: مسودة المواعظ والاعتبار ١٣٩ – ١٤٠ والخطط ١ : ٤٠٩.

ورغم ما يبدو على هذا الرقم من مبالغة إلا أنه يدل على عظم حجم هذه المكتبة وما احتوت عليه من المجلدات، خاصةً وأن معاصراً لصلاح الدين هو العماد الكاتب الأصفهاني يذكر أن خزانة الفاطميين كانت مشتملةً على قريب مائة وعشرين ألف مجلدة فيها من الخطوط المنسوبة ما اختطفته الأيدي وأنه نَقَلَ منها ثمانية أحمال إلى الشام[1]. ولكن المقريزي يُعَلِّق على ما أورده ابن أبي طَيّ بأنه ليس ببعيد حيث ذكر غير واحد من المؤرخين أن القاضي الفاضل أوْقَفَ في مدرسته التي بدَرْب مُلُوخيا مائة ألف مجلدة أخذها من جملة خزانة الكتب التي كانت بالقصر[2].

ويصف ابن أبي طَيّ الطريقة التي حصل بها القاضي الفاضل على هذه الكتب بقوله:

«وحصل للقاضي الفاضل قَدْرٌ منها كبير حيث شُغفَ بحبها وذلك أنه دَخَل إليها واعتبرَها، فكل كتاب صَلُح له قَطَعَ جلده ورماه في بركة كانت هناك، فلما فَرَغَ الناسُ من شراء الكتب اشترى تلك الكتب التي ألقاها في البركة على أنها مخرومات ثم جمعها بعد ذلك، ومنها حَصَّلَ ما حَصَّلَ من الكتب، كذا أخبرني جماعةٌ من المصريين منهم الأمير شمس الخلافة موسى ابن محمد»[3].

فقد كان للقاضي الفاضل هوىً في تحصيل الكتب، كما يقول الصَّفَدي، وكان عنده زهاء مائتي ألف كتاب من كل كتاب نُسَخ[4]. وكان يقتني الكتب من كل فن ويجتلبها من كل جهة وله نُسّاخٌ لا يفترون ومجلدون لا يسأمون حتى بلغ

---

١ أبو شامة: الروضتين ١ : ٥٠٨.
٢ المقريزي : مسودة المواعظ والاعتبار ١٤٠ والخطط ١ : ٤٠٩.
٣ أبو شامة : الروضتين ١ : ٥٠٧؛ الصفدي: الوافي ١٧ : ٦٨٨.
٤ الصفدي : الوافي ١٨ : ٣٣٦.

عدد كتبه قبل وفاته بعشرين سنة مائة ألف كتاب وأربعة عشر ألف كتاب [١]. وكان لخزانة كتب المدرسة الفاضلية فهرس لكتبها رآه القفطي واطّلع عليه [٢].

وقد ذهبت مكتبة القاضي الفاضل الموجودة في مدرسته وتَفَرَّقَت في نهاية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، يقول المقريزي في سبب ذهابها:

«وكان أصل ذهابها أن الطلبة التي كانت بها لما وَقَعَ الغلاء بمصر في سنة أربع وتسعين وستمائة - والسلطان يومئذ الملك العادل كَتْبُغا المنصوري - مَسَّهُم الضُّرُّ فصاروا يبيعون كل مجلد برغيف خبز حتى ذهب معظم ما كان فيها من الكتب، ثم تداولت أيدي الفقهاء عليها بالعارية فَتَفَرَّقَت. وبها الآن مصحف قرآن كبير القدر جدًا مكتوب بالخط الأول الذي يعرف بالكوفي تسميه الناس مُصْحَف عثمان بن عَفّان، ويقال إن القاضي الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو في خزانة مفردة بجانب المحراب من غربيه وعليه مهابة وجلالة» [٣].

كذلك فقد كان للمكتبة التي كَوَّنَها الخلفاء الأمويون في قُرْطُبَة بالأندلس شهرة كبيرة. وقد شرع في تكوين هذه المكتبة الخليفة الحكم الثاني المستنصر واستعان في ذلك بوكلاء ودلالين انتشروا في العالم الإسلامي يجمعون له الكتب، حتى بَلَغَ ما احتوت عليه هذه الخزانة أكثر من أربعمائة ألف مجلد. وكان الفهرس المشتمل على عناوين كتبها وأسماء مؤلفيها مُكَوَّنًا من أربع وأربعين كُرَّاسَة كل كُرَّاسَة منها تشتمل على خمسين ورقة.

يقول ابن خلدون والمَقَّري في وَصْف الحَكَم المستنصر ومكتبته:

«كان محبًا للعلوم، مُكْرِمًا لأهلها، جَمّاعًا للكتب في أنواعها بما لم يجمعه أحد من الملوك قبله، قال أبو محمد بن حزم: أخبرني تليد الخصيّ - وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان - أن عدد الفهارس التي فيها

[١] ابن العماد: شذرات الذهب ٤ : ٣٢٥.

[٢] القفطي: إنباه الرواه ٣ : ١٨٧.

[٣] المقريزي: الخطط ٢ : ٣٦٦.

تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة، وفى كل فهرسة خمسون ورقة، ليس فيهاإلا ذكر أسماء الدواوين لا غير، وأقام للعلم والعلماء سوقًا نافقة جُلبَت إليها بضائعه من كل قطر. ووفد على أبيه أبو علي القالي صاحبُ كتاب «الأمالى» من بغداد فأكرم مثواه، وحَسُنت منزلته عنده، وأورث أهل الأندلس علمه، واختص بالحَكَم المستنصر واستفاد علمه؛ وكان يبعث في شراء الكتب إلى الأقطار رجالا من التجار، ويرسل إليهم الأموال لشرائها، حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه، وبعث فى كتاب «الأغاني» إلى مصنفه أبي الفرج الأصفهاني، وكان نسبه في بني أمية، وأرسل إليه فيه بألف دينار من الذهب العين، فبعث إليه بنسخة من قبل أن يخرجه إلى العراق، وكذلك فعل مع أبي بكر الأبهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبدالحكم، وأمثال ذلك. وجمع بداره الحُذّاق في صناعة النَسْخ والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد، فأوعى من ذلك كله، واجتمعت بالأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده، إلا ما يُذْكر عن الناصر العباسي ابن المستضيء. ولم تزل هذه الكتبُ بقصر قُرْطُبة إلى أن بيع أكثرها في حصار البربر، وأَمَرَ بإخراجها وبيعها الحاجبُ واضح من مَوالي المنصور بن أبي عامر، ونهب ما بقى منها عند دخول البربر قرطبة واقتحامهم إياها عنوة»[١].

كما يقول المراكشي عنه أيضًا:

«جَمَعَ بقصره الحُذّاق في صناعة النَّسْخ والمَهَرَة في الضَّبْط والمجيدين في التجليد.... واجتمعت له بالأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ومن بعده، وقَلّما يوجد كتابٌ من خزائنه إلا وله فيه قراءة أو نَظَر ويكتب فيه نَسَب المؤلِّف ومولده ووفاته، ويأتى من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد إلا عنده»[٢].

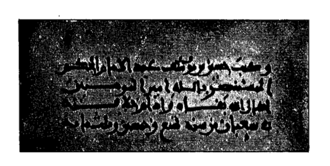
---

١ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ١٠٠؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ٤ : ١٤٦؛ المقري: نفح الطيب ١ : ٣٨٥ - ٣٨٦ والتزمت بنص المقري. وراجع: Wasserstein, D., « The Library of al-Ḥakam II al-Mustanṣir and the Culture of Islamic Spain », *MME* V (1990- 1991), pp. 99-105.

٢ المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، القاهرة ١٩٦٣، ٦٢.

ومن بين كتب هذه الخزانة تحتفظ خزانة القرويين بفاس بنسخة من «المختصر في الفقه» لأبي مصعب أحمد بن أبي بكر القاسم بن الحارس الزُّهري كتبه حسين ابن يوسف للحكم المستنصر سنة ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م، وهو محفوظ بها برقم ٨٧٤ وجاء فى آخره :

«وكتب حسين بن يوسف عبدالإمام الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وأدام خلافته في شعبان من سنة تسع وخمسين وثلثمائة»[١] .



خاتمة نسخة «المختصر في الفقه» المكتوبة لخزانة الحكَم المستنصر

وقد ضاع كل أثر لهذه المكتبة الضخمة بعد سقوط غرناطة، خاصة بعد أن أمر الكاردينال سيزنيروس بإحراق كل الكتب المكتوبة باللغة العربية فى الميدان العام بغرناطة[٢] .

وكانت خَزَائن الكتب في مَشْرق العالم الإسلامي كذلك غنية بالكتب والنوادر. وقد زار ياقوت الحَمَوي مدينة مَرْو في مطلع القرن السابع الهجري

---

١ Lévi- Provençal, E., « Un manuscrit de la bibliothèque du calife al-Ḥakam II », *Hespéris* XVIII (1934(, pp. 198-200

٢ خوليان ريبيرا : المكتبات وهواة الكتب فى أسبانيا الإسلامية (ترجمة جمال محرز)، مجلة معهد المخطوطات العربية ٤ (١٩٥٨)، ٨٨.

وأقام بها ثلاثة أعوام (٦١٣-٦١٦هـ) ووصف ما بها من خزائن الكتب، يقول:

«ولولا ماعرا من ورود التتر إلى تلك البلاد وخرابها لما فارقتها إلى الممات لما في أهلها من الرِّفد ولين الجانب وحُسْن العشْرَة وكثرة كُتُب الأصول المتقنة بها. فإني فارقتها وفيها عشر خزائن للوقف لم أر في الدنيا مثلها كثرة وجودة، منها خزانتان في الجامع إحداهما يقال لها العزيزية وقفها رجلٌ يقال له عزيز الدين أبو بكر عتيق الزنجاني أو عتيق بن أبي بكر وكان فُقّاعيًا للسلطان سنْجر وكان في أول أمره يبيع الفاكهة والريحان بسوق مَرْو ثم صار شرابيًا له وكَانَ ذا مكانة منه، وكان فيها اثنا عشر ألف مجلدًا أو ما يقاربها.

والأخرى يقال لها الكمالية لا أدري إلى من تنسب وبها خزانة شرف الملك المستوفي أبي سعد محمد بن منصور في مدرسته، ومات المستوفي هذا في سنة ٤٩٤ وكان حنفي المذهب. وخزانة نظام الملك الحسن بن إسحاق في مدرسته، وخزانتان للسمعانيين، وخزانة أخرى في المدرسة العبيدية، وخزانة لمجد الملك أحد الوزراء المتأخرين بها، والخزائن الخاتونية في مدرستها، والضميرية في خانكاه هناك وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد وأكثر بغير رهن تكون قيمتها مائتي دينار فكنت أرتع فيها وأقتبس من فوائدها وأنساني حبها كل بلد وألهاني عن الأهل والولد. وأكثر فوائد هذا الكتاب وغيره مما جمعته فهو من تلك الخزائن» [1].

وأضاف ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» أنه شاهد بمدينة مَرْو نسخة من «تهذيب اللغة» للأزهري بخطه عند بني السَّمْعاني، وكَتَب منها نسخة وأحضرها في صحبته من خراسان [2]، وذكر القفْطي أن هذه النسخة ذَهَب خبرها في وَقْعة التتر سنة سبع عشرة وستمائة [3]. كما ذكر ياقوت أن أبا الفتح محمد بن سعد بن محمد بن محمد الدِّيباجي المَرْوَزي النحوي المتوفى سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م

[1] ياقوت: معجم البلدان ٤: ٥٠٩ - ٥١٠.
[2] ياقوت: معجم الأدباء ١: ٢٢٦.
[3] القفطي: إنباه الرواه ١: ٢٢٦.

«كان يَنْظُر في خزانة الكتب التي بالجامع الأكبر بمَرْو»[١]، وأنه رأى في وقف هذا الجامع فهرس كتب أبي الرَّيْحان البيروني في نحو الستين ورقة بخط مكتنز[٢]. كما أنه عندما وَرَدَ إلى مَرْو نظر في كتاب «المُذَيّل» للسمعاني وقد ألحق فيه السمعاني بخطه في تضاعيف السطور بخط دقيق:

«قرأت بخط والدي - رحمه الله - سألت المبارك ابن الفاخر عن مولده فقال: ولدت سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة»[٣].

كذلك فقد وَقَعَ له بمَرْو كتاب «تمام الفصيح» لأحمد بن فارس بخطه وقد كتب فى آخره:

«وكَتَبَ أحمد بن فارس بن زكرياء بخطه في شهر رمضان سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة بالمحمدية»[٤].

وقد نقل ياقوت نسخة عنه في سنة ٦١٦هـ وَصَلَت إلينا وهي محفوظة الآن في مكتبة شستر بيتي بدبلن برقم 3999₂ ونشرها آربري Arbery بالتصوير في لندن سنة ١٩٥١.

مكتبات المدارس

ومع ظهور السَّلاجقَة وانتشار المدارس كمؤسسة سُنِّيَّة تعمل على تدريس الفقه على المذاهب الأربعة ولمحاربة الفكر الشيعي، وكذلك دور الحديث التي تَخَصَّصَت في تدريس الحديث النبوي، حَلَّت مكتبات المدارس في الشرق محل مكتبات قصور الخلفاء ودور العلم والحكمة. وأهم هذه المدارس سلسلة المدارس النِّظامية التي أنشأها الوزير السَّلْجوقي نظام المُلْك وكذلك المدرسة

---

[١] السيوطي: بغية الوعاة ٤٥.
[٢] ياقوت: معجم الأدباء ١٧ : ١٨٥؛ السيوطي: بغية الوعاة ٢١.
[٣] نفسه ١٧ : ٥٤ - ٥٥، ١٦٣، ٢٦٩.
[٤] نفسه ٤ : ٨٢ و معجم البلدان ٤ : ٤٣٠ - ٤٣١. وقد استدل ياقوت من هذه النسخة على تأخُّر وفاة ابن فارس على هذه السنة.

المستنصرية في بَغْداد، أما أوَّل دار حديث فهي دار الحديث النورية التي أنشأها في دمشق السلطان نور الدين محمود سنة ٥٥٧هـ/ ١٠٦٢م[١].

ويصف ابن الفُوَطي خزانة الكتب التي كانت بالمدرسة المستنصرية التي شرع في بنائها الخليفة العباسي المستنصر بالله عام ٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م وافتتحت عام ٦٣١هـ/ ١٢٣٤م قائلا:

«ونُقل في هذا اليوم [الاثنين ١٥ جمادى الآخرة سنة ٦٣١] إلى المدرسة من الرَّبعات الشريفة والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والأدبية ما حَمَلَهُ مائة وستون حَمَّالا [٢] وجعلت في خزانة الكتب، وتَقَدَّم إلى الشيخ عبدالعزيز شيخ رباط الحريم بالحضور بالمدرسة وإثبات الكتب واعتبارها، وإلى ولده العَدْل ضياء الدين أحمد الخازن بخزانة كتب الخليفة التي في داره أيضًا، فحضر واعتبرها ورتَّبها أحسن ترتيب مُفَصَّلا لفنونها ليَسْهُل تناولها ولا يتعب مناولها»[٣].

أما عبدالرحمن الإربلي فيصف الخليفة المستنصر بالله واهتمامه بالكتب بقوله:

«إنه لم يزل من أول أمره ومبدأ عمره متشاغلا بالعلوم الدينية والأدبية عاكفًا على نَقْل الكتب حريصًا على ذلك مواظبًا عليه، حَسَن الخَط صحيح الضَّبْط. ومن محبته للعلوم أنشأ خزانة كتب بشريف حضرته ومقدس سترته جَمَعَ فيها من أنواع العلوم على اختلافها وتباينها وائتلافها بالأصول المضبوطه والخطوط المنسوبة ما جاوز حَدَّ الكثرة»[٤].

---

[١] راجع Pedersem, I., and Makdisi, G., *EI*[2] art. *Madrasa*, V. p. 1120, Makdisi G., *The Rise of Colleges - Institutions of Learning in Islam and the West*, Edinbergh 1981.

[٢] في خلاصة الذهب المسبوك ٢٨٨: مائتين وتسعين حملا سوى ما نقل إليها بعد ذلك.

[٣] ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ٥٤.

[٤] الإربلي: خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ٢٨٦.

وكان من بين كتب هذه الخزانة نسخةٌ من «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي في أربعة عشر مجلدًا بخطه، ونسخة موقوفة من «مُسْنَد» الإمام أحمد بن حَنْبَل تقع في تسعة عشر مجلدًا، ذكر ذلك حاجي خليفة في «كشف الظنون»[١].

ووَضَعَ هجوم المغول على بغداد وسقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م نهاية للعديد من خزائن الكتب ببغداد وضاع معها علم كثير، يقول ابن خلدون في وصف واقعة التتر:

«. . . . واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يبلغه الوصف ولا يحصره الضَّبْط والعَدّ، وأُلقيت كتب العلم التي كانت بخزائنهم جميعًا في دِجْلَة»[٢].

وباستيلاء صلاح الدين على السلطة في مصر عرفت المدارس طريقها إليها وحَلَّت محل خزانة كتب الفاطميين ودار العلم الفاطمية وكذلك الجامع الأزهر الذي لم تعد إليه صفته التعليمية إلا في عام ٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م في زمن الظاهر بيبرس، يقول القلقشندي وهو يكتب في مطلع القرن التاسع الهجري:

«أما الآن فقد قَلَّت عناية الملوك بخزائن الكتب اكتفاءً بخزائن كتب المدارس التي ابتنوها من حيث أنها بذلك أَمَسّ»[٣].

وهكذا ظَلَّت المدارس في مصر وأَرْوِقَة الأزهر بعد إعادة افتتاحه تحتفظ بهذه الكتب وتضيف إليها ما أنتجه العلماء المسلمون من مؤلفات[٤]. كما كانت هناك خزانة للكتب بقلعة الجبل ـ مقر حكام مصر منذ الدولة الأيوبية ـ ولكن حريقًا وقع بها في سنة ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م أتلف شيئًا كثيرًا منها، يقول المقريزي:

«وقع بها الحريق يوم الجمعة رابع صفر سنة إحدى وتسعين وستمائة فتلف بها من الكتب في الفقه والحديث والتاريخ وعامة العلوم شيئًا كثيرًا جدًا كان

---

[١] حاجي خليفة: كشف الظنون ٢: ١١٩، ٥: ٥٣٤.

[٢] ابن خلدون: العبر ٣: ٥٣٧؛ القلقشندي: صبح ١: ٤٦٦ وانظر السيوطي: المزهر ١: ٩٧.

[٣] القلقشندي: صبح الأعشى ١: ٤٦٧.

[٤] أيمن فؤاد: المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي ١٢٠ – ١٢٥.

من ذخائر الملوك، فانتهبها الغلمان وبيعت أوراقًا محرقةً ظَفَرَ الناسُ منها بنفائس غريبة ما بين ملاحم وغيرها وأخذوها بأبْخس الأثمان»[1] .

وكان في أغلب مدارس القاهرة في العصر المملوكي خزائن للكتب مثل: المدرسة الصاحبية والمدرسة الظاهرية بيبرس والمدرسة الناصرية محمد بن قلاوون والمدرسة الحجازية والمدرسة الطيبرسية والمدرسة المنكوتمرية ومدرسة آل ملك الجوكندار والمدرسة السابقية والمدرسة البشيرية والمدرسة المحمودية ومدرسة ألجاي اليوسفي ومدرسة خَوَنْد بَرَكَة[2] .

أما أهم خزائن كتب المدارس فكانت خزانة كتب القبة المنصورية، وهي أحد ثلاث عمائر متجاورة أنشأها الملك المنصور قلاوون سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م (مدرسة وقبة ومارستان) وقد وَصَفَ النويري هذه الخزانة بقوله:

«وبخزانة كتبها من الخَتْمات الشريفة والربْعات المنسوبة الخط وكتب التفسير والحديث والفقه واللغة والطب والأدبيات ودواوين الشعراء شيء كثير»

وأضاف أنه رُتِّب لخازن كتبها في كل شهر أربعون درهمًا[3] .

أما المقريزي الذي كَتَبَ بعد النويري بأكثر من قرن فيذكر أن:

«بهذه القبة خزانة جليلة كان فيها عدة أحمال من الكتب في أنواع العلوم مما وَقَفَه الملك المنصور وغيره. وقد ذهب معظم هذه الكتب وتَفَرَّق في أيدي الناس»[4] .

---

[1] المقريزي: الخطط ٢ : ٢١٢س ٣١ – ٣٣؛ وانظر ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٨ : ١٣٥؛ العيني: عقد الجمان ٣ : ١١٠ .

[2] المقريزي: الخطط ٢ : ٣٧١، ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٧، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٩؛ وانظر كذلك عبداللطيف إبراهيم: «المكتبة المملوكية» بحث في كتاب دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية، القاهرة ١٩٦٢، ١ – ٨٦.

[3] النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب ٣١ : ١١١ .

[4] المقريزي: الخطط ٢ : ٣٨٠.

ومن بين كتب هذه الخزانة وصل إلينا الجزء الأول من كتاب «أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها وأيامها» للوزير الحسين بن علي بن الحسين المغربي الكاتب المتوفى سنة ٤١٨هـ/ ١٠٢٧م، وهو محفوظ اليوم في المكتبة العامة بمدينة بورصة التركية. وجاء على ظهر صفحة العنوان:

«هذا الكتاب من الكتب الموقوفة المخزونة في خزانة القبة المنصورية بمصر المحروسة للملك المنصور قلاوون رحمه الله سبحانه، ورحم الله تعالى امرأً يُوَصِّل هذا الكتاب لمقره بعد اندراجي إلى رحمة الله تعالى وأنا المحتاج إليه ويسى عفا الله تعالى عنه».

وقطعة من كتاب «جمهرة نَسب قريش» للزبير بن بكار محفوظة في مكتبة كوبريلي باستامبول برقم ١١٤١ كتب في أعلى صفحتها الأولى فوق عنوان الكتاب ما نصه:

«وَقْف لله سبحانه

ومقره بالقبة المنصورية»

وخزانة كتب مدرسة الأمير جمال الدين الأُسْتادار برَحْبَة باب العيد التي بدئ في بنائها يوم السبت خامس جمادى الأولى سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م، يقول المقريزي:

«كان بمدرسة الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون التي كانت بالصُّوَّة تجاه الطَّبلخاناة من قلعة الجبل بقية من داخلها فيها شبابيك من نحاس مُكَفَّت بالذهب والفضة وأبواب مصفحة بالنحاس البديع الصَّنْعَة المُكَفَّت ومن المصاحف والكتب في الحديث والفقة وغيره من أنواع العلوم جملة، فاشترى ذلك من الملك الصالح المنصور حاجى بن الأشرف بمبلغ ستمائة دينار وكانت قيمتها عشرات أمثال ذلك ونَقَلَها إلى داره وكان مما فيها:

«عشرة مصاحف طول كل مصحف منها أربعة أشبار إلى خمسة في عرض يقرب من ذلك أحدها بخط ياقوت وآخر بخط ابن البَوّاب وباقيها

بخطوط منسوبة ولها جلود في غاية الحُسْن معمولة في أكياس الحرير الأطلس، ومن الكتب النفيسة عشرة أحمال جميعها مكتوب في أوله الإشهاد على الملك الأشرف بوَقْف ذلك ومَقَرّه في مدرسته»[١].

ولما قَبَضَ السلطان الناصر فرج بن بَرْقُوق علي جمال الدين الأُسْتادّار وقتله خَنْقًا في سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م، محى من هذه المدرسة اسمه ورُنُكه وكتب اسمه هو بدائر صحنها وعلى قناديلها وبسطها وسقفها، ثم نظر في كتبها العلمية الموقوفة بها فأقَرّ منها جملةً بظاهر كل سفر منها فَصْلٌ يتضمن وَقْف السلطان له، وحَمَلَ كثيراً من كتبها إلى قلعة الجبل، وصارت هذه المدرسة تعرف بالناصرية بعد ما كان يقال لها الجمالية[٢].

***

ولم يقتصر إنشاء خزائن الكتب على المدارس المملوكية وحدها بل عرفتها الجوامع والخوانق والرُبُط والزوايا، فعندما أنشأ الأمير عز الدين أيْدُمُر الخطيري جامعه ببولاق سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م «جَعَلَ فيه خزانة كتب جليلة نفيسة . . . ووَقَف عليه عدة أوقاف جليلة»[٣]، كما كانت هناك خزانة كتب في كل من الخانقاه البكتمرية ورباط الآثار الواقع خارج مصر على النيل[٤].

وإذا كان المقريزي لا يذكر لنا شيئًا عن بعض المدارس التى نعلم أنها كانت تحتوي على خزائن كتب نفيسة، فإن حُجَج الأوقاف التى وَصَلت إلينا والخاصة ببعض المدارس المملوكية تشير إلى وجود خزائن هامة بهذه المدارس مثل: المدرسة الصَّرْغَتْمَشية بجوار الجامع الطولوني ومدرسة السلطان الناصر حسن

---

[١] المقريزى: الخطط ٢: ٤٠١.
[٢] نفسه: ٢: ٢٠٤.
[٣] نفسه: ٢: ٣١٢.
[٤] نفسه: ٢: ٤٢٤، ٤٢٩.

بخط سوق الخيل بالقلعة[١]، والمدرسة المؤيدية بجوار باب زُوَيْلَة التي تُحَدِّد لنا حُجَّة وَقْف المؤيد شيخ موقع مكتبتها وتصفه بأنه :

«دهليز به شبابيك نحاس يدخل منه إلى قاعة برسم الكتب تشتمل على إيوان ودور قاعة مفروشة بالبلاط الكدان بها شبابيك نحاس»[٢].

ويضيف المقريزي في وصف المكتبة نفسها قائلا :

«ثم نزل السلطان في عشرين المحرم [سنة ٨٢٠هـ] إلى هذه العمارة ودخل خزانة الكتب التى عملت هناك وقد حَمَلَ إليها كتبًا كثيرة في أنواع العلوم كانت بقلعة الجبل وقَدَّم له ناصر الدّين محمد البارزي كاتب السر خمسمائة مجلد قيمتها ألف دينار، فأقر ذلك بالخزانة وأنعَم على ابن البارزي بأن يكون خطيبًا وخازن الكتب هو ومن بعده من ذريته»[٣].

وأيضًا المدرسة الأشرفية التى أنشأها السلطان بَرْسباي بالحريريين بالقاهرة (٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م)، ومدرسة الأشرف قايتباى بالصحراء الشرقية (٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م)، وأخيراً مدرسة الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري بخط الجرابشيين بالقاهرة (٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م)[٤].

كذلك فقد أوْقَف كبار الأمراء في عصر قايتباى وقانصوه الغوري على مدارسهم مكتبات هامة مثل قجْماس الإسحاقي أمير آخور كبير، والأتابكي أزبَك من طُطُخ، ويَشْبَك من مَهدى الدوادار الكبير، والسَّيْفي قاني باي قرا الرمّاح أمير آخور كبير، والأمير خاير بك بن مال باي، والسَّيْفي بيبرس بن عبدالله الخيّاط[٥].

---

١ عبداللطيف إبراهيم : المكتبة المملوكية ٢٢ - ٢٣.
٢ نفسه ٢٩.
٣ المقريزي : الخطط ٢ : ٣٢٩
٤ عبداللطيف إبراهيم : المكتبة المملوكية ٣٠ - ٣٥.
٥ نفسه ٣٢ - ٣٣، ٣٦..

ومن حسن الحظ فقد وَصَلَت إلينا العديد من المصاحف المملوكية التي أوقفها سلاطين المماليك على مدارسهم والتى نقل أغلبها إلى دار الكتب المصرية، وكذلك الكتب التي كتبت برَسْم خزائنهم أو التي أوقفوها عليها [١]. وقد شرطوا جميعًا أن لا يُخْرِج خازن الكتب شيئًا من الكتب والمصاحف من هذه المدارس بَرْهن ولا بعارية ولا بغير ذلك بوجه من الوجوه.

وكانت خزانة الكتب فى المدرسة المملوكية تحتل مركزًا رئيسيًا كجزء لا يتجزأ من المدرسة فهي ليست قائمة بذاتها في مبنى مستقل أو ملحق بالمدرسة، بل توجد ضمن عمارة المدرسة نفسها في مكان متوسط ومناسب من البناء كله بين الإيوانات الأربعة التي كانت بها مساكن الطلبة ليسهل الوصول إليها وليكون موقعها وظيفيًا، وغالبًا ما تكون خزانة الكتب فى إيوان القبلة بالذات وذلك حتى تكون كتبها فى متناول الجميع من العلماء والطلبة الدارسين فى مختلف الإيوانات في المدرسة المملوكية ذات التصميم المتعامد Cruciform، فكانت دائمًا قريبة من مساكن الطلبة بها وفي مكان مرتفع عن أرضية الشارع وبعيدة في الوقت نفسه عن دورات المياه والرطوبة، لذلك كان إيوان القبلة الذي به المحراب هو أنسب مكان لها [٢].

***

وقد حرص واقفو خزائن الكتب فى المدارس والمساجد الجامعة على أن يضعوا لها من الشروط والأحكام ما يصون ذخائرها من الضياع، وضَمَّنوا وقفياتهم أو تحبيساتهم شروطًا دقيقة كان من أهمها حَظْر إخراج الكتب منها.

---

[١] راجع، Moritz, B., *Arabic Palaeograply*, Cairo - Wien 1905; James, D., *The Qur'ārn of the Mamluks*, London 1977.

[٢] عبداللطيف إبراهيم: المكتبة المملوكية ٤٠ – ٤٢.

ولم تقف عنايتهم عند هذه الشروط بل وضعوا للمنتفعين بها والمترددين عليها حدودًا وآدابًا يلتزمونها فى استعارة الكتب والاطلاع عليها والاستنساخ منها وإعادتها، وغير ذلك من الأمور التى تعتبر نموذجًا رفيعًا لما يُعرف الآن بـ«الخِدْمَة المكْتَبيَّة»[١].

ومن حسن الحظ فقد وَصَلَ إلينا نَصٌّ بالغ الأهمية عن مكتبة فى القاهرة مخصصة للاطلاع ولاتتيح إعارة الكتب خارجها، كتبه الحافظ جلال الدين السُّيوطى سنة ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م خاص بـ«المدرسة المحمودية» التى كانت تقع فى خُطّ الموازنيين بالشارع الأعظم بالقاهرة المحروسة خارج باب زُوَيْلَة، ومكانها اليوم الجامع المعروف بجامع الكُرْدى الواقع فى آخر شارع قَصَبَة رضوان من أول الخَيميّة من جهة باب زُوَيْلَة[٢].

يقول المقريزى فى وصف هذه المكتبة:

«ولا يُعْرَف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها، وهى باقية إلى اليوم لا يخرج لأحد منها كتابٌ إلا أن يكون فى المدرسة، وبهذه الخزانة كتب الإسلام من كل فن، وهذه المدرسة من أحسن مدارس مصر»[٣].

وقد أنشأ هذه المدرسة عام ٧٩٧هـ/ ١٣٩٥م الأمير جمال الدين محمود بن على الأُسْتادّار. وكانت كتبها كثيرة جدًا، كما يقول ابن حجر، وتعد من أنفس الكتب الموجودة فى وقته بالقاهرة وهى من جمع القاضى برهان الدين أبى إسحاق إبراهيم بن عبدالرحيم بن محمد بن جَمَاعَة الكناني الحموي المقدسي المتوفى سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م فى طول عمره، واشتراها محمود الأُسْتادار من تركته بعد موته ووَقَفَها وشَرَط أن لا يخرج منها شىء من مدرسته[٤].

[١] فؤاد سيد: «نصان قديمان فى إعارة الكتب»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٤ (١٩٥٨)، ١٢٥.
[٢] نشره فؤاد سيد في المقال السابق.
[٣] المقريزى: الخطط ٢: ٣٩٥.
[٤] ابن حجر: إنباء الغمر ٣: ٢٩٩و ٣٥٦؛ فؤاد سيد: المرجع السابق ١٢٨.

يقول ابن حجر العَسْقَلاني في ترجمة القاضى ابن جَمَاعَة :

«خَلَّف من الكتب النفيسة ما يَعِّز اجتماع مثله لأنه كان مغرمًا بها، فكان يشترى النسخة من الكتاب التي إليها المنتهى في الحُسْن، ثم يقع له ذلك الكتاب بخط مصنفه فيشتريه ولا يترك الأولى إلى أن اقتنى بخطوط المصنفين ما لا يُعَبَّر عنه كثرةً، ثم صار أكثرها إلى جمال الدين محمود الأستادار فوقفها بمدرسته بالموازنيين وانتفع بها الطلبة إلى هذا الوقت»[1] .

وقد جاء نص وقفية جمال الدين الأُسْتادّار على جميع كتب المكتبة على المثال التالى:

«الحمد لله حَقّ حمده

وَقَّف وحَبَّس وسَبَّل المقر الأشرف العالي الجمالي محمود أستادار العالية الملكي الظاهري أعز الله تعالى أنصاره وختم بالصالحات أعماله جميع هذا المجلد وما قبله من المجلدات من كتاب سير النبلاء للذهبى وعدة ذلك اثنا عشر مجلداً متوالية أولها الثالث وآخرها الرابع عشر والأول والثانى مفقودان وقفًا شرعيًا على طلبة العلم الشريف ينتفعون به على الوجه الشرعي وجَعَلَ مقر ذلك بالخزانة السعيدة المرصدة لذلك بمدرسته التى أنشأها بخط الموازنيين بالشارع الأعظم بالقاهرة المحروسة، وشرط الواقف المشار إليه أن لا يخرج ذلك ولا شيء منه من المدرسة المذكورة برَهْن ولا بغيره. فمن بَدَّله بعد ما سمعه فإنما اثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم. بتاريخ الخامس والعشرين من شعبان المكرم سنة سبع وتسعين وسبعمائة».

ويذكر شمس الدين السَّخاوي في «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» عند الكلام على وظائف شيخه ابن حجر

أنه كان بيده خزانة الكتب بالمدرسة المحمودية بعد أن عُزِل عنها خازنها الفَخْر عثمان المعروف بالطاغي في سنة ست وعشرين وثمانمائة لكونها نقصت

---

[1] ابن حجر : إنباء الغمر ١ : ٣٥٥؛ ابن العماد: شذرات الذهب ٦ : ٣١٢.

بتفريطه العُشْر، وهو أربعمائة مجلدةً، لأن كتبها كانت أربعة آلاف مجلدةً. ولنفاسة كتبها رغب شيخنا [يعني ابن حجر] في مباشرتها بنفسه، وعمل لها فهرستًا على الحروف في أسماء التصانيف ونحوها وآخر على الفنون، وقد انتفع بذلك ونفع الله به فإنه كان يقيم بها في الأسبوع غالبًا يومًا، وفي مدة الأسبوع يكتب في قائمة ما يحتاج لمراجعته منها بسببه في تصانيفه وغيرها ليتذكره في يوم حلوله بها كما شاهدته، وتَيَسّرَ على يده عود أشياء مما كان ضاع قبله، واستمرت بيده حتى مات[1] [توفي ابن حجر سنة ٨٥٢هـ].

ورغم أن ابن حَجَر يذكر أن مجموع كتب هذه الخزانة كان نحو أربعة آلاف مجلدةً فلم يتبق منها في نهاية القرن الماضي، عندما جُمعَت الكتب الموجودة في المدارس والمساجد لتُضَمّ إلى الكُتُبْخانَة الخديوية، سوى ثمانية وخمسين كتابًا فقط[2].

ومن بين المخطوطات التي كانت بهذه المكتبة نسخة كاملة في ستة مجلدات من كتاب «تَجارب الأُمَم وعَواقب الهمَم» لابن مَسْكَوَيْه المتوفى سنة ٤٢١هـ كُتبَت سنة ٥٥٢هـ عليها توقيف من المَقرّ الأشرف العالي الجَمالي محمود أُسَتادار العالية على طلبة العلم بمدرسته بخَطّ الموازنيين بالشارع الأعظَم بالقاهرة مؤرخ سنة ٧٩٧هـ. وقد استقرت هذه المخطوطة اليوم بمكتبة آيا صوفيا باستامبول تحت رقم ٣١١٦ـ ٣١٢١، ونشرها كايتاني Caetani مصورة مع مقدمة وملخص بالإنجليزية في سلسلة جب التذكارية بين سنتي ١٩٠٩ ـ ١٩١٧.

ومن بين كتب هذه المكتبة كذلك التي انتقلت إلى تركيا نسخة من «كتاب الصناعتين» لأبي هلال العسكري محفوظة في مكتبة كوبريلي برقم ١٣٣٣ ـ ١٣٣٤، ونسخة من «مُعْجَم البُلْدان» لياقوت الحَمَوي أيضًا في مكتبة كوبريلي برقم ١١٦١ ـ ١١٦٥، ونسخة من «تاريخ الإسلام» للذهبي بخطه كتبها سنة ٧٢٦هـ وعليها قراءة بخط الصَّفَدي مؤرخة سنة ٧٣٥هـ محفوظة في مكتبة آيا

---

[1] ابن حجر: إنباء الغمر ٣: ٢٩٩ و ٣٥٦؛ فؤاد سيد: المرجع السابق ١٢٨.

[2] فؤاد سيد: المرجع السابق ١٢٣.

صوفيا باستانبول برقم ٢٠٠٥ – ٣٠١٤، ونسخة ناقصة من «سِيَر أعْلام النُّبَلاء» للذَهَبى أيضًا كتبت سنة ٧٣٩هـ عن نسخة المؤلف فى حياته محفوظة فى مكتبة أحمد الثالث برقم ٢٩١٠أ، ونسخة من كتاب «المعرفة والتاريخ» لأبي يوسف يعقوب بن سفيان البَسَوي محفوظة في مكتبة روان كشك في تركيا تحت رقم ١٤٤٥، ونسخة من «ديوان البُحتُري» كتبت في تبريز سنة ٤٢٤هـ/ ١٠٣٣م بخط علي بن عبيد الله الشيرازي محفوظة في مكتبة كوبريلي تحت رقم ١٢٥٢.

***

وقد ظلّت مكتبات المدارس في مصر تشتهر بنفاسة كتبها وقيمتها حتى الفتح العثماني لمصر، يقول ابن إياس الحنفي عند وصفه حوادث الفتح في عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م:

«ثم إن الوزراء استُدرجوا لأخذ الكتب النفيسة التي في المدرسة المحمودية والمؤيدية والصرْغَتْمَشية، وغير ذلك من المدارس التي فيها الكتب النفيسة فنقلوها عندهم ووضعوا أيديهم عليها، ولم يعرفوا الحرام من الحلال في ذلك»[١].

وقد أدّى سقوط الدولة المملوكية واستيلاء العثمانيين على السُّلْطَة إلى حدوث تَغَيُّر جيوبولتيكي بالغ الأهمية أدّى إلى نَقْل محور الارتكاز وزعامة الدولة الإسلامية من القاهرة إلى استانبول، وإلى تحويل المذهب الفقهى الرسمى للدولة نهائيًا إلى المذهب الحَنفي.

وهكذا أخرج العثمانيون من مصر ومن سائر البلاد العربية التي فتحوها ثروةً ضخمةً من المصاحف والمخطوطات النادرة حملوها معهم إلى تركيا، كانت نواة المجموعة الضخمة من المخطوطات العربية التي تحتفظ بها الآن مكتبات تركيا والتي تزيد على ثلاثمائة ألف مخطوط[٢]. وأخرجوا كذلك باعتبارهم ورَثَة

---

[١] ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٥ : ١٧٩.

[٢] راجع، نعمت بيراقدار ومهين لوغال: ببليوغرافيا مكتبات المخطوطات في تركيا والمنشورات الصادرة حول المخطوطات المحفوظة فيها، استانبول ـ مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ١٩٩٦.

الدول الإسلامية السابقة العديد من الـمُخَلَّفات النبوية والممتلكات الثقافية التى يَزْخَر بها الآن متحف طوب قبو سراى باستانبول .

وطوال العصر العثمانى ونتيجة لتقهقر موقع مصر من دولة مستقلة إلى مجرد ولاية فى الإمبراطورية العثمانية وكذلك سائر الدول العربية ، ونتيجة لتردد العديد من الرحالة والمغامرين وعن طريق قناصل الدول ، خرجت منها بطرق غير شرعية أقرب إلى السرقة والنَّهْب الكثير من المخطوطات والممتلكات الثقافية التى استقرت فى مكتبات ومتاحف أوربا . ثم جاءت الحملة الفرنسية على مصر فى نهاية القرن الثامن عشر لتستولى كذلك على العديد من المخطوطات النادرة التى عرفت طريقها إلى المكتبة الأهلية فى باريس .

ومع ذلك فلم تَعْدَم مصر في العصر العثمانى من وجود العديد من المخطوطات والكتب الهامة التي ظَلَّت محفوظة فى المدارس والجوامع والزوايا وأروقة الأزهر وعند الأفراد والعلماء على امتداد القطر المصري . ومن بين هذه المكتبات نشير إلى واحدة من أشهر مكتبات المساجد العثمانية في مصر إبان القرن الثاني عشر الهجرى/ الثامن عشر الميلادي هي مكتبة الأمير محمد بك أبي الذهب التي وَقَفَها على طلبة العلم بجامعه المعروف فى ميدان الأزهر بالقاهرة . وقد وَصَلَت إلينا حُجَّة وَقْف هذه المكتبة وهي محفوظة في الأرشيف التاريخى بوزارة الأوقاف بالقاهرة تحت رقم ٩٠٠ ومؤرخة في ٨ شوال سنة ١١٨٨هـ وهو أيضًا تاريخ الانتهاء من عمارة جامعه بميدان الأزهر . وتَوَفَّر على دراستها ونشرها عالم الوثائق المعروف الدكتور عبداللطيف إبراهيم [1] .

وقد اعتنى محمد بك أبو الذهب بتكوين مكتبته فضَمَّ إليها الكتب التي أخذها من الشيخ أحمد بن محمد بن شاهين الراشدي الشافعي الأزهري الذي اشتهر بأنه كانت لديه مجموعة طيبة وكبيرة من الكتب الصحيحة المخدومة وعلى الأخص كتب الحديث ، يقول على مبارك :

---

[1] عبد اللطيف إبراهيم : «مكتبة عثمانية ـ دراسة نقدية ونشر لرصيد المكتبة» البحث الخامس في كتابه دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية ، ١ – ٣٥ .

«وقد جَعَلَ في خزانة كتبه نحو ستمائة وخمسين كتابًا منها جملة وافرة من كتب التفسير ككتاب الفخر الرازي والكشّاف والدُّرر المنثور والبحر والبيضاوي والجلالين وحواشيه وأبي السعود وغير ذلك.

وجملة من كتب الحديث كالسُّنن الستة وشروحها والشفاء والجمع بين الصحيحين والمواهب اللدنية وغير ذلك.

وجملة من كتب القراءات، وجملة من كتب التصوف وفقه المذاهب الأربعة، وكتب النحو والمعاني والبيان والصَّرْف واللغة والمنطق والتوحيد والفرائض والتواريخ، وغير ذلك»[١].

وبَلَغَ من اهتمام الأمير محمد بك أبي الذهب بتزويد مكتبته بالمؤلفات القيمة أنه اشترى من السيد محمد بن محمد المعروف بمُرْتَضَى الزَّبيدي شرحه للقاموس المسمى «تاج العروس» بمبلغ مائة ألف درهم فضة ووَضَعَه فى مكتبته لتنفرد بذلك دون غيرها[٢].

وكانت المكتبة تقع بجوار قبر الأمير محمد بك أبي الذهب وقبر ابنته عديلة هانم زوجة إبراهيم بيك الألفي[٣]، يقول الأثري الراحل حسن عبدالوهاب في وصف الجامع:

«وفي الطرف الشرقي البحري للرواق الخارجي سياج كبير من النحاس المُفَرَّغ بأشكال جميلة توجد خلفه تُرْبَة المنشيء... تجاورها حجرة المكتبة وعليها سياج نحاسي، ومازالت محتفظة بأرففها المحلاة بنقوش مذهبة يفصلها عن المدفن سياج نحاسي به باب، وهذا القسم كان كله مُخَصَّصًا للمكتبة»[٤].

---

١ على مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة ٥ : ١٠٨ (٢٤٦).

٢ الجبرتي: عجائب الآثار ١ : ٤٠٩ و٢ : ١٩٦ - ١٩٩؛ عبداللطيف إبراهيم: المرجع السابق ١٠.

٣ على مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة ٥ : ١٠٤ (٢٣٨).

٤ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١ : ٣٥٥.

وبَلَغَ رصيد المكتبة فى القرن الثالث عشر الهجري ١٢٩٦ مجلداً عدا المصاحف المذهبة القيمة[١].

وقد جاء فى حُجَّة وَقْف الأمير محمد بك أبي الذهب فيما يخص المكتبة :

«إن مولانا الأمير محمد بيك الواقف المشار إليه أعلاه وَقَفَ أيضًا وحَبَّس وسَبَّل وتَصَدَّق لله سبحانه وتعالى بجميع الكتب الشريفة الجليلة المعتبرة التى حَوَت القرآن وأنواع الفنون من تفسير وحديث وفقْه وشروح ومتون وغير ذلك مما يأتى بيانه فيه المشتملة بدلالة الدفتر المكتتب في شأن ذلك على. . . .»[٢].

واشترطت الحُجَّة كذلك

«أنه إذا ضاع شيء من الكتب الموقوفة المذكورة فيكون على كل من يكون خازنًا بالكتب المذكورة القيام بنظيره من ماله وليس على جهة الوَقْف المذكور القيام بشيء من ذلك»[٣].

وقد وَصل إلينا من الكتب التي أوقفها محمد بيك أبي الذهب نسخة من كتاب «الأمالي النحوية» لابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨م، وهي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦ نحو، ومصحف مغربي محفوظ أيضًا بدار الكتب تحت رقم ٢٥ مصاحف، وفي كل صفحة منها ختم الأمير ونص بوقفه صيغته :

«وقف المرحوم محمد بيك بجامعه».

---

[١] حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١ : ٣٥٢.
[٢] عبداللطيف إبراهيم: المرجع السابق ٨ – ٩، ١٩.
[٣] نفسه ١٢، ٣٥.

هُوَاةُ الكُتُب والمكتبات الخاصّة

من المؤسف أن المؤرخين العرب والمسلمين لم يُفْردوا مؤلّفات خاصة بتاريخ المكتبات العربية وكل ما ذكروه جاء عَرَضًا في كتب التاريخ والتراجم التي أشارت إلى العديد من المكتبات الخاصة التى جَمَعَها العلماءُ وهواةُ الكتب سواء في المشرق أو المغرب الإسلامي أو التى وَقَفوها على طَلَبَة العلم، فقد كان لكل عالم أو مؤلف مكتبةٌ لاستخدامه الشخصي تتفاوت قيمة كتبها تبعًا لأهمية العالم وقيمته العلمية. فمن ذلك ما ذكره ابن النديم عن محمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م، قال:

«قرأت بخط عتيق قال: خَلّفَ الواقدي بعد وفاته ستمائة قِمَطر كتبًا كل قِمَطر منها حمل رجلين. وكان له غلامان مملوكان يكتبان له اللّيل والنهار، وَقبل ذلك بيع له كتبٌ بألفي دينار»[1].

و عن مكتبة أبي الحسين عبدالعزيز بن إبراهيم بن حاجب النعمان التي

«لم تشاهد خزانة للكتب أحسن من خزانته لأنها كانت تحتوي على كل كتاب عَيْن وديوان فَرْد بخطوط العلماء المنسوبة»[2].

وما ذكره كذلك عن محمد بن الحسين المعروف بابن أبي بَعْرَة والذي كان بمدينة الحديِّثة بالعراق يقول عنه:

«كان جَمّاعةً للكتب له خزانة لم أر لأحد مثلها كثرة تحتوي على قطعة من الكتب الغريبة في النحو واللغة والأدب والكتب القديمة، فلقيت هذا الرجل دفعات فأنس بي، وكان نفوراً ضنينًا بما عنده وخائفًا من بني حمدان، فأخرج إليّ قمطراً كبيراً فيه نحو ثلاثمائة رطل جلود فلجان وصكاك وقرطاس

---

[1] ابن النديم: الفهرست ١١١.

[2] نفسه ١٤٩.

مصري وورق صيني وورق تهامي وجلود أَدَم وورق خراساني، فيها تعليقات لغة عن العرب وقصائد مفردات من أشعارهم وشيء من النحو والحكايات والأخبار والأسماء والأنساب وغير ذلك من علوم العرب وغيرهم. وذكر أن رجلا من أهل الكوفة، ذهب عنه اسمه، كان مشتهراً بجَمْع الخطوط القديمة وأنه لما حضرته الوفاة خَصّه بذلك لصداقة كانت بينهما وأفضال من محمد بن الحسين عليه ومجانسة بالمذهب فإنه كان شيعيًا، فرأيتها وقَلّبتها فرأيت عجبًا إلا أن الزمان قد أخلقها وعمل فيها عملا أدرسها وأحرفها، وكان على كل جزء أو ورقة أو مدرج توضيح بخطوط العلماء واحد إثر واحد يذكر فيه خط من هو وتحت كل توقيع توقيع آخر، خمسة وستة من شهادات العلماء على خطوط بعض لبعض، ورأيت في جملتها مصحفًا بخط خالد بن أبي الهيّاج صاحب علي رضي الله عنه، ثم وَصَلَ هذا المصحف إلى أبي عبدالله بن حَسّان رحمه الله، ورأيت فيها بخطوط الإمامين الحسن والحسين. ورأيت عدة أمانات وعهود بخط أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وبخط غيره من كُتّاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ ومن خطوط العلماء في النحو واللغة مثل: أبي عمرو بن العلاء وأبي عمرو الشيباني والأصمعي وابن الأعرابي وسيبويه والفَرّاء والكسائي، ومن خطوط أصحاب الحديث مثل: سُفْيان بن عُيَيْنَة وسفيان الثوري والأوزاعي وغيرهم، ورأيت ما يَدُل على أن النحو عن أبي الأسود ما هذه حكايته وهي أربعة أوراق أحسبها من ورق الصين ترجمتها:

هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود رحمة الله عليه، وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوي، وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوي، وتحته هذا خط النَّضْر بن شُمَيْل.

ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر وما كان فيه، فما سمعنا له خبراً ولا رأيت منه غير المصحف هذا على كثرة بحثي عنه»[1].

وأيضًا ما ذكره عن أبي العباس جعفر بن محمد المروزي من أنه:

---

[1] ابن النديم: الفهرست ٤٦؛ القفطي: إنباه الرواه ١: ٧ - ٩.

«أحد جمّاعي ومؤلّفي الكتب في أنواع من العلم وكتبه كثيرة جدًا. وهو أوّل من ألّف كتابًا في المسالك والممالك ولم يتم. ومات بالاهْواز وحملت كتبه إلى بغداد وبيعت في طاق الحرّاني سنة أربع وسبعين ومئتين»[١].

وعن أبي محمد الفَتْح بن خاقان المتوفى سنة ٢٤٧هـ/ ٢٦١م من أنه:

«كانت له خزانة كتب جمعها له عليٌّ بن يحيى المنجم لم يُرَ أعظم منها كثْرَةً وحُسْنًا»[٢]

وكان لعلي بن المنجم هذا بكَرْكَر من نواحي القفص كما يقول ياقوت:

«قصرٌ جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم، والكتب مبذولة في ذلك لهم والصيانة مشتملة عليهم، والنفقة في ذلك من مال عليّ بن يحيى. فقدم أبو مَعْشَرَ المنجم من خراسان يريد الحج وهو إذ ذاك لا يحسن كبير شيء من النجوم، فوُصفَت له الخزانة فمضى ورآها فهاله أمرها، فأقام بها وأضرب عن الحج وتعلم فيها علم النجوم وأعرق فيه حتى ألحد»[٣].

ويُحَدِّثنا الجاحظ كذلك أن يحيى بن خالد البَرْمكي كانت له خزانة كتب فيها من كل كتاب ثلاث نسخ[٤]، وأن إسحاق بن سليمان الهاشمي - والي الرشيد على البصرة - كان له بيت كتب فيه «الأسْفاط والرقوق والقماطر والدفاتر والمساطر والمحابر»[٥].

وذَكَرَ القفطي عن أبي القاسم سَهْل بن محمد السِّجستاني الجُشَمي النحوي اللغوي المتوفى سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م أنه:

«كان جمّاعةً للكتب وكان يتّجر فيها»[٦].

---

[١] ابن النديم: الفهرست ١٦٧ ياقوت: معجم الأدباء ٧ : ١٥.
[٢] نفسه ١٣٠؛ نفسه ١٦ : ١٧٤.
[٣] ياقوت: معجم الأدباء ١٥ : ١٥٧.
[٤] الجاحظ: الحيوان ١ : ٦٠.
[٥] نفسه ١ : ٦١.
[٦] القفطي: إنباه الرواه ٢ : ٥٩.

وأضاف :

«واتّفق أن ابن اللَّيث الصَّفّار صاحب سجستان ملك بعد موت أبي حاتم شيراز والأهواز، وخاف منه أهل البصرة أن يستولى على بلدهم. وسمع ابن الصفار بموت أبي حاتم واشتاقت نفسه إلى كتبه فسَيَّر من ابتاعها من ورثته ووَقَفَ أهل البصرة عن المزايدة فيها خشية من ابن الصَّفّار ومصانعةً له، فابتيعت بقيمة أربعة عشر ألف دينار ونقلت إلى يعقوب لم يُتْرك منها شيءٌ»[١].

وذَكَرَ كذلك عن أبي عبدالرحمن عبدالله بن محمد بن هانئ النَّيْسابوري أنه :

«كان جَمّاعةً للكتب كثير الحفظ لها إلى أن صارت جملةً عظيمة وأبيعت بأربعمائة ألف درهم. وكان قد أعَدَّ في حياته داراً لكل من يقدم من المستفيدين فيأمر بإنزاله فيها ويزيح علله في النَّسْخ والورق ويُوَسّع النَّفَقَة عليه»[٢].

ويذكر الخطيب البغدادي والصفدي أن الحافظ أبا الحسن محمد بن العباس ابن أحمد بن محمد بن الفرات البغدادي المتوفى سنة ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م :

«كَتَبَ الكثير وجَمَعَ ما لم يجمعه أحدٌ في زمانه وكان عنده عن علي بن محمد المصري وحده ألف جزء وكتب مائة تفسير ومائة تاريخ وخَلَّف ثمانية عشر صندوقًا مملوءة كتبًا غير ما سُرِقَ له وأكثر ذلك بخطه، وكانت له جارية تعارض معه ما يكتبه وكان مأمونًا ثقةً . . . وكتابه هو الحجة في صحة النقل وجودة الضَّبْط»[٣].

كما أن أبا الفتح محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالرحمن المصري المتوفى سنة ٣٤٠هـ/ ٩٥١م.

---

[١] القفطي: إنباه الرواه ٢ : ٦٤ .

[٢] نفسه ٢ : ١٢٧؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٧ : ٥٢٥ - ٥٢٦ .

[٣] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٣ : ١٢٣؛ الصفدي: الوافي ٣ : ١٩٦ .

«كان يشترى من الورّاقين الكتب التي لم يكن سمعها ويسمع فيها لنفسه . . . واحترقت كتبه دَفَعات وروى شيئًا كثيرًا»[1] .

كذلك فإن أبا بكر محمد بن يحيى بن عبدالله بن العباس الصولي الشِّطْرنجي المتوفى سنة ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م

«كان له بيتٌ عظيمٌ مملوء كتبًا، وكان يقول : كل هذه الكتب سماعي»[2] .

وكان من جملة ما اعتذر به الوزير الصاحب إسماعيل بن عَبّاد المتوفى سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م إلى الملك نوح بن منصور الساماني صاحب خراسان عندما أرسل إليه سرًا يستدعيه إلى حضرته ويُرَغِّبه في خدمته ، أن عنده

«من كتب العلم خاصة ما يُحْمَل على أربعمائة جمل أو أكثر»[3] .

وقد أنشأ نوح بن منصور السَّاماني نفسه مكتبةً كبيرةً في بُخارى استفاد منها الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا الذي قال في وَصْفها :

«فسألته يومًا دخولي دار كتبهم ومطالعتها وقراءة ما فيها من كتب الطب ، فأذن لي ، فدخلت دارًا ذات بيوت في كل بيت صناديق كتب مُنَضَّدَة بعضها على البعض ؛ في بيت العربية والشعر ، وفي آخر الفقه ، وكل بيت كتبُ علمٍ مفرد . فطالعت فهرسْت كتب الأوائل وطلبت ما احتجت إليه ، ورأيت هناك من الكتب ما لم يَقَعَ إليَّ اسمه ، قرأت تلك الكتب وظَفَرْت بفوائدها»[4] .

كذلك أنشأ عَضد الدولة بن بُوَيْه بمدينة شيراز دارًا زارها الجغرافي الشهير المَقْدسي البَشاري في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وقال : «لم أر في شرق ولا غرب مثلها» جعل بها خزانة كتب ضخمة وَصَفَها بقوله :

---

[1] ابن الجوزي: المنتظم ٦ : ٣٧٠.

[2] نفسه ٦ : ٣٥٩.

[3] ياقوت : معجم الأدباء ٦ : ٢٥٩؛ السيوطي : المزهر ١ : ٩٧.

[4] الصفدي: الوافي بالوفيات ١٢ : ٣٩٤. وذكر حاجي خليفة أن هذه المكتبة كانت بأصبهان وتُعرب بـ «صوان الحكمة»، وأن الشيخ الرئيس أخذ الحكمة من كتب هذه المكتبة التي وجد فيها كتاب " التعليم الثاني " للفارابي ولَخّص منه كتاب «الشفاء»، ثم أن هذه الخزانة أصابتها آفة فاحترقت كتبها واتُّهم ابن سينا بأنه أخذ منها مصنفاته ثم أحرقها حتى لا يَطّلع عليها أحد (كشف الظنون ٣ : ٩٩).

«وخزانة الكتب حجرة على حدة عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد ولم يبق كتاب صنّف إلى وقته من أنواع العلوم كلها إلا وحَصَّلَه فيها. وهي أزَج طويل في صُفَّة كبيرة فيه خزائن من كلّ وجه، وقد ألصق إلى جميع حيطان الأزج والخزائن بيوتًا طولها قامة في عرض ثلاثة أذرع من الخشب المُزَوَّق. عليها أبواب تنحدر من فوق والدفاتر مُنَضَّدة على الرفوف لكلّ نوع بيوت وفهرستات فيها أسامي الكتب لا يدخلها إلا وجيه»[1].

ونحن نعرف أن أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء أبا حَيّان التوحيدي المتوفى سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م قد أحرق كتبه لقلّة جدواها له وضنًا بها على من لا يعرف قدرها بعد موته[2]، وأضاف السيوطى قائلاً:

«لعل النُّسَخ الموجودة الآن من تصانيفه كتبت عنه فى حياته وخَرَجَت عنه قبل حرقها»[3].

وربما كان اشتغاله بالنَّسْخ وتأليفه كتبه وتقديمها إلى بعض رؤساء عصره أملا فى مجازاته عليها سببًا فى بقاء العديد منها ونجاته من الحرق.

وعندما أقدم أبو حَيّان على ذلك كتب إليه القاضى أبو سهل علي بن محمد يَعْذُلُه على صنيعه ويُعَرّفه قُبْح ما اعتمد من الفعل وشنيعه، فكتب إليه أبو حَيّان معتذرًا عن ذلك بكتاب مؤرخ فى شهر رمضان سنة أربعمائة/ مايو ١٠١٠م يذكر فيه كيف سبقه إلى هذا الفعل علماء كبار، وبذلك ضاع عنّا علمٌ كثير وفقدنا بإحراقها العديد من المخطوطات النادرة، يقول فى الرسالة:

«وبَعْدُ فلي في إحراق هذه الكتب أُسْوَةٌ بأئمة يُقْتَدى بهم، ويُؤْخَذُ بهديهم، ويعشى إلى نارهم، منهم: أبو عمرو بن العلاء، وكان من كبار العلماء مع زُهد ظاهر ووَرَع معروف، دفن كتبه فى بطن الأرض فلم يوجد لها أثرٌ.

---

[1] المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ٤٤٩.
[2] ياقوت: معجم الأدباء ١٥: ١٦؛ السيوطي: بغية الوعاة ٣٤٩.
[3] السيوطي: بغية الوعاة ٣٤٩.

وهذا داود الطائي، وكان من خيار عباد الله زُهْدًا وفقها وعبادة، ويقال له تاج الأمة، طرح كتبه في البحر وقال يُناجيها: نعم الدليل كنت، والوقوف مع الدليل بعد الوصول عناءٌ وذهولٌ وبَلاءٌ وخمولٌ.

وهذا يوسف بن أسباط، حَمَل كتبه إلى غار في جبل وطرحه فيه وسدَّ بابه، فلما عُوتب على ذلك قال: دَلّنا العلم في الأول ثم كاد يُضلُّنا في الثاني، فهجرناه لوجه من وصلناه، وكرهناه من أجل ما أردناهُ.

وهذا أبو سليمان الداراني جمع كتبه في تَنّور وسَجَرَها بالنار ثم قال: والله ما أحرقْتُك حتى كدت أحترق بك.

وهذا سُفيان الثوري: مَزَّق ألف جزء وطَيَّرَها في الريح وقال: ليت يدي قُطعت من ها هنا بل من هاهنا ولم أكتب حرفًا.

وهذا شيخنا أبو سعيد السيرافي سيد العلماء، قال لولده محمد: قد تركت لك هذه الكتب تكتسب بها خير الأجل، فإذا رأيتها تخونك فاجعلها طُعْمةً للنار. وماذا أقول وسامعي يصدق أن زمانًا أحوج مثلي إلى ما بلغك، لزمان تدمع له العين حزنًا وأسىً، ويَتَقَطَّع عليه القلب غيظًا وجوىً وضنًا وشجىً، وما يصنَعُ بما كان وحَدَثَ وبان، إن احتجت إلى العلم في خاصة نفسي فقليل، والله تعالى شاف كاف، وإن احتجت إليه للناس ففي الصدر منه ما يملأُ القرطاس بعد القرطاس، إلى أن تفي الأنفاس بعد الأنفاس»[1].

وكانت بطرابلس الشام في القرن الرابع الهجري خزائن كتب وَقَفَها ذوو اليسار من أهلها تَرَدَّدَ عليها أبو العلاء المَعَرّي وأخذ منها ما أخذ من العلم[2]، حتى أنه عندما زار ببغداد خزانة الكتب التي بيد عبدالسلام البصري وعَرَض عليه أسماءها لم يستغرب منها شيئًا لم يره بخزائن الكتب بطرابلس سوى «ديوان تيم اللات» فاستعاره منه وخَرَجَ من بغداد وقد سها عن إعادته، ولم يذكره حتى صار بالمَعَرَّة، فأعاده إليه وفي صحبته قصيدة تائية يعتذر بها عن ذلك[3].

---

[1] ياقوت: معجم الأدباء ١٥ : ١٥ – ١٧.
[2] القفطي: إنباه الرواه ١ : ٥١.
[3] القفطي: إنباه الرواه ٢ : ١٢٧ ؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٧ : ٥٢٥ – ٥٢٦.

وهذه الخزائن غير دار العلم المعروفة بطرابلس والتى أنشأت سنة ٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م بعد وفاة أبي العلاء المَعَرِّي بأربع وعشرين سنة .

أما محمد بن يحيى الغافقي المعروف بـ «ابن المَوْصول» المتوفى سنة ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م فيذكر ابن الأبار أنه :

«كان أديبًا كاتبًا جَمّاعًا لدفاتر العلم من لدن صباه منتقيًا لكرائمها بصيرًا بخيارها عارفًا بخطوطها يُحتكم إليه في ذلك، مؤثرًا لها على كل لَذَّة، حتى اجتمع منها عنده ما لم يجتمع مثله لأحد بالأندلس بعد الحكَم الخليفة» .

وكان عنده «إصلاح المنطق» بخط أبي علي القالي، و«الغريب المُصَنَّف» أصل أبي علي، و«نوادر» ابن الأعْرابي بخط أبي موسى الحامض و«تاريخ» أبي جعفر الطبري بصلة الفرغاني بخط ابن ملول الوَشَقي[٢] .

كما جمع الوزير الأكرم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم القفطي المتوفى سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م مكتبة ضخمة قُصدَ بها من الآفاق وعاونه ياقوت الحموي في جَمْع جزء كبير منها ويقول عنها :

«لم أر مع اشتمالي علي الكتب وبيعي لها وتجارتي فيها أشد اهتمامًا منه بها ولا أكثر حرصًا منه على اقتنائها، وحصل له منها ما لم يحصل لأحد وكان مقيمًا بحلب»[٣] .

وأضاف الصَّفَدي أنه :

«أوْصَىَ بكتبه للناصر صاحب حلب، وكانت تساوى خمسين ألف دينار، وله حكايات غريبة في غرامه بالكتب»[٤] .

ومن بين خزانته مجموعة من كتب التراث اليمنى كانت ضمن تركة والده الذى توفى في ذي جبْلَة باليمن سنة ٦٢٤هـ وأرسلت إلى القاهرة .

ويقول ياقوت الحموي عن عضد الدين أبي الفوارس مُرْهف بن أسامة بن مُرْشد بن علي بن مُقْلَد بن نَصْر بن مُنْقذ المتوفى سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م :

---

١ ابن الأبار: التكلمة لكتاب الصلة، القاهرة ١٩٥٥، ١٢٢ .

٢ ياقوت : معجم الأدباء ١٥ : ١٨٨ .

٣ الصفدي: الوافي ٢٢ : ٣٣٨ .

«فارقته في جمادى الأولى سنة اثنى عشرة وستمائة بالقاهرة يحيا ولقيته بها وهو شيخ ظريف واسع الخلق شائع الكرم جمّاعة للكتب وحضرت داره واشترى منى كتبًا . وحدثني أن عنده من الكتب ما لا يعلم مقداره إلا أنه ذكر أنه باع منها أربعة آلاف مجلد في نكبة لحقته فلم يؤثر فيها . وسألته عن مولده فقال ولدت سنة عشرين وخمسمائة»[1] .

وتحتفظ دار الكتب المصرية بنسخة من كتاب «لباب الآداب» له بخطه تحت رقم ٨٣٩ أدب .

ويذكر ابن أبي أصيبعة أن أبا المظفر نصر بن محمود بن المُعَرّف

«كان في داره مجلس كبير مشحون بالكتب على رفوف فيه وكان في معظم أوقاته في ذلك المجلس مشتغلا في الكتب وفي القراءة والنسخ . ومن أعجب شيء منه أنه كان قد ملك ألوفًا كثيرة من الكتب في كل فن وأن جميع كتبه لا يوجد شيء منها إلا وقد كَتَبَ على ظهره مُلَحًا ونوادر مما يتعلّق بالعلم الذي صُنِّف ذلك الكتاب فيه . ورأيت كتبًا كثيرةً من كتب الطب وغيرها من الكتب الحكمية كانت لأبي المظفر وعليها اسمه وما منها شيء إلا وعليه تعاليق مستحسنة وفوائد متفرقة مما يجانس ذلك الكتاب»[2].

وكان الأمير أبو الوفاء المُبَشِّر بن فاتك المتوفى نحو سنة ٥٠٠ هـ/ ١١٠٧م أحد أدباء مصر العارفين بالأخبار والتواريخ المصنفين فيها ، من أكبر هواة جمع الكتب في مصر الفاطمية عاصر خلافتي الظاهر بأمر الله والمستنصر بالله الفاطميين بمصر ، قال ياقوت :

«ملك من الكتب مالا يُحْصى عَدَدُه كثرةً»[3] .

وقال ابن أبي أصيبعة :

---

[1] ياقوت : معجم الأدباء ٥ : ٢٤٣ ، وانظر كذلك المنذري : التكملة لوفيات النقلة ٢ : ٣٦١.
[2] ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ٢ : ١٠٨ .
[3] ياقوت الحموي : معجم الأدباء ١٧ : ٧٧.

«كان المُبَشِّر بن فاتك قد اقتنى كتبًا كثيرةً جدًا، كثيرٌ منها يوجد وقد تغيّرت ألوان الورق الذي له بغرق أصابه. وحدثني الشيخ سديد الدين المنطقي بمصر قال: كان الأمير ابن فاتك محبًا لتحصيل العلوم وكانت له خزائن كتب، فكان في أكثر أوقاته إذا نزل من الركوب لا يفارقها وليس له دأب إلا المطالعة والكتابة ويرى أن ذلك أهم ما عنده؛ وكانت له زوجة كبيرة القدر أيضا من أرباب الدولة، فلما توفي رحمه الله نهضت هي وجوار معها إلى خزائن كتبه، وفي قلبها من الكتب وأنه كان يشتغل بها عنها، فجعلت تندبه وفي أثناء ذلك ترمي الكتب في بركة ماء كبيرة في وسط الدار هي وجواريها. ثم شيلت الكتب بعد ذلك من الماء وقد غرق أكثرها، فهذا سبب أن كتب المُبَشِّر بن فاتك يوجد كثيرٌ منها وهو بهذه الحال»[١].

وكان الإمام الأديب شافع بن علي بن عباس بن إسماعيل العَسْقَلاني المصري المتوفى سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م جَمَّاعَةً للكتب، قال الصَّفَدي:

«خَلَّف على ما أخبرني به شهاب الدين البوتيجي الكتبي بالقاهرة ثمانية عشر خزانة كتبًا نفائس أدبية. وكانت زوجته تعرف ثمن كل كتاب، وبقيت تبيع منها إلى أن خرجت من القاهرة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة، وأخبرني البوتيجي أنه كان إذا لمس الكتاب وجَسَّه قال: هذا الكتاب الفلاني وهو لي ملكته في الوقت الفلاني. وكان إذا أراد أي مجلد كان، قام إلى خزانة وتناوله منها كأنه الآن وضعه هناك بيده»[٢].

كذلك فإن تاج الدين أبا سعد الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن حَمْدون المتوفى سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١١م كان من الأدباء والعلماء الذين شاهدهم ياقوت الحموي وصحبهم وحُمِدَت صحبته لهم، قال عنه:

«كان من المحبين للكتب واقتنائها والمبالغين في تحصيلها وشرائها، وحُصِّلَ له من أصولها المُتْقَنَة وأمهاتها المُعَيَّنَة ما لم يُحَصِّل أحدٌ للكثير، ثم تقاعَد به الدَّهْر وبَطَّلَ عن العمل، فرأيته يخرجها ويبيعها وعيناه تَذْرِفان بالدموع كالمفارق لأهله الأعزاء والمفجوع بأحبابه الأوِدّاء. فقلت له: هَوِّن عليك ـ

---

[١] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ٢: ٩٩.

[٢] الصفدي: الوافي بالوفيات ١٦: ٧٨.

أدام الله أيامك - فإن الدَّهْر ذو دُوَل، وقد يُسْعف الزمان ويساعد وتَرْجِعَ دولة العزّ وتُعَاود، فتستخلف ما هو أحسن منها وأجْوَد. فقال: حسبك يا بني: هذه نتيجة خمسين سنة من العمر أنفقتها في تحصيلها، وهَبْ أن المال يتيسَّر والأجل يتأخَّر - وهيهات - فحينئذ لا أحْصُلُ من جمعها بعد ذلك إلا على الفراق الذي ليس بعده تلاق، وأنشد بلسان الحال:

هب الدَّهْرَ أرْضاني وأعتب صَرْفُه
وأعقب بالحُسْنى وفَكَّ من الأسْر
فَمَنْ لي بأيّام الشباب التي مَضَت
ومن لي بما قَدْ مَرَّ في البُؤْس من عمري

ثم أدركت منيته ولم ينل أمنيته . . .»

وأضاف ياقوت:

«وكان مع اغتباطه بالكتب ومنافسته ومناقشته فيها جواداً بإعارتها، ولقد قال لي يومًا - وقد عجبت من مسارعته إلى إعارتها للطلبة: ما بَخِلْت بإعارة كتاب قط ولا أخذت عليه رهنًا، ولا أعلم أنه مع ذلك فَقَدَ كتابًا في عارية قط. فقلت: الأعمال بالنيات وخُلوص نيتك في إعارتها لله حفظها عليك. وكَتَبَ بخطه الرائق طرائف الكتب الكثيرة الكبار والصغار المَرْوية، وقابلها وصَحَّحَها وسمعها على المشايخ»[1].

* * *

وإذا عَبَرْنا الفترة الأيوبية والمملوكية في مصر[2] التى أشرت إليها فيما سبق والتي اشتهرت بكثرة مكتبات المدارس التي أنشأها السلاطين والأمراء ووَقَفوها على طلبة العلم بها سنجد من أهم المكتبات وأغناها في مصر في القرن الحادي

---

[1] ياقوت: معجم الأدباء: ٩: ١٨٥ - ١٨٨.

[2] وعن مكتبات الشام راجع مقاليّ محمد كرد علي: «مصائب الكتب والمكاتب في الشام»، مجلة المقتطف ٧٤ (١٩٢٩) ٣٨٥ - ٣٨٨ و«الكتب والمكاتب في الشام - أقدم الخزائن وأنفس الكتب»، مجلة المقتطف ٧٤ (١٩٢٩) ٥٠٥ - ٥١١.

عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي مكتبة العالم اللغوي عبدالقادر بن عمر البغدادي المتوفى سنة ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م صاحب كتاب «خزانة الأدب ولُبّ لباب لسان العرب» الذي يُعَدّ أحسن المتأخّرين معرفة باللغة والأشعار والحكايات البديعة، كما يقول المُحبِّي[١].

وكان البغدادي قد رَحَلَ إلى مصر سنة ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م وهو في العشرين من عمره حيث اتّصل بشهاب الدين الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م صاحب كتاب «رَيْحانَة الألبّا» وكانت له مكتبة كبيرة كان لها فَضْلٌ عظيم على البغدادي في أثناء حياة الشهاب بمقتضى ملازمته له، وبعد وفاته سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م لأن البغدادي تملّك أكثر كتبه، يقول المحبي:

> «ولما مات الشّهاب تَمَلَّك أكثر كتبه، وجَمَعَ كتبًا كثيرة غيرها. وأخبرني عنه بعض من لقيته أنه كان عنده ألف ديوان من دواوين العرب العاربة»[٢].

وقد ذكر البغدادي في مقدمة كتابه في نحو عشر صفحات «المواد التي اعتمد عليها وانتقى منها مادة كتابه»[٣]. وكان منها ما يرجع إلى علم النحو وإلى شروح الشواهد وإلى دفاتر أشعار العرب والمجاميع وفن الأدب وكتب السير وكتب الصحابة وأنساب العرب وطبقات الشعراء وكتب اللغة وأغلاط اللغويين وكتب الأمثال وكتب الأماكن والبلدان، ودائمًا ما يذكر أن هذا الكتاب أو ذاك في خزانة كتبه أو أنه اطّلَع عليه.

لذلك فإن ثَبَت مكتبة البغدادي ـ كما يقول الأستاذ عبدالسلام هارون ـ مما يقف أمامه الناظر وَقْفَة العجب والدهشة لما حواه من نوادر التصنيف وعجائب التأليف، وقد حصر هذه الكتب فوجدها نحواً من ٩٤٥ عنوانًا، ثم قال:

> «إذا ضُمَّت إلى تلك العنوانات شروحها والكتب المؤلفة في تلخيصها أو نقدها جاوزت أربعة آلاف كتاب كثيرٌ منها قد فقد أو ضاع»[٤].

---

[١] المحبي: خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٠.
[٢] نفسه ٢ : ٤٥٢.
[٣] البغدادي: خزانة الأدب ١ : ١٨ – ٢٧.
[٤] عبدالسلام هارون: مقدمة خزانة الأدب للبغدادي ١ : ٧.

وكما كان للشهاب الخفاجي فَضْلٌ على البغدادي في أول حياته فإن الوزير أحمد باشا محمد كوبريلي صاحب المكتبة التي تحمل اسمه اليوم في استانبول كان له فَضْلٌ آخر عليه عندما اتصل به في تركيا فأدناه وأكرمه وأفاد من مكتبته الشيء الكثير مطالعةً وإفادةً ونَسْخًا[١] .

ويدلُّ حديث البغدادي في سَرْد مصادره أنه كان محتفيًا بكتب أبي علي الفارسي وتلميذه أبي الفتح عثمان بن جنّي وأنه جمع مؤلفاتهما جميعًا . ومن أهم النُّسَخ التي أشار إليها البغدادي في كتابه نسخة من «أبيات المعاني» للأشنانْداني بخط ابن جنّي وعليها إجازة أبي علي له[٢]، ونسخة من «المنسوبين إلى أمهاتهم» للحلواني بخطه[٣]، و«إيضاح الشعر» لأبي علي الفارسي بخط أبي الفتح عثمان بن جنّي[٤]، وشرح لديوان زهير بخط مُهَلْهَل بن أحمد[٥] .

ورغم أن ما يفصل بيننا وبين عصر البغدادي لا يزيد على ثلاثة قرون ، فإن ما وصَلَ إلينا من كتب مكتبته يُعد نَذْرًا قليلا مُفَرَّقا بين دار الكتب المصرية ومكتبات استانبول ومكتبات أوربا! .

فمن ذلك نسخة من كتاب «فَرْحَة الأديب» لأبي محمد الأعرابي المعروف بالأسْوَد الغُنْدُجاني محفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٧٨ مجاميع م بين كتب مصطفى فاضل باشا كتبها البغدادي لنفسه وجاء في آخرها :

> «تم هذا الكتابُ بعون الله على يد الفقير إلى رحمة ربه الغفور عبدالقادر بن عمر بن بايزيد بن الحاج أحمد البغدادي، كتبه لنفسه ولمن شاء الله من بعده، وكان بدء الكتابة في يوم الأحد وآخرها في ضحوة يوم الاثنين التاسع

---

١ عبدالعزيز أحمد الرفاعي : «نوادر المخطوطات الأدبية في خزانة البغدادي»، في كتاب أهمية المخطوطات الإسلامية ، لندن ـ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٢ ، ١٩٨ .

٢ البغدادي : خزانة الأدب ١ : ٢٠ .

٣ نفسه ١ : ٢٤ .

٤ نفسه ٣ : ٣٣ و ٥ : ١٤٣ .

٥ نفسه ٢ : ٣٣٤ .

عشر من شهر شوال المبارك من شهور سنة ثمان وسبعين بعد الألف من الهجرة، وكان تاريخ الأصل الذي كتبت منه يوم الأحد تاسع وعشرين شعبان سنة اثنين وتسعين وخمسمائة. هكذا رأيته مؤرخًا وحسبنا الله ونعم الوكيل».

وعلى هامش الصفحة «فيكون مدة كتابته تسعة أيام مع أشغال عائقة والحمد لله عليه».

ونسخة من كتاب «المعمرين والوصايا» لأبي حاتم السجستاني محفوظة في مكتبة جامعة كمبردج تحت رقم Q9n°285 وهي نسخة ترجع إلى القرن الرابع الهجري وتحمل صفحة عنوانها سماعًا مؤرخًا في سنة ٤٢٨هـ، و تأكيدًا بنسبة الكتاب لصاحبه كَتَبَه شهاب الدين الخفاجي وآخر بخط عبدالقادر البغدادي نصه:

«أبو روق ينقل في هذا الكتاب عن أبي حاتم ويغلطه في أماكن كثيرة، فالظاهر أنه تأليف أبي روق والله أعلم بالصواب، وقد ظهر فيما بعد أن أبا روق راوي الكتاب عن أبي حاتم».

ونسخة من «معجم البلدان» لياقوت الحموي بخَطه محفوظة في مكتبة شهيد علي باشا باستانبول برقم ١٨٢١ عليها بخط عبدالقادر البغدادي:

«من فضل الله على عبدالقادر البغدادي في سنة ١٠٧٣».

ونسخة من «مَجْمَع الأمثال» للمَيْداني محفوظة في مكتبة بانكيبور بالهند عليها بخط البغدادي:

«من نعم الله على عبده الفقير إليه عبدالقادر بن عمر البغدادي».

ونسخة من كتاب «الرجال» لتقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلي في المكتبة التيمورية برقم ٤٧٥ تاريخ عليها تملك للبغدادي مؤرخ سنة ١٠٩١هـ.
ونسخة من «مختصر جمهرة النسب» عن ابن الكلبي لم يُعْلَم مختصره في مكتبة راغب باشا باستانبول برقم ٩٩٩.

كما أن النسخة التي اعتمد عليها مارجوليوث في نشر «معجم الأدباء» لياقوت الحموي كانت في ملك عبدالقادر البغدادي فسجل بخطه على هامش ترجمة أبي الحسن الحُصري القيرواني صاحب «زَهْر الآداب»:

«وله عندي كتاب الجواهر والملح والنوادر، كتبه عبدالقادر البغدادي».

كذلك فقد وَصَلَت إلينا مُسَوَّدَة البغدادي لكتاب «شرح شواهد التحفة الوردية في النحو» وهي النسخة التي أهداها إلى الوزير مصطفى بن أحمد بن محمد كوبريلي وهي محفوظة في مكتبته برقم ١١١٣ وجاء في آخرها:

«تم في ليلة الجمعة التاسعة والعشرين من شهر رجب الفرد من شهور سنة سبع وثمانين بعد الألف من الهجرة النبوية . . . وكان الابتداء في شرحها في اليوم السادس من الشهر المذكور. ومَنّ الله بالتسهيل في جميع الأمور».

وذكر البغدادي في «الخزانة» أن لديه نسختين من كتاب «إيضاح الشعر» لأبي علي الفارسي إحداهما بخط ابن جنّي والثانية قرئت على أبي علي وعليها خطه. يُؤَكِّد ذلك أن نسخة كتاب «إيضاح الشعر» المحفوظة في مكتبة برلين تحت رقم ٦٤٦٥ وهى نسخة بقلم نسخي صحيح مضبوط بالشكل الكامل، فَرَغَ من كتابتها أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي بن أحمد بن موسى يوم الثلاثاء ثالث رجب من سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، نقلت عن نسخة بخط ابن جنّي، فقد جاء على هامش الكتاب في آخر باب الصلات والأسماء الموصولة:

«في الأصل هذا آخر الجزء العاشر من أجزاء أبي علي رحمه الله، نقلته من خط أبي الفتح بن جنّي».

ويرى الدكتور محمود الطناحي الذي نَشَرَ كتاب الشعر لأبي علي الفارسي أن هذه النسخة تَتَّفِق اتفاقًا كاملا مع ما حكاه البغدادي عن النسخة التي كانت في ملكه بخط ابن جنّي والتي يُرَجِّح أن تكون الأصل الذي نقلت عنه نسخة برلين[1].

وإذا قرأنا مقدمة العالم اللغوي السيد محمد بن محمد المعروف بـمُرْتَضَى

---

١ محمود الطناحي: مقدمة كتاب الشعر لأبي علي الفارسي ٨٨، ١٠٢.

الزَّبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م لكتابه «تاج العروس شرح القاموس» فسنجد أنه اعتمد في كتابه على نُسَخ نادرة فُقِدَ أغلبها اليوم كانت محفوظة في خزائن المدارس الكبرى بالقاهرة، منها :

ـ نسخة من «لسان العرب» لابن منظور في ثمانية وعشرين مجلدًا، يقول :

«وهي النسخة المنقولة من مُسَوَّدَة المؤلف في حياته».

[وهذه النسخة محفوظة الآن في دار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦ لغة وتنقص الأجزاء الأول والثاني والثامن والعشرين، وكانت أصلا في خزانة الأشرف برسباي]

ـ نسخة من «تهذيب التهذيب» لأبي الثناء محمود بن أبي بكر بن حامد التنوخي الأرْمَوي الدمشقي الشافعي في خمس مجلدات

«وهي مُسَوَّدَة المصنف من وَقْف السميساطية بدمشق ظفرت بها في خزانة الأشرف [بَرْسْباي] بالعنبرانيين».

ـ نسخة من «الجَمْهَرَة» لابن دُرَيْد، قال الزَّبيدي :

«ظفرت به في خزانة المؤيد».

ـ نسخة من كتاب «المُعَرَّب» للجواليقي، قال الزَّبيدي :

«مجلد لطيف ظفرت به في خزانة الملك الأشرف قايتباي رحمه الله تعالى».

ـ نسخة من «شَرْح ديوان الهُذَليين» لأبي سعيد السُّكَّري وعليه خط ابن فارس صاحب المُجْمَل.

ـ الأول والثاني والعاشر من معجم ياقوت قال الزَّبيدي :

«ظفرت به في الخزانة المحمودية»[1].

ـ نسخة من «[تبصير المنتبه بـ] تحرير المشتبه» للحافظ بن حجر العسقلاني بخط سبطه يوسف بن شاهين.

ـ «معجم الصحابة» للحافظ تقي الدين بن فَهْد بخطه.

---

[1] وبقية هذه النسخة موجودة اليوم في مكتبة كوبريلي في استانبول برقم ١١٦١ – ١١٦٥.

ـ «الكامل [في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث] لابن عَدّي في ثمان مجلدات من خزانة المؤيد . [وقد وَصَلَ إلينا من هذه النسخة خمسة مجلدات مثبت على غلاف اثنين منها وَقْفيّة برسم الملك المؤيد شيخ على جامعه بباب زويلة وبأعلى غلاف أحد أجزائها من اليسار خط العلامة أحمد بن علي المقريزي، وعلى بعض أوراق المجلد الأول مطالعات بخط السيد مرتضى الزبيدي، وهي محفوظة الآن في دار الكتب المصرية بأرقام ٩٣، ٩٤، ٩٥ مصطلح حديث].

ـ وذكر كذلك أنه وَقَف على نسخة من كتاب «العُباب» وأخرى من «التكملة على الصحاح» وهما للصاغاني، قال الزَّبيدي :

«ظفرت بهما في خزانة الأمير صَرْغَتْمَش»[1] .

[وقد وصلت إلينا هذه النسخة من كتاب «التكملة والذيل والصلّة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية»، وآلت إلى دار الكتب المصرية من خزانة الأمير صَرْغَتْمَش وهي محفوظة بها تحت رقم ٣ لغة (ومنها مصورة على الفوتوستات برقم ٨٠٥ لغة). وهذه النسخة تقع في ستة مجلدات كتبها سنة ٦٤٢هـ (أي في حياة المصنف) محمد بن عبدالمعز بن عثمان بن عبدالملك بن عبدالله الدماميري المعروف بابن أفضل الكرجي، وكتب على هامشها :

«بلغ مقابلة على مؤلفه».

وفي آخر كل جزء من النسخة عبارة مُوَقّع عليها باسم السيد محمد مُرْتَضى الزَّبيدي نصها :

«أفرغه مطالعة واستنباطًا لغرائبه الفقير إلى الله تعالى محمد مرتضى الحسيني عفا الله عنه».

وجاء في آخر النسخة :

«الحمد لله وحده بلغ مقابلة هذا الكتاب ومعارضته على شرحي على القاموس من أوله إلى آخره في مجالس آخرها ثاني ربيع الأول سنة ١١٩١هـ فصح إنشاء الله بصحته . وكتب أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني نزيل مصر غفر له بمَنّه وكرمه حامدًا لله مصليًا على رسوله وآله مستغفرًا»].

---

[1] الزَّبيدي : تاج العروس ١ : ٤ .

ويذكر السيد مرتضى الزبيدي كذلك في مادة (عبد) نقلا عن شيخه أبي الطيب الفاسي أنه راجع أكثر من خمسين نسخة من «الصِّحاح» ليتأكد إذا كان الجَوْهَري قد ذكر في العبادلة ابن مسعود، وأضاف أنه رأى في بعض النُّسَخ النادرة زيادة ابن مسعود في الهامش كأنها ملحقة تصليحًا [١]، كما ذكر الزَّبيدي في مقدمة «التاج» كتاب «الصِّحاح» للجَوْهَري باعتباره المصدر الأساسي الذي بنى عليه في كتابه وقال:

«وهو عندي في ثماني مجلدات بخط ياقوت الرومي وعلى هوامشه التقييدات النافعة لأبي محمد بن برِّي وأبي زكريا التبريزي ظفرت به في خزانة الأمير أزبَك» [٢].

وللأسف فقد فُقدَت كل هذه النُّسَخ النفيسة الآن والتي لا يفصلنا عنها سوى نحو مائتي سنة، ولا شك أنها استقرت في بعض المكتبات الخاصة أوآلت إلى مكتبات غير مفهرسة وعندما نصل إلى الفهرس الشامل للكتاب العربي المخطوط فلا شك في أننا سنقف على نوادر لمخطوطات نجهل عنها اليوم كل شيء.

***

وفي العصر الحديث اهتم العديد من رجالات العصر الأثرياء المشتغلين بالعلم بتكوين مكتبات ضخمة ضَمَّت العديد من نوادر المخطوطات العربية والنُّسَخ النفيسة وقفوها بعد وفاتهم أو أهدوها إلى المكتبات العربية الكبرى احتفظت فيها بوحدتها وخاصة دار الكتب المصرية.

ومن أهم هذه المجموعات «مكتبة الأمير مصطفى فاضل باشا» شقيق الخديوي إسماعيل وهي تشتمل على ٣٤٥٨ مجلدًا كلها من نوادر المخطوطات ونفائس الكتب بينها ٢٤٤٣ مجلدًا عربيًا و ٦٥٠ مجلدًا تركيًا و٣٣٥ مجلدًا

---

١ الزَّبيدي: تاج العروس ٢: ٤١٧ - ٤١٨

٢ نفسه ١: ٣ - ٤..

فارسيًا. وقد اشترى هذه المكتبة من ماله الخص بمبلغ ١٣ ألف ليرة عثمانية الخديوي إسماعيل بعد وفاة شقيقه في استانبول سنة ١٨٧٦ وضمها إلى الكتبخانة الخديوية «دار الكتب المصرية» ويُرْمَز لرصيد هذه المكتبة في فهارس دار الكتب اليوم بالرمز (م).

وتشتمل هذه المكتبة على أقدم مخطوط عربي كتب على الكاغَد وَصَلَ إلينا وهو نسخة من كتاب «الرِّسالة» في أصول الفقه للإمام محمد بن إدريس الشافعي التي كتبها الربيع بن سليمان المرادي صاحب الشافعي من إملاء الشافعي في حياته، أي قبل عام ٢٠٤هـ/ ٨١٩م، ثم لما تَقَدَّم به العمر وتجاوز التسعين في سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م كتب عليها بخطه بعد أن اضطربت يده إجازةً بنَسْخ الكتاب نفهم منها أنه كان ضنينًا بهذا الأصل لم يأذن لأحد في نسخه من قبل، يقول:

«أجاز الربيع بن سليمان صاحب الشافعي نَسْخ كتاب الرسالة، وهي ثلاثة أجزاء في ذي القعدة سنة خمس وستين ومائتين، وكتب الربيع بخطه».

وتداول هذه النسخة بالقراءة والاطلاع والتَمَلُّك علماء أجلاء، وكل الذين تَمَلَّكوا هذه النسخة كانوا في دمشق وآخرهم القاضي محيي الدين عمر بن موسى بن جعفر سنة ٦٥٦هـ، لذلك فإننا لا نعرف ما كان من أمر هذه النسخة منذ هذا التاريخ إلى أن دَخَلَت في مكتبة مصطفى فاضل باشا وانتقالها بعد ذلك مع مكتبته إلى دار الكتب المصرية حيث حفظت بها تحت رقم ٤١ أصول فقه م.

و«مكتبة علي باشا مبارك» التي أضيفت إلى دار الكتب المصرية في عام ١٨٩٥ بعد سنتين من وفاته، وبين كتبها جزء من« الوافى بالوفيات» للصفدي بخطه محفوظ في الدار تحت رقم ١٢٥ تاريخ.

و«مكتبة أحمد تيمور باشا» وهو العلامة أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور المولود بالقاهرة سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، وهو من بيت فضل ووجاهة كردي الأصل. كان من أحرص الناس على اقتناء المخطوطات يبذل في سبيلها

مالاً كثيراً وكان يُزَوِّدُه بها الكتبي المعروف أمين أفندي الخانجي. ويصف الأديب والمحقق الكبير محمود محمد شاكر حب تيمور باشا للكتب بقوله:

> «الذي لاحظته عليه ليس جمع الكتب بل شيء آخر وهو أنه إذا أخذ الكتاب بين يديه تَغَيَّرَت أسارير وجهه واستضاءت وكأن نوراً قد سطع بمجرد إمساكه المخطوط إذا جاءه أمين أفندي بمخطوط جديد»[١].

كان تيمور باشا من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق وعضواً بالمجلس الأعلى لدار الكتب المصرية، قال عنه العلامة خير الدين الزِّركلي صاحب كتاب الأعلام:

> «كان رضيّ النفس، كريماً، متواضعًا فيه انقباض عن الناس. توفيت زوجته وهو في التاسعة والعشرين فلم يَتَزَوَّج بعدها مخافة أن تسيء الثانية إلى أولاده. وانقطع إلى خزانة كتبه يُنَقِّب فيها ويُعَلِّق ويُفَهرس ويُؤلِّف إلى أن أصيب بفَقْد ابن له اسمه محمد سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م، فجزع ولازمته نوبات قلبية انتهت بوفاته عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م. وتألَّفت بعد وفاته لجنة لنشر مؤلفاته تُعرف بـ "لجنة نشر المؤلفات التيمورية" أخرجت العديد من مؤلفاته»[٢].

وكان عدد كتب مكتبة تيمور باشا حتى عام ١٩٢٣، ١١٨١٦ كتابًا نحو نصفها مخطوط، بينها من المخطوطات القديمة التى كتبت قبل الألف الهجري ٩١٩ كتابًا أقدمها الجزء الأول من شرح أبي الحسن علي بن محمد الفارسي على «الغاية في القراءات العشر وعللها» لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران المتوفى سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م كتب سنة ٤١٣هـ وكتاب «إعراب القرآن» لمكّي بن حَمّوش المتوفى سنة ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م كتب سنة ٤٩٠هـ، وسبعة عشر كتابًا كتبت بعد

---

١ محمود محمد شاكر: «ذكريات مع محبي المخطوطات» في كتاب أهمية المخطوطات الإسلامية، لندن - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٢، ٢٥ - ٢٦.

٢ الزركلي: الأعلام ١ : ١٠٠.

الخمسمائة، وتسعة وثلاثون بعد الستمائة والباقي بعد ذلك إلى سنة ٩٩٩هـ، وبينها أيضًا ٢٧٤ كتابًا بخطوط علماء وأمراء مشهورين أو عليها خطوطهم، و١٦٧ بخطوط المؤلفين.

وبلغ عدد المخطوطات التي جَمَعَها تيمور باشا حتى وفاته سنة ١٩٣٠م، ٨٦٨٣ مخطوطًا كان قد نقلها في أواخر عمره إلى قصره بمدينة قويسنا بالمنوفية، ثم أهديت إلى دار الكتب المصرية بعد وفاته. وقد دَوَّنَ تيمور باشا بخطه على أغلب مخطوطات مكتبته ما يفيد اطلاعه عليها وسَجَّل على أوّل المخطوط بخطه «قرأناه». وكان يُعدّ لكل مخطوط قرأه فهرساً بموضوعاته ومصادره وأحيانًا لأعلامه ومواضعه، مع ترجمة لمؤلف الكتاب بخطه.

وبَلَغَ من عشق تيمور باشا للمخطوطات العربية وحبه لها أن كتب في عام ١٩١٩ مقالا هامًا خَصَّ به مجلة «الهلال» المصرية عن المخطوطات النادرة وقيمتها وأماكن وجودها [١]، كما كَتَبَ أثناء وجوده في استانبول سنة ١٩١٣ برسالة إلى صديقه جرجي زيدان مؤرّخة في ٢ مايو ١٩١٣ يذكر له فيها بعض ما وَقَعَ عليه اختياره من كتب مكتبات استانبول [٢].

ووَضَعَ تيمور باشا فهرسًا ورقيًا بخطه لمكتبته وجعل لكل فن فهرسًا مستقلاً خاصًا [٣]. وكانت هذه الفهارس موجودة في قاعة المخطوطات بمبنى دار الكتب

---

[١] أحمد تيمور باشا: «نوادر المخطوطات وأماكن وجودها»، الهلال ١٨ (١٩١٩)، ٤٩ - ٦٥، ٢٠٩ - ٢١٩، ٣١٨ - ٣٣١، وأعاد نشره صلاح الدين المنجد وصدر في بيروت عن دار الكتاب الجديد سنة ١٩٨٠

[٢] نشرها صلاح الدين المنجد تحت عنوان «رسالة من أحمد تيمور إلى جرجي زيدان - المختار من المخطوطات العربية في الأستانة»، بيروت - دار الكتاب الجديد ١٩٦٨.

[٣] راجع، محمد كرد علي: «الخزانة التيمورية وفهرست مخطوطاتها»، مجلة المقتبس ٧ (١٩١٢) ٤٣٧ - ٤٥٨؛ عيسى إسكندر المعلوف: «خزائن الكتب العربية: من نفائس الخزانة التيمورية»، مجلة المجمع العلمي العربي ٣ (١٩٢٣) ٢٢٥ - ٢٣٠ و٣٣٧ - ٣٤٤ و٣٦٠ - ٣٦٦؛ أحمد تيمور: «بيان ما عندنا من المخطوطات في القهوة والدخان والشاي والحشيش ونحوها» في كتاب رسائل متبادلة بين الكرملي وتيمور، بغداد ١٩٧٤، ٢٠٥ - ٢٠٨.

القديم بباب الخلق متاحةً للباحثين، وللأسف الشديد فقد دُشّتَتْ هذه الفهارس وفقد أغلب أوراقها نتيجة لسوء النقل من المبنى القديم إلى المبنى الحالى الكائن على كورنيش النيل عام ١٩٧٣[١].

فمن خطوط العلماء والأمراء التي تحتفظ بها المكتبة خط الإمام الحافظ عبدالعظيم المُنْذري، والإمام محمد بن أبي جعفر القرطبي، والحافظ شمس الدين السخاوي، والسيد محمد مرتضى الزبيدي، والشيخ حسن والد المؤرخ عبدالرحمن الجبرتي، والإمام عز الدين بن جَمَاعَة، والحافظ ابن حَجَر العَسْقلاني، والسيد عبدالقادر البغدادى صاحب خزانة الأدب، والحافظ جلال الدين السيوطي، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، والأمير جوامرد الناصري، والملك داود بن يوسف الرسولي ملك اليمن، والشيخ إبراهيم البقاعي، والعلامة يوسف بن عبدالهادي، والمُطَرِّزي شارح المقامات الحريرية، وجلال الدين المَحَلِّي، وعلم الدين السخاوي صاحب سفر السعادة، والشيخ نصر الهوريني، والشيخ حسن العطار شيخ الأزهر.

ومن خطوط المؤلفين الجزءان الثاني عشر والعشرون من كتاب «عيون التواريخ» لابن شاكر الكتبي بخطه تحت رقم ١٣٧١ تاريخ، و«ذيل الدرر الكامنة» لابن حَجَر العَسقَلاني بخطه تحت رقم ٦٤٩ تاريخ و«تقريب التهذيب» لابن حجر أيضًا كتبه سنة ٨١٧هـ وفى آخره كتابة بخط السيد مرتضى الزبيدي نصها:

> «جميع الكتاب بخط مصنفه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ونفع به آمين. وكتب محمد مرتضى الحسيني حامدًا ومصليًا ومسلمًا ومستغفرًا».

و«النهاية في اتصال الرواية» في الحديث بخط مؤلفها الشيخ يوسف بن عبدالهادي وبآخرها ثلاث إجازات بخطه أيضًا برقم ٢٢٢ حديث، و«سر الرّوح» للشيخ إبراهيم البقاعي بخطه برقم ٥٨ غيبيات، ومنتخب «نزهة الألبّاء

---

[١] أيمن فؤاد سيد: دار الكتب المصرية - تاريخها وتطورها ٧٤ - ٧٦.

فيما يروى عن الأدباء» لعبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم بن جَماعَة كتبها بخطه سنة ٧٦٥هـ برقم ٤٠١ شعر، ومجموعتان نفيستان للشيخ شمس الدين محمد بن طولون الحنفي الصالحي بخطه ومن تأليفه: إحداهما فيها ١٤ رسالة منها «الثغر البسّام في ذكر من ولي قضاء الشام» و«البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي»، والثانية فيها تسع رسائل منها «تيسير الأعلام لمذاهب الأئمة الأعلام».

ومن خطوط العلماء في المكتبة كتاب «خَلْق الإنسان» لثابت بن أبي ثابت وراق أبي عبيدة نسخة نفيسة كتبت سنة ٥٣٩هـ رقمها ١٦٦ لغة، و«شرح نوادر أبي زيد» كتبها سنة ٦٧٥هـ ابن مَنْظور صاحب لسان العرب. كما تحتفظ المكتبة بنسخ أخرى نفيسة منها «شرح اللُّمَع» لابن جنّي كتبت سنة ٥٨٤هـ، ونسخة نفيسة جدًا من كتاب «الجُمَل» للزجاجي المتوفى سنة ٣٣٩هـ وشرح ابن عصفور المتوفى سنة ٦٦٣هـ عليه كتبت سنة ٧٤٧هـ

وتشتمل المكتبة على مجاميع كثيرة ذات شأن من أهمها «مجموع في أمراض العين ومداواتها» يشتمل على ثماني كتب ورسائل لجالينوس وحنين بن إسحاق ويحيى بن ماسويه المتطبب وثابت بن قُرَّة يتخلّله بعض الرسوم التوضيحية لأجزاء العين، والنسخة بخط عبدالرحمن بن يونس الأنصاري فَرَغَ من كتابتها في ست وعشرين ربيع الآخر سنة ٥٩٢هـ، وهي برقم ١٠٠ طب.

ثم «مكتبة أحمد زكي باشا» المعروف بشيخ العروبة والذي سافر إلى أوربا واستانبول في سبيل البحث عن المخطوطات العربية القديمة، وكَوَّن مكتبة ضخمة وقفها في حياته على قبة السلطان الغوري، ثم نقلت إلى دار الكتب المصرية بعد وفاته سنة ١٩٣٥، ويبلغ عدد مخطوطات هذه المكتبة ١٤٨٢ مجلدًا[1].

---

[1] محمد كرد علي: «مكتبة أحمد زكي باشا وأهم مخطوطاتها العربية»، المقتبس ٥ (١٩١٠) ٧٨٩ - ٧٩٣؛ نفسه: «الخزانة الزكية ومجموعة كتب أحمد زكي باشا المصرية»، المقتبس ٧ (١٩١٢) ٥٩٣ - ٦٠٤ و ٨ (١٩١٤) ٣٩٣ - ٤٠٤.

كان أحمد تيمور باشا وأحمد زكي باشا يتسابقان في حَلْبَة المخطوطات، كلاهما يتتبع عمل الأخر وما اقتناه ويريد أن يفوقه ولكن يختلف الخُلقان، يقول العلامة محمود محمد شاكر:

«تيمور باشا كان سخيًا لا يضن على أحد بشيء، أما أحمد زكي فكان ضنينًا بالطبع - لا أريد المذمة - كان ضنينًا وكان لا يتورّع عن سرقة الكتاب. ومن الطرائف أن في آخر حياته وقف مكتبته ونقلت إلى قبة الغوري القريبة من الأزهر، وعُيّنَ لها صديق لنا كان أيضًا محبًا للكتب هو الشيخ محمود زناتي، فأخبرته عن خُلُق زكي باشا أنه يسرق الكتب فحاذر. فقال: كيف يعني؟ كيف يسرق الكتب؟ قلت: طيب يا شيخ محمود جَرِّب بنفسك. فحَدَّثني أن أحمد زكي باشا غافله في يوم من الأيام وأخذ كتابًا ووضعه تحت إبطه - أخفاه - فقال له الشيخ محمود عند انصرافه: تعال يا باشا طَلَّع الكتاب. يسرق نفسه! كانت أخلاقًا ظريفة»[١].

والكثير من مخطوطات المكتبة الزكية مصورات لمخطوطات نادرة أصلها في مكتبات استانبول وأوربا، ومن بين المخطوطات الأصلية النادرة في مكتبته أربعة أجزاء من «تاريخ دمشق» لابن عساكر بخط الحافظ البرْزالي.

أما «مكتبة أحمد طلعت بك» المتوفى سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م فتُعَدّ من أغنى المكتبات الخاصة في الشرق بَذَلَ طلعت بك في جمعها من أنحاء العالم جهدًا كبيرًا ومالا كثيرًا، وكانت عنايته بالمخطوطات وجمعها عناية فائقة حتى إنه ضَمّ إلى مكتبته الكثير من المخطوطات النفيسة والمصاحف الرائعة من تركة السلطان عبدالحميد الثاني ومما حصل عليه من تركات أمراء العثمانيين بعد سقوط الخلافة العثمانية. فأصبح في مكتبته من اللوحات الخطية الجميلة والأمْشَق الرائعة والمصاحف الكريمة المكتوبة بخطوط مشاهير الخطاطين المجودين والمنقوشة

---

[١] محمود محمد شاكر: المرجع السابق ٢٦.

بالذهب والألوان عدداً ضخمًا يبلغ الخمسمائة . ومن بينها ما هو بخط ياقوت المستعصمي، وحمد الله بن الشيخ، والحافظ عثمان، ومبارك شاه، ودرويش الشكري، وسليمان الوهبي، ومصطفى ذهني، ودرويش علي، وشكر زاده، ونزهت، ونظيفي، و مصطفى راقم وغيرهم. ومنها مصحف على رَقّ بآخره أنه بخط الحسن البصري سنة ٧٧هـ[١] .

وقد أنفق أحمد طلعت بك على أمين أفندي الخانجي ما يشاء ليَتَسَوّق له المخطوطات، فجال في البلاد العربية وتركيا وأحضر له الكثير من الكتب[٢] .

وقُدِّر عدد المخطوطات الموجودة في مكتبة طلعت بك بعشرين ألفًا من المجلدات وزِّعت على دار الكتب المصرية وغيرها من المكتبات الأخرى في الدولة، كان نصيب دار الكتب منها ٩٥٤٩ مجلداً من بينها نحو ١١٠٠ مخطوط (مجاميع) تحوى أكثر من عشرة آلاف رسالة وكتاب»[٣] .

ومن نوادر هذه المكتبة نسخة من كتاب «الحُجّة في قراءات الأئمة السبعة» لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠هـ بقلم نسخ مضبوط بالحركات فُرغ من كتابتها في ذي الحجة سنة ٣٩٦هـ، رقمها في المكتبة ١٣٤ قراءات .

ونسخة من «ديوان شعر الحادرة» بخط ياقوت المستعصمي، مجدولة ومحلاه بالذهب، رقمها في المكتبة ٤٥٦٥ أدب .

ونسخة نادرة من «مقامات الحريري» المتوفى سنة ٥١٦هـ قرئت على المؤلف سنة ٥٠٤ هـ وعليها خطه بالإجازة لبعض علماء عصره ممن سمعها عليه، وعليها أيضًا سماعات وقراءات مختلفة في عصور مختلفة، رقمها في المكتبة ٤٤٧٩ أدب .

---

١ فؤاد سيد: «نوادر المخطوطات في مكتبة طلعت»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٣ (١٩٥٧) ١٩٧ .

٢ محمود محمد شاكر: المرجع السابق ٢٥ .

٣ فؤد سيد: المرجع السابق ١٩٧ – ١٩٨ .

ونسخة من «المُفَضَّل في شرح المُفَصَّل للزمخشري» لعلم الدين علي بن محمد بن عبدالصمد السخاوي المتوفى سنة ٦٤٣هـ، الجزءان الأول والثاني بقلم معتاد سنة ٦٢٧هـ وعلى الورقة الأولى خط المصنف، رقمها في المكتبة ٣٨٦ نحو.

ونسخة من «قَشْر الفَسْر من ديوان المتنبي» للزَوْزَني كتبها أبو القاسم بن أبي بكر بن أحمد بن عبدالله بن الفضل بن العباس بن خالد سنة ٤٧٥هـ رقمها في المكتبة ٤٤٨٠ أدب.

ونسخة من «كتاب الجمعة» لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ رواية الحافظ أحمد بن سعيد السيواسي عن آخرين عن المصنف، بقلم قديم من خطوط القرن الخامس الهجري وعليها سماعات مؤرخة سنة ٤٧٠هـ و٥١٤هـ، رقمها في المكتبة ٤٨٥ حديث.

***

وبالطبع فإن سائر البلاد العربية لم تَعْدَم خزائن الكتب الخاصة التي أمَدَّتْنا بالكثير من النُسَخ النفيسة والنادرة، وخاصة في اليمن والعراق والشام وتونس والمغرب.

ففي اليمن تم اكتشاف تراث المعتزلة الذي كان لوالدي المرحوم فؤاد سيد فَضْل التعريف به مثل: كتاب «المُغْني في أبواب التوحيد والعدل» للقاضي عبدالجبار بن أحمد الهمداني المعتزلي و«فَضْل الاعتزال وطبقات المعتزلة» له أيضًا، و«مقالات الإسلاميين» لأبي القاسم البَلْخي، وذلك بالإضافة إلى تراث الزَّيْديَّة والإسماعيلية والعديد من المصادر المبكرة حيث تحتفظ اليمن بأقدم نسخة معروفة من «الكتاب» لسيبويه[١].

---

١ خليل يحيى نامي: البعثة المصرية لتصوير المخطوطات العربية في بلاد اليمن، القاهرة - وزارة المعارف العمومية ١٩٥٢؛ فؤاد سيد: «مخطوطات اليمن»، مجلة معهد المخطوطات العربية ١ (١٩٥٥) ١٩٤ - ٢١٤؛ «المخطوطات التي صورتها بعثة المعهد إلى الجمهورية العربية اليمنية» مجلة معهد المخطوطات العربية ٢٢ (١٩٧٦) ٣-٨٢.

وتعد العراق أكبر المراكز العربية التي كانت تشتمل على مخطوطات نفيسة ولكنها تعرّضت على امتداد التاريخ لغارات بربرية أدت إلى تدمير وفناء هذه المخطوطات وعلى الأخص في أعقاب غارات المغول في منتصف القرن السابع الهجري[١] . ومع ذلك فما تزال تحتفظ بالعديد من المخطوطات الهامة التي استقر أغلبها الآن في مكتبة المتحف العراقي ببغداد ومكتبات الأوقاف العامة، بالإضافة إلى مجموعات خاصة كثيرة انتقل عدد منها إلى مكتبة المتحف العراقي مثل مكتبات محمود شكري الآلوسي وبهجت الأثري وعباس العَزّاوي وأنستاس ماري الكَرْمَلي ويعقوب سركيس وكوركيس عواد وقاسم الرجب[٢] .

أما بلاد الشام فقد ظلت حتى مطلع هذا القرن تحتفظ بالعديد من المخطوطات النفيسة التي استقرت في المكتبة الظاهرية "مكتبة الأسد" بدمشق وفي بيوتات العلم في دمشق وحلب وغيرها[٣] .

---

[١] كوركيس عواد: خزائن الكتب القديمة في العراق، بغداد ـ مطبعة المعارف ١٩٤٨ وانظر كذلك علي الخاقاني : «الآثار المخطوطة في العراق»، الكاتب المصري ١ (١٩٤٥) ٤٤٤ - ٤٤٥؛ حسين علي محفوظ : «المخطوطات العربية في العراق»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٤ (١٩٥٨) ١٩٥ - ٢٨٥؛ ميخائيل عواد : «من نوادر المخطوطات في العراق»، المورد ١٣/ ٢ (١٩٨٤) ١٥٣ - ١٥٨ .

[٢] أسامة ناصر النقشبندي : «مخطوطات الخزانة الألوسية في مكتبة المتحف العراقي»، المورد ٤/ ١ (١٩٧٥) ١٧٥ - ٢٠٦؛ نفسه : «مخطوطات كوركيس عواد في المتحف العراقي»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٣٣ (١٩٨٩) ٣٩ - ٨٦؛ كوركيس عواد : «مدينة البصرة ـ مكتباتها ومخطوطاتها»، مجلة معهد المخطوطات العربية ١ (١٩٥٥) ١٦٣ - ١٦٩؛ محمد حسين الهلالي : «التحف من مخطوطات النجف»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٢٠ (١٩٧٤) ٣ - ٥٠ .

[٣] راجع، حبيب الزيات: خزائن الكتب في دمشق وضواحيها، القاهرة ١٩٠٢ وأعيد نشره في دمشق سنة ١٩٨٣؛ عيسى إسكندر المعلوف : «مكاتب حلب ودمشق»، الهلال ١٩ (١٩١٠)، ٤٩١ - ٤٩٣؛ محمد راغب الطباخ : «دور الكتب في حلب قديمًا وحديثًا»، مجلة المجمع العلمي العربي ١٥ (١٩٣٧)، ٢٩٩ - ٣١٠؛ Sbath, P., « Choix de livres qui se trouvaient dans les bibliothèques d'Alep au XIII^{e} siècle », *MIE* 49 (1946) وهو نشر لمخطوطة عنوانها «المنتخب مما في خزائن الكتب بحلب»؛ محمد أسعد طلس : «المخطوطات وخزائنها في حلب»، مجلة معهد المخطوطات العربية ١ (١٩٥٥)، ١ - ٨ و٢ (١٩٥٦)، ٢٤٦ - ٢٦٣؛ «نوادر مخطوطات الخزائن الخاصة بدمشق»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٥ (١٩٥٩)، ٢١١ - ٢٢٤؛ سامي الكيالي : «مخطوطات حلب»، مجلة معهد المخطوطات العربية ١٣ (١٩٦٧)، ٢١١ - ٢٢٣ .

كذلك فتحتفظ تونس بالعديد من المجموعات الخاصة التي ضُمَّت إلى مكتبتها الوطنية مثل مكتبة حسن حسني باشا عبدالوهاب الصَّمادحي ومكتبة الشيخ محمد الفضل بن عاشور[١] .

كما كشفت بعثة معهد المخطوطات العربية إلى المغرب عن العديد من المخطوطات القديمة النادرة التي يحتفظ المعهد بصور ميكروفلمية لها[٢] .

وفي مطلع هذا القرن كان هناك رجلٌ ولد بحَلَب وانتقل إلى القاهرة سنة ١٨٨٥ هو محمد أمين عبدالعزيز الخانجي كان عالمًا بالمخطوطات وأماكن وجودها زار العراق واستانبول بحثًا عن المخطوطات لشرائها والمتاجرة بها ، وكان نعْم العَوْن لكل من أحمد تيمور باشا وأحمد طلعت بك وأحمد زكي باشا في تكوين مجموعاتهم الضخمة[٣]، وساعد كذلك على وصول الكثير من المخطوطات النادرة إلى مكتبات أوربا وخاصة مكتبة شستر بيتي بدبلن بأيرلندا وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩[٤] .

أما السيد أحمد عبيد أحد أصحاب المكتبة العربية بدمشق والذي توفي سنة ١٩٨٠م عن عمر يناهز المائة فكان كما يقول العلامة الزِّرِكْلي : «من أعلم الناس اليوم بمخطوط الكتب ومطبوعها» وأتاح له مطالعة مجموَعة مما ظَفَرَ به من قديم المخطوطات ونادرها واستخرج له الخطوط المكنوزة في خزائن دمشق ومكتباتها[٥]

---

[١] صلاح الدين المنجد : «بعثة معهد المخطوطات إلى تونس»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٢ (١٩٥٦)، ٣٩١ – ٣٩٤؛ Schacht, J., «On Some Manuscripts in the Libraries of Kairouan and Tunis», *Arabica* 14 (1967), pp. 225 - 258؛ هلال ناجي: «نفائس المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية في تونس»، مجلة معهد المخطوطات العربية ١٨ (١٩٧٢) ٣ – ٨٠.

[٢] Muhammad al-Fāsī, «Les bibliothèques au Maroc et quelques-uns de leurs manuscrits les plus rares» *Hespéris Tamuda* II (1961), pp. 135-144؛ صلاح الدين المنجد: «نوادر المخطوطات في المغرب»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٥ (١٩٥٩) ١٦١ – ١٩٤؛ «المخطوطات التي صورتها بعثة المعهد إلى المملكة المغربية»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٢٢ (١٩٧٦) ١٧٥ – ٢٤٠.

[٣] الزركلي: الأعلام ٦ : ٤٤.

[٤] انظر مقدمة محمود محمد شاكر لكتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي.

[٥] الزركلي: الأعلام ١ : ١٧.

1ère édition 1997

Dépôt légal 9019 / 97
I S B N 977 270 376 9

LE MANUSCRIT ARABE

ET

LA CODICOLOGIE

AYMAN FU'ĀD SAYYID
Docteur d'état-ès-lettres

LE MANUSCRIT ARABE

ET

LA CODICOLOGIE

I



AL-DĀR AL-MIṢRIYYA AL-LUBNĀNIYYA